السبت 3 كانون الأول 2022
العدد 4793 السنة السابعة عشرة
Samedi 3 Décembre 2022 no 4793 17ème année

24 صفحة
10000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

أنا أقرأ
بتوقيت بيروت

من قرر ومن وافق على عزل التيار؟ [5]

اطلب القوس مع الأخبار

«ملائكة الأشرفية»
الفاشيون الجدد
[4 ـ 2]

(الأخبار)

البلاد

يوم التضامن

إفشال مخطّط للّوبي الصهيوني في البرلمان الإسباني

[12]

وجوه

كوزو أوكاموتو
الساموراي الأحمر... مُحارب بِرُتبَة فلسطين

[14]

الحدث

أميركا - إيران: عودة التوتير العلني

10

على الغلاف

عن نبيل وأنطون الصحناوي وتجدد النزعة الفاشيّة

إبراهيم الأمين

نبيل الصحناوي والد أنطون، وهو شقيق موريس الصحناوي والد نقولا. الأخوان اختلفا في أمور كثيرة منذ سنوات طويلة. خلاف لم يقتصر على التركة المالية للعائلة التي ترتبط بصلات نسب مع عائلات تُربة كال بسترس. بل كان، في أحد أوجهه، حول طريقة التعامل مع الشأن العام. وتعلّق جانب منه بالقناعات الدينية والثقافية لكل من الرجلين، ما انعكس على سلوك الأبناء والمقربين أيضاً.

في زمن الحرب الأهلية، كان نبيل شاباً متحمساً لمواجهة «الغزو» الفلسطيني والإسلامي والسوري والعلماني. وله حكاية خاصة مع «كوع الكحالة». الرجل المهووس بجمع المقتنيات الأثرية واللوحات الفنية، لديه هوس أكبر بالجانب الديني. وهو شديد التديّن إلى درجة أنه اضطر مرة إلى الخضوع لجراحة في رجليه، بعد وفائه بنذر بأن يزحف على ركبتيه إلى مقام ديني جبلي. وهو الزم عائلته على القيام بالواجبات الدينية اليومية، من صلاة وتلاوة إنجيل وعدم الغياب عن المناسبات الدينية. لكن لنبيل «ثقافة» دينية خاصة، وهو كاثوليكي ممن يحنّون إلى أيام الحروب الصليبية، وهو لا يخفي تمايزه الثقافي والسلوكي والاجتماعي. ويعرف عنه، عندما يدخل في خلاف، اتخاذه مساراً حادّاً، أورثه إلى نجله أنطون الذي جعلته التسويات العائلية رئيساً لمجلس إدارة مصرف «سوسيتيه جنرال»، بعدما خرج منه موريس بحصّة قبل أن ينتقل إلى عالم آخر. فيما تبنّى ابنه نقولا خياراً سياسياً إلى جانب التيار الوطني الحر وبعض النخب العلمانية مثل جورج قرم وشربل نحاس، واتخذ موقفاً عقلانياً جعله عرضة لكل متطرفي الأشرفية، وليس خصماً لابن عمه أنطون فقط.

أنطون، الطفل المدلل، هو أيضاً كوالده - بل وتفوّق عليه - لناحية الاعتقاد بالاختلاف عن بقية اللبنانيين وحتى عن بقية العرب. إذ يتصرف على أنه «إفرنجي» كامل المواصفات، في المأكل والملبس واللغة والحياة اليومية وحتى في الأعمال. لكنه، خلال مرحلة الوجود السوري في لبنان، بنى شبكة علاقات مع كل المفاتيح السياسية والأمنية التي تقود إلى أهل الحكم وإلى دمشق. وهو أيضاً لا يقل تديّناً عن والده، لكنه يتفوّق عليه في الطموحات العنيفة. ولطالما عُرف، في سنوات مراهقته وشبابه، بدخوله في مشاجرات ومشكلات، وكان دائماً يحيط نفسه بفتوات وقبضايات الأحياء، زله صولات و جولات من الاشكالات واطلاق النار، كما راوده حلم دائم بأن يكون زعيماً لميليشيات لا لحزب أو منطقة أو طائفة. وفي السنوات الأخيرة، ارتفع منسوب الطموح السياسي لديه إلى حد جعل نفسه صانع نوّاب ووزراء ورؤساء أيضاً. وهو، في سبيل ذلك، لم يتردد في توفير الدعم المالي للكثيرين من سياسيين واعلاميين ممن يعتقد أنهم يفيدون قضيته.

ما تشهده الأشرفية منذ سنوات، وتمظهر على شكل تنظيم جنيني خلال العامين الأخيرين، ليس سوى واحدة من بنات أفكار أنطون الصحناوي ووالده، حيث لا مانع يحيط نفسه بفتوات وقبضايات الأحياء، زله صولات و جولات من الاشكالات واطلاق النار، كما راوده حلم دائم بأن يكون زعيماً لميليشيات لا لحزب أو منطقة أو طائفة. وفي لقيادة قوات الاحتلال الإسرائيلي بعد اجتياحها لبيروت عام 1982. وأنطون المولع بعناصر الحماية و«الشباب القبضاي»، وجد أنها اللحظة المناسبة للقيام بخطوة يفترض أن تجعله متقدماً على غيره في الأشرفية، ويتصرف على أنه الأقدر على ضمان هذا النوع من الأعمال. فهو صاحب محفظة عقارية في المنطقة، ويمتلك فروعاً لمصرفه وشركات، ولديه منزل العائلة، والعشرات من الكتائبيين والقواتيين ممن لجأوا إليه في مرحلة التسعينيات، كما أنه «شاطر» في استقطاب عناصر سابقة من القوى الأمنية والعسكرية. ولو أتيح له لأعلن عن قيام تنظيم مسلح بصورة علنية. ما يقوم به الصحناوي باسم «جنود الرب» أو شركات الحماية في منطقة الأشرفية، بالتعاون مع نديم الجميل وآخرين من فعاليات المنطقة، لا يمكن أن يكون معزولاً عما يفكر به الرجل. لكن الأمر قابل للتطور أكثر، في حال وُجد في لبنان والمنطقة والعالم من يهتم لأمر كهذا، خصوصاً في حالة الجنون السائدة، حيث لا يبدو أنطون الصحناوي خارج موجة اليمين الفاشي التي تغزو العالم.

فكرة الأمن الذاتي في الأشرفية ليس هدفها فرض أمر واقع فقط في منطقة محددة، بل تحويل عناصر الحماية إلى قوة يتوسع نطاق عملها، ليشمل في المرحلة المقبلة كل المناطق التي يعتبرها أنطون الصحناوي خط التماس مع الآخر، ولذلك فإن جهوده في فرن الشباك وبدارو وعين الرمانة لا تقل عن جهوده في المرفأ وأحياء بيروت الشرقية. وهو، متى تيسر له، يبحث عن طريقة للتمدد صوب بعبدا والحدث وصولاً إلى كفرشيما وضواحيها الغربية.

بعيداً من كل نقاش سياسي لا طائل منه في مثل هذه الحالات، يجدر بأبناء هذه المناطق وبفعالياتها، وبكل من لديه نفوذ من رجال أعمال وقوى سياسية ومرجعيات ومؤسسات دينية وخلافه، أن تبادر إلى خطوات تحاصر هذا الوحش الصغير الذي لن ينتج منه إلا مزيد من القهر والدماء وهجرة من تبقى من الأبناء.

«جنود الربّ»... بدايات الأمن الذاتي؟

رضوان مرتضى

«جنود الربّ» اسمُ لمجموعة لا يزيد عدد أعضائها على مئة، وهم منظّمون بشكل جيد ويرتدون لباساً موحّداً ويتلقّون تمويلاً من مصدر واحد. وقد ذاع صيت الجماعة أخيراً إثر نشاط معادٍ للمثلية الجنسية في منطقة الأشرفية، إلا أنّ اسمها سبق أن تردّد في أحداث أمنية عدة. فهل هناك أيد تحرّك هذه المجموعة أم أن التعبئة الدينية والتحريض السياسي أوجدا البيئة المناسبة لنموّها على طريق تحقيق الأمن الذاتي؟ وهل هناك أي ارتباط بينها وبين جهاز أمن القوات اللبنانية؟

في «جريمة الطبونة»، في 15 تشرين الأول 2021، عندما أطلق عناصر

> ورد اسم «جنود الربّ» في التحقيقات في احداث كمين الطبونة

القوات اللبنانية النار على متظاهرين، ما أسفر عن استشهاد سبعة وجرح العشرات، بيّنت محاضر التحقيقات التي أجرتها استخبارات الجيش أنّ أفراد مجموعة تُطلق على نفسها اسم «جنود الربّ» قاموا في الليلة السابقة للكمين بكتابة شعارات دينية ورسم صلبان في عدد من أحياء المنطقة الشرقية لشدّ العصب الطائفي. وترافق ذلك مع تحريض على وسائل التواصل الاجتماعي. وبحسب المحاضر، انتشر كثر من هؤلاء و«هم في حالة تأهّب من دون سلاح ظاهر» في عدة نقاط. كما أوردت المحاضر أسماء أفراد ينتمون إلى هذه الجماعة شاركوا في إطلاق النار، وأشارت إلى أن هؤلاء مرتبطون برئيس مجلس إدارة مصرف سوسيتيه جنرال أنطون الصحناوي ويتلقّون تمويلاً منه.

قبل شهرين من ذلك، في آب 2021، ولدى مرور مسيرة دعت إليها لجنة أهالي ضحايا المرفأ قرب مركز للقوات في الجميزة، وقع تلاسن بين شبان شيوعيين كانوا في المسيرة وآخرين قواتيين انهالوا عليهم بالضرب وطعنوا أحدهم، ما أدى إلى إدخاله المستشفى. ورغم ترديد شعارات «وحدها بتحمي الشرقية القوات اللبنانية»، تؤكد معلومات أمنية أن

(هيثم الموسوي)

عناصر من «جنود الربّ» كانوا بين المعتدين.

تأسّست هذه المجموعة التي تحمل فكراً يمينياً في تشرين الأول 2020 في كرم الزيتون على يد جوزيف منصور، وما لبثت أن انتشرت في الأشرفية وامتدّت إلى جل الديب وزحلة. وهي تهدف إلى تشكيل مجموعات قادرة على «حماية المناطق المسيحية والدفاع عنها». وتؤكّد المعلومات أنّ أفراد الجماعة يتقاضون مبالغ شهرية من الصحناوي على شكل رواتب، وأنه جرى توظيف معظمهم كعناصر أمن في فروع مصرف «سوسيتيه جنرال»، علماً أن غالبيتهم من خلفيات سياسية وعقائدية مؤيّدة لحزبي القوات والكتائب. ويبرز إلى جانب مؤسسها، سبع الحداد الذي ينشط في الاستقطاب والتوجيه والتعبئة، وهو يقود مجموعة شبان في برج حمود، وورد اسمه في تقارير أمنية لقيامه بقطع طرق والتحريض.

وفيما تفيد مصادر أمنية بأنّ الصحناوي بدأ يسحب تأييده الظاهر للجماعة بعد ادّعاء أحد قضاة التحقيق على أفراد منها بتشكيل «عصابة مسلّحة تُعرف باسم جنود الرب» إثر حادثة إطلاق نار، أكّدت تقارير أنّ أعضاء المجموعة وزّعوا على كلّ فروع «سوسيتيه جنرال» بعد تزايد عمليات اقتحام المودعين لفروع بعض المصارف. وتشير المعلومات الأمنية إلى أنّ ف. س.، أحد كبار الموظفين في المصرف، هو من يتولى التنسيق مع المجموعة التي توجد لدى الأجهزة الأمنية تقارير مفصّلة عن أسماء أعضائها وخلفياتهم وتحركاتهم، علماً أنّ بينهم رتباء وضباطاً من أحد الأجهزة الأمنية يساهمون في تدريبات رماية يُجريها هؤلاء. كما أن هناك معلومات عن تنسيق مع شركة أمنية تخضعهم لتدريبات بشكل دوري.

وتنقل التقارير أنّ الجماعة تعادي كل ما هو غير ديني وعلماني ويساري وشيوعي، إلى جانب اللاجئين الفلسطينيين والنازحين السوريين... والعونيين؛ كما يرفضون الزواج المدني والمثلية الجنسية والإجهاض، ويحاربون تجارة المخدّرات باعتبارها من «أعمال الشيطان»، علماً أنّ بينهم أفراداً ذوي سوابق في تعاطي المخدّرات. وتقوم العبئة التي يعتمدها أفرادها على تمجيد الحروب الصليبية، ويرفقون منشوراتهم على مواقع التواصل الاجتماعي باقتباسات من الإنجيل عن علاقة الناس بالربّ وكيف يجب أن يكونوا جنوداً له على الأرض للدفاع عن مقدّساتهم.

وتشير تقارير الأجهزة الأمنية إلى أن الجماعة تتلقّى دعماً دينياً من الأب نقولا شلهوب كاهن رعية الشيخ طابا للروم الأرثوذكس والأب طوني رزق من زحلة (نُشر فيديو له أثناء اشتراكه في إشكال بين عناصر من القوات وآخرين من حزب الله في الانتخابات النيابية الأخيرة في زحلة)، والأب روجيه كرم. كما تذكر المعلومات أنّ أفراداً من الجماعة تمّ توظيفهم في شركة أمنية في الأشرفية تُدعى AMN security، بالشراكة مع جمعية «أشرفية 2020» التي يُشرف عليها النائب نديم الجميل.

التقارير الأمنية تتحدث عن هذه الجماعة بوصفها «جماعة متطرّفة مسيحياً قد تشكّل خطراً في المستقبل» رغم أن نشاطها «لا يزال يقتصر على حماية ما تعتبره مناطقها من الدخلاء والفكر الذي يعارض تعاليم الكنيسة».

(الأخبار)

مطاوعة الصحناوي في «أرض الربّ»

رلى إبراهيم

يصرخ أحد الشبان وسط ساحة ساسين: «حيّ هو ربّ الجنود ومبارك صخرتي». فيردّد الجموع بصوت واحد: «آمين». لا فرق إن كانت المناسبة دينية كرياح الجمعة العظيمة، أو «اجتماعية» لـ«القضاء على المثلية»، أو سياسية إحياءً لذكرى «حرب المئة يوم»، أو احتفالية بانتهاء عهد رئيس الجمهورية ميشال عون، طالما أن من يعرّفون عن أنفسهم بأنهم «جنود الربّ» أوكلوا لأنفسهم «باسم يسوع المسيح الناصري» طرد الشيطان من «أرض الربّ»، الأشرفية، سواء تمثّل في هيئة «مثليين» أو في كل ما يخالف «تعاليم الربّ»... كميشال عون مثلاً!

منذ ثلاث سنوات ينزل «الجنود» الى الشارع، بقمصان سود يتوسطها إنجيل مفتوح يعلوه صليب أحمر محفور على ترس ومحاط بجناحين تيمّناً بالملاك ميخائيل، رئيس «جند الرب» كما ورد في سفر يشوع. يجوبون شوارع الأشرفية حاملين صليباً كبيراً ومنشدين تراتيل دينية، ويتمّ رصدهم بشكل خاص أمام مصرف «سوسيتيه جنرال» في ساحة ساسين.

بدأت حكاية «جنود الرب» مع «رب» الـ«سوسيتيه جنرال» أنطون الصحناوي ووالده نبيل الصحناوي اللذين قررا، غداة 17 تشرين الأول 2019 وسطو المصارف على أموال المودعين، تأسيس «حزب» من مرافقيهما الشخصيين وحرّاس مصرفهما وموظفين لديهما. وقد وجدا في مجموعة «جنود الرب» التي أسّسها أحد موظفي المصرف، جوزيف منصور، بعد خروجه من السجن إثر اعتدائه على أستاذ مدرسة، فرصة لجمع شبان تابعين لهما يُعرفون بصيتهم السيئ وسلوكهم العنيف (كإطلاق النار في ملهى ليلي وطعن بسبب خلاف على أفضلية مرور وإصابة فتاة في مطعم بالرصاص). المجموعة التي بدأت بما لا يتجاوز الـ 20 شاباً، وتوسّعت بعد الانهيار الاقتصادي لتضم اليوم ما لا يقل عن 300 شاب، يشغّلهم الصحناوي مرة حراساً للكنائس، وأخرى في تنظيم الطوابير أمام محطات البنزين في أوقات الأزمة، وثالثة إبان الانتخابات في ماكينة النائب جان طالوزيان، ودائماً في حماية «عرين السوسيتيه» في الأشرفية. أما أوقات الفراغ، فيقضيها هؤلاء في نادٍ رياضي أنشأه لهم نبيل الصحناوي، علماً أن غالبيتهم تتمتع ببنية جسدية ضخمة وعضلات مفتولة يتعمّدون استعراضها على صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، كما ينشر بعضهم صورهم مع صلبان مشطوبة أو على خلفية صور لسمير جعجع.

يؤكد أكثر من ناشط ضمن المجموعة أن «قسماً كبيراً من الشباب بات منخرطاً في المسار الديني الى حدّ بعيد. وهم يقضون يومهم في قراءة الإنجيل ويتشاركون عبر مجموعة واتساب آيات من الإنجيل لتطبيقها في حياتهم اليومية».

ويؤكد «قائد» مجموعة «جنود الرب» جوزيف منصور لـ«الأخبار» أن «لا علاقة لنا بالأمن ولا بالحراسة ولا بأيّ من الأعمال» التي تنسب إليهم. ويصف أعضاء المجموعة بأنهم «جنود صالحون يستمعون فقط إلى كلمة الروح القدس والقيادة السماوية، ويخرجون فقط بناءً على كلمة الرب، ولحراسة الكتاب المقدس. والأهم أننا لا نشهد إلا للرب». لذلك، كان «لا بدّ من منع الشيطان من التسلل الى الأشرفية عن طريق الوقوف في وجه التسويق للمثلية». وعن علاقة «الجنود» بالقوات اللبنانية، يؤكد أن «الشباب من كل الانتماءات، ولا يمكن مراقبة ماذا ينشرون على وسائل التواصل». أما الربط بينهم وبين الصحناوي فهو «ربط ساذج. هؤلاء موظفون كما كل الموظفين الآخرين في الشركات أو المحال التجارية أو غيرها، والارتباط الوحيد لهم هو بموضوع سماوي لا يفهمه أحد إلا الروح القدس».

لكن مصادر في الأشرفية تؤكد أن «خلف الحملان ذئاباً تنقضّ على كل من يخالفهم أو يرونه تهديداً لمصالح المصرف»، كما حدث قبل أسبوعين عندما انهال «الجنود» بالضرب على شاب كان يؤشّر لصديقه على مصرف الـ«سوسيتيه». ورغم تقدّم الشاب بشكوى، لُفلفت القضية كما لُفلفت قبلها قضايا أخرى. ويؤكد أحد نواب المنطقة أن من الواضح أن هؤلاء يحظون بـ«غطاء من الأجهزة الأمنية والمخافر والقضاة عبر إفلات المرتكبين منهم من العقاب دائماً، والأهم عدم التعرض لهم الى درجة تجاهل وجودهم من أساسه». ويلفت إلى أن الصحناوي «ليس مجرد مصرفي، بل هو في صلب المعادلة السياسية، ويتدخل في تركيب اللوائح، ويفرض نواباً ويدعم بالمال والنفوذ نواباً آخرين ووسائل إعلام. وبغض النظر عما إذا كانت هذه المجموعة من صنعه أو أنه يستغلها ويمسك بها عبر التوظيفات، فإن مثل هذه المظاهر غالباً ما تقود الى مشكلات أكبر. إذ إن التطرف في أي مسألة سيضع مجموعة في وجه أخرى». ويؤكد نائب آخر أن أبناء الأشرفية، بعكس ما يحاول البعض تعميمه، «منزعجون جداً مما يحصل. فالمنطقة لا تريد مطاوعين ولا ميليشيويين جدداً بعيداً عما إذا كان الصحناوي الأب يحنّ الى مرحلة سابقة عندما كان يرعى مجموعة مقاتلين. وأهل الأشرفية لا يؤيدون الأمن الذاتي ولا المربعات الأمنية والدينية ولا السلوك المتطرف والعنيف، لكنهم يصمتون خوفاً أو لعدم جرّ المشكلات الى منازلهم». وهو صمت «مفهوم» في ظل الصمت الذي تلتزمه مجموعات ونواب يطالبون ليل نهار بردّ أموال المودعين ويصيبهم الخرس عندما يتعلق الأمر بآل الصحناوي وبصاحب المصرف الذي ينفق أموال المودعين على أمنه الشخصي وعلى تعزيز نفوذه.

على الغلاف

«الزيتي» جاهز دائماً

(مروان بو حيدر)

عبد الله قمح

«حمـايـة المـجـتـمـع المسـيـحـي» شعار رفعته القوات اللبنانية منذ تأسيسها. والحماية، عادة، ترتبط بالقوة، وهو ما لا تنفيه «الأدبيات القواتية». تبعاً لذلك، مارست القوات دائماً «حماية» عسكرية نشطة، تتيح لها، تحت لافتة «الحماية»، الدخول إلى عمق «المجتمع المسيحي» وممارسة «التعبئة». وبحسب وصف قيادي قواتي سابق، فـ«القوات، لم تنقطع يوماً عن التعبئة والتنشئة العسكريتين، ولم تُغادر البارودة منطقها».

يقدّم «كمين الطيونة»، في خريف 2021، صورة عن طبيعة النشاط العسكري القواتي. صحيح أن معراب لجأت، قبل الأحداث وبعدها، إلى خدمات «سرية الأمن» التابعة لها بقيادة سيمون مسلّم، ما أوحى بعدم وجود «هيكلية عسكرية» صريحة في مناطق نفوذها. غير أن الصحيح، أيضاً، أن حضور هذه المجموعة، هدف من جهة إلى إخفاء معالم الحضور العسكري المناطقي المنظم، ومن جهة أخرى إلى وضع المجموعات كافة على الأرض تحت إمرة قيادتها وإشرافها. وقد كشفت التحقيقات مع الموقوفين القواتيين في ملف الطيونة وجود حالة عسكرية نظامية قواتية في عين الرمانة. وهي، وفق تأكيدات «القواتي» السابق، ليست استثناءً، إذ «وين في قوات في مجموعات عسكرية»، ولكل منطقة هيكلية خاصة، تتألف من مسؤول عسكري وأفراد.

المسؤول العسكري

تعود إمرة العناصر إلى مسؤول عسكري محلّي تسميه معراب. وهو يتمتع بصلاحيات واسعة، وينسّق مع «غرفة معراب» عند حصول طارئ، ويتابع شؤون المنطقة مع مسؤولها السياسي (المنسق). ويبقى لـ«مجموعة معراب» تقدير ظروف التدخل. وفي حال حصوله، تتحول المجموعات المحلية إلى فرق إسناد للمجموعة الأم.

يتولى المسؤول العسكري المحلي أدواراً عدة تبدأ بتولّي الإشراف على تنشئة «القواتيين» وإدارة تحركهم على الأرض والتنسيق مع «معراب»، وإعداد التشكيلات وفرزها وتقسيم مناطق نفوذها وحضورها وطبيعة «القطع» الموضوعة في تصرفها. ويعاونه مساعدون على الأرض، يتولّى كل منهم إمرة مجموعة صغيرة، ويعودون جميعاً إلى المسؤول الأعلى لتلقي التوجيهات. يعتمد التقسيم العسكري القواتي على مبدأ الخلايا، وهو شبيه إلى حد ما بمبدأ «البقع» المعتمد لدى حزب الله. وليس ضرورياً أن يكون كل القواتيين عناصر عسكرية. ولكن بين مهام المسؤول العسكري رفع أسماء من يجده مناسباً من عناصره للخضوع لدورات وتأهيل عسكري عند الضرورة.

يؤكد القيادي القواتي السابق أن الدورات «لم تتوقف، وتدرّجت بحسب المراحل والظروف»، لكنها تستقر منذ أعوام على مستويات ضيقة، كاللجوء إلى إجرائها تحت جناح الكشافة والمخيمات الكشفية (تمتلك القوات اللبنانية جهازاً كشفياً يحمل اسم كشافة الحرية)، أو الاستفادة من المخيمات الصيفية للطلاب، كسائر الأحزاب تقريباً. في حالات أخرى، يستضيف مركز الحزب في معراب دورات داخل أماكن مغلقة للتدرب على استخدام الأسلحة الفردية (مسدس، كلاشنيكوف إم 16، PKC... وهي الأسلحة المعتمدة لدى المجموعات)، فيما المناورات والدروس التطبيقية الحية، والتمارين ذات الصلة بترسيخ الحياة العسكرية، تجرى غالباً على هامش المخيمات (تنتشر غالباً ضمن مناطق الشمال المسيحي أو في بعض نواحي كسروان)، يُستعاض فيها عن السلاح بنماذج بنادق بلاستيكية من الوزن نفسه أو ببنادق الـ paint ball، وذلك بعدما اكتشف الجيش أحد هذه المواقع قبل أعوام.

> عين الرمانة ليست استثناء... «وين في قوات في مجموعات عسكرية»

عسكرة من نوع آخر

وتؤكد التقارير الأمنية أن معظم عناصر شركة amn التي وظّفت عشرات الشبان أخيراً لحماية المنطقة ليلاً، بالتعاون مع النائب نديم الجميل في الأشرفية، يميلون إلى حزب القوات اللبنانية، سواء كانوا من المؤيدين أو المنتسبين. والأمر نفسه ينطبق على الناشطين في جماعة «جنود الرب» المموّلة من المصرفي أنطون الصحناوي. وفي تقدير الأجهزة أن «القوات» تستفيد من وجود هذه الجماعات واعتمادها على العنصر القواتي، وتتيح لها توفير حياة عسكرية وتنظيمية وأداء مهمات بعيداً عن أيّ دور واضح وعلني لمعراب.

المشهد السياسي

جلسة للحكومة تفاقم الأزمة في البلاد

التيار يقاطع وحزب الله يشارك لإقرار بند واحد

هل انتقل خصوم التيار الوطني الحر الى مرحلة الضغط الأقصى بقصد كسر النائب جبران باسيل؟

السؤال مردّه التوافق القائم فعلياً بين الرئيسين نبيه بري ونجيب ميقاتي والنائب السابق وليد جنبلاط وآخرين، على عقد جلسة كاملة لمجلس الوزراء بحجة دراسة ملفات طارئة. وهو الأمر الذي يعرف الجميع أنه سيفجر أزمة كبيرة مع التيار الوطني الحر قد تتوسع لتشمل مواقع مسيحية أخرى ترى أن حكومة ميقاتي الحالية غير قادرة على القيام بواجبات رئيس الجمهورية.

وبين الأطراف المعنية، بقّف حزب الله مجدداً في النقطة الأكثر حساسية، لأن موقفه من المشاركة أو عدمها سيرتّب تداعيات سياسية مختلفة. فالحزب يتفهّم من جهة ضرورة اتخاذ قرارات لمواجهة الأزمات القائمة، لكنه يتفهم أيضاً موقف باسيل والتيار الوطني الحر. وبعد الإعلان عن تحديد الجلسة يوم الاثنين، وزع جدول الأعمال، وباشر حزب الله اتصالات جانبية مع باسيل، لكنّ وجهته كانت تميل الى المشاركة، وخصوصاً أنه جرى الاتصال بوزير العمل مصطفى بيرم الموجود خارج لبنان وطلب إليه قطع زيارته والعودة الأحد الى بيروت للمشاركة في الجلسة. كما باشر مجلس العمل الحكومي في حزب الله درس جدول الأعمال الذي عرضته الأمانة العامة لمجلس الوزراء.

وإذا كان ميقاتي مرتاحاً الى أن حزب الله سيشارك، ولكنه يحتاج الى إخراج لهذه المشاركة، سرت معلومات عن احتمال أن يدخل حزب الله الى الجلسة لمناقشة بند وحيد يتعلق بتأمين تمويل وزارة الصحة للمستشفيات، ثم يغادر الجلسة. ولكن هذه الخطوة تبقى رمزية، لأن أصل الموضوع يتصل بفكرة انعقاد مجلس الوزراء، وهو الأمر الذي قد يترك تداعيات سلبية على العلاقة مع التيار الوطني الحر.

دعوة ميقاتي تمثل تصعيداً، بعدما سبقته مؤشرات إلى مُضيّ رئيس الحكومة في محاولاته انتزاع «شرعية» لحكومة تصريف الأعمال ربطاً بدلالاتها السياسية. ولم يغُب هناك مجال واسع للاجتهاد حيال اتجاهه قدماً، ومعه بري وجنبلاط، نحو قلب الستاتيكو الحكومي مهما بلغ مداه وحجمه وطبيعته، بالتأكيد أولاً على قدرة رئيس الحكومة على إدارة الحكم في البلاد بمعزل عن وجود رئيس للجمهورية، ومن ثم كسر باسيل بفرض واقع لا يُريده وإظهاره كطرف «معزول». وتتعزّز هذه الخلاصة أكثر فأكثر مع استماتة ميقاتي لإقناع حزب الله بالموافقة على مشاركة وزرائه بحجة أن «الضرورات تُبيح المحظورات»، وبـ«حاجة البلد إلى اتخاذ قرارات أساسية»، إلا أن الحزب « يحرص على التضامن مع التيار الوطني الحر ولم يتخذ بعد قراره النهائي بشأن المشاركة من عدمها».

وفيما حسمَ التيار الوطني الحر عدم مشاركته، قالت مصادره إنه «في صدد درس الخطوات المقبلة للرد على هذا التصعيد، ومن بينها فرض تحركات في الشارع احتجاجاً على تولّي حكومة تصريف الأعمال صلاحيات رئيس الجمهورية». وقالت أوساط سياسية إن «الاختلاف على شرعية انعقاد جلسة حكومة تصريف الأعمال في ظل الفراغ لا يبدو قابلاً لمعالجة قريبة، لا بل إن المعطيات تُنذر بأن الاشتباك على الصلاحيات سيأخذ البلاد إلى صراع سياسي ومذهبي حاد»، وخاصة مع تصلب ميقاتي وفي بعض الأحيان بري بموقفهما من دستورية الجلسات وحدود التشريع، جلسة يُدعون إليها.

رابعها، تبدو النزاعات والانقسامات الداخلية تدور من حول باسيل الذي

(هيثم الموسوي)

وبينما قال ميقاتي أمس «إنني وجّهت دعوة لعقد الجلسة الحكومية، وانتظر حضور الوزراء، لأن هناك الكثير من الأمور التي لا يحتمل البلد تأجيلها»، علمت «الأخبار» أن وزراء التيار (هنري خوري وموريس سليم وهكتور الحجار ووليد نصار ووليد فياض وجورج كلاس) لن يحضروا الجلسة، كذلك وزير الخارجية عبد الله بوحبيب (موجود خارج لبنان)، كما سيغيب عنها الوزير عصام شرف الدين (ممثل النائب السابق طلال إرسلان).

وتقول مصادر رئيس الحكومة إن الوزراء المسيحيين الذين سيشاركون هم: سعادة الشامي ونجلا الرياشي وجورج بوشكيان وجوني قرم وزياد مكاري، إضافة الى وزراء حركة أمل والوزير عباس الحلبي. وتشير أوساط حكومية الى أن قرار ميقاتي أتى عقب الاجتماع الذي حصل في السرايا الثلاثاء الماضي والذي ضمّ الى رئيس الحكومة ووزيري المال والصحة يوسف الخليل وفراس الأبيض، إضافة الى رئيس لجنة الصحة النيابية النائب بلال عبد الله ونقيب المستشفيات سليمان هارون. فخلال هذا الاجتماع، جرى البحث بكل الاحتمالات المتوفرة لإصدار قرار أو مرسوم بمنح المستشفيات اعتمادات ومستحقات لتأمين شراء أدوية السرطان والأمراض المزمنة، إلا أن المجتمعين لم يتوصّلوا الى حلّ قانوني من خارج إطار مجلس الوزراء. وعليه، حسم ميقاتي أمره بالدعوة الى جلسة حكومية الاثنين المقبل.

وكشفت مصادر سياسية بارزة أن «جدول الأعمال الذي جرى تسريبه يوم أمس لم يكُن النسخة الأولى، بل سبقه نسخة تحوي على حوالي 65 صفحة تضمنت أكثر من 600 بند؛ بينها موافقات استثنائية موقّعة من الرئيس السابق ميشال عون وعدد من المراسيم». وبعدما أبلغ حزب الله ميقاتي أنه يرفض حضور جلسة تتضمّن أموراً غير طارئة، عمد ميقاتي الى تعديل الجدول ليصير بالشكل الذي وزع على الوزراء أمس.

يشار الى أن جدول الأعمال لا يشتمل على البند الخاص بطلب أوجيرو تمويلاً مستعجلاً يحول دون خروج الشبكة عن الخدمة. وجرى الحديث عن «وعد» من ميقاتي لوزير الاتصالات بطرح الموضوع من خارج جدول الأعمال. وقد سبق لرئيس مؤسسة أوجيرو عماد كريدية أن راسل الوزير قرم، طالباً الحصول على سلفة خزينة بقيمة 577 مليار ليرة لبنانية، لتسديد ثمن المحروقات وتأمين مستلزمات الصيانة والتشغيل في 303 مراكز لخدمة الاتصالات في مختلف المناطق اللبنانية.

(الأخبار)

330 ألف دولار موازنة الرواتب السنوية

«الملائكة الحراس» يحمون الأشرفية

رضا صوايا

قبل أسابيع، أطلقت جمعية «أشرفية 2020»، عبر صفحتها على موقع «فيسبوك»، مبادرة «مراقبة الحي» التي تضم 120 شاباً من الأشرفية سيعملون كـ«ملائكة حراس» للسكان من السادسة مساءً حتى السادسة صباحاً، «بالتعاون الكامل مع الجيش وقوى الأمن الداخلي وبلدية بيروت». وأوضحت الجمعية أنها تعاقدت مع شركة أمنية تدعى A.M.N لـ«إدارة الخدمات اللوجستية وضمان رفاهية السكان».

اللافت أن الجمعية التي أسسها النائب نديم الجميل عام 2012 تدّعي في منشورها أنها تحركت «تلبية لمراجعات السكان الذين طالبوها مراراً بضمان راحتهم»، وهو أمر يثير الاستغراب. إذ لماذا قد يلجأ السكان في الأساس، وبغض النظر عن الوضع الأمني، إلى جمعية «غير حكومية وغير فئوية وغير سياسية تتولى تنظيم نشاطات إنمائية واجتماعيّة وإنسانية» كما تعرّف «أشرفية 2020» عن نفسها، للسهر على أمنهم؟

يوضح أمين سر الجمعيّة أكرم نعمة أن الأشرفية «تشهد تفلتاً أمنياً منذ مدة، حيث تفشت السرقات والعصابات وعمليات التشليح وكأنها أرض سائبة. لا تمر ليلة دون حصول عملية سرقة. إذا توجهنا إلى الدرك، يشكون من نقص العديد والعتاد ومن إضراب القضاة الذي يشلّ من قدرتهم على تسلّم بعض الحالات. فهل نقف مكتوفي الأيدي وننتظر؟».

يرفض نعمة أي حديث عن «أمن ذاتي» أو «ميليشيات» أو «محاولات تقسيمية» وغيرها من العناوين، ويدعو إلى عدم «تحميل المسألة أكثر مما تحتمل». فـ«الشباب مهذبون ومحترمون ومزوّدون فقط بمصابيح وعصيّ صغيرة ويرتدون سترات تحمل شعار الشركة، ويمنع عليهم منعاً باتاً التعاطي مع أي شخص أو السؤال عن هويته أو اسمه أو وجهته. وفي حال الاشتباه بأحد يجري التواصل فوراً مع القوى الأمنية أو المخابرات، إلا في حالة الجرم المشهود. حينها نلقي القبض على الفاعل من دون التعرّض له أو حتى التحقيق معه، وننتظر قدوم القوى الأمنية لتسلّمه».

بدأ «الملائكة» مهماتهم في أحياء السوديكو والتباريس وفرن الحايك وحيمري والحكمة، وتسعى الجمعيّة إلى تغطية كامل أحياء الأشرفية في غضون 100 يوم، مستعينةً بحوالي 120 شاباً من أبناء المنطقة، ينتشر 8 منهم في كل حي تحت إمرة «مشرف». ويوضح نعمة أن «معظم الشباب هم من العاطلين عن العمل ويتقاضى كل منهم 200 دولار شهرياً. وليس صحيحاً أنهم ينتمون إلى فئة سياسية معيّنة أو من مناصري الكتائب والنائب نديم الجميّل حصراً. فنحن على تعاون وتواصل مع كل الفئات في الأشرفية، ومنهم التيار الوطني الحر والنائب نقولا الصحناوي الذي نتعاون معه».

وعن العدد الذي يتطلب ميزانية ضخمة لا تقل عن 300 ألف دولار سنوياً لناحية الرواتب فقط، يؤكد نعمة «أن التمويل مؤمّن لمدة شهرين، ونحن كجمعيّة لا ندفع مباشرة للشباب، بل ندفع لشركة الأمن التي تتولى دفع الرواتب. أما مصادر التمويل فمؤمّنة من خلال المجتمع المحلي وأهل الأشرفية من مقيمين ومغتربين وأصحاب المؤسسات التجاريّة والسياحيّة الذين يرغبون بدعم المبادرة». هل يعني ذلك فرض «خوّات»؟ يجيب: «لا يوجد أي خوات، والأمر متروك للناس ولمن يرغب».

رغم ذلك، يتردد اسم رئيس مجلس إدارة مصرف «سوسيتيه جنرال» أنطون الصحناوي كأحد أبرز الممولين للجمعيّة، إضافة إلى انتماء العديد من الشباب إلى مجموعة «جنود الرب» المقربة منه أو التابعة له.

تطمينات نعمة حول محدودية دور الشباب والضوابط المفروضة عليهم لا تلغي توجّس كثيرين، ومنهم القوى الأمنية التي تؤكد معلومات «الأخبار» أنها لم تمنح أي موافقة خطية للشركة، بأن الموضوع قيد المتابعة والدرس، وخصوصاً أن هذه مسألة حساسة ودقيقة في بلد مثل لبنان، رغم أن مثل هذه المبادرات شائعة في عدة دول حول العالم.

وفيما يرفض رئيس المجلس البلدي لمدينة بيروت جمال عيتاني «محاولات فرض أي شكل من أشكال الأمن الذاتي في بيروت»، مؤكداً أن المجلس البلدي «لم يمنح أي موافقة ولو طلبوها هم أو سواهم، فما كنا لنقبل»، يؤكد محافظ بيروت القاضي مروان عبود، من جهته، أنه لم يمنح أي إذن للشركة، «وقبلهم هنالك من حاول القيام بأمر مماثل في شارع الحمرا، لكن يبدو أنهم لم ينجحوا في تأمين التمويل اللازم». ويلفت إلى أن «شركات الأمن تستحصل على التراخيص للشباب، بل ندفع لشركة الأمن التي تتولى دفع الرواتب. أما مصادر التمويل فمؤمّنة من خلال المجتمع المحلي وأهل الأشرفية من مقيمين ومغتربين وأصحاب المؤسسات التجاريّة والسياحيّة الذين يرغبون بدعم المبادرة». هل يعني ذلك فرض «خوّات»؟ يجيب: «لا يوجد أي خوات، والأمر متروك للناس ولمن يرغب».

رغم ذلك، يتردد اسم رئيس مجلس إدارة مصرف «سوسيتيه جنرال» أنطون الصحناوي كأحد أبرز الممولين للجمعيّة، إضافة إلى انتماء العديد من الشباب إلى مجموعة «جنود الرب» المقربة منه أو التابعة له.

تطمينات نعمة حول محدودية دور الشباب والضوابط المفروضة عليهم لا تلغي توجّس كثيرين، ومنهم القوى الأمنية التي تؤكد معلومات «الأخبار» أنها لم تمنح أي موافقة خطية للشركة، بأن الموضوع قيد المتابعة والدرس، وخصوصاً أن هذه مسألة حساسة ودقيقة في بلد مثل لبنان، رغم أن مثل هذه المبادرات شائعة في عدة دول حول العالم.

وفيما يرفض رئيس المجلس البلدي لمدينة بيروت جمال عيتاني «محاولات فرض أي شكل من أشكال الأمن الذاتي في بيروت»، مؤكداً أن المجلس البلدي «لم يمنح أي موافقة ولو طلبوها هم أو سواهم، فما كنا لنقبل»، يؤكد محافظ بيروت القاضي مروان عبود، من جهته، أنه لم يمنح أي إذن للشركة، «وقبلهم هنالك من حاول القيام بأمر مماثل في شارع الحمرا، لكن يبدو أنهم لم ينجحوا في تأمين التمويل اللازم». ويلفت إلى أن «شركات الأمن تستحصل على التراخيص للشباب، بل ندفع لشركة الأمن التي تتولى دفع الرواتب. أما مصادر التمويل فمؤمّنة من خلال المجتمع المحلي وأهل الأشرفية من مقيمين ومغتربين وأصحاب المؤسسات التجاريّة والسياحيّة الذين يرغبون بدعم المبادرة». هل يعني ذلك فرض «خوّات»؟ يجيب: «لا يوجد أي خوات، والأمر متروك للناس ولمن يرغب».

رغم ذلك، يتردد اسم رئيس مجلس إدارة مصرف «سوسيتيه جنرال» أنطون الصحناوي كأحد أبرز الممولين للجمعيّة، إضافة إلى انتماء العديد من الشباب إلى مجموعة «جنود الرب» المقربة منه أو التابعة له.

تطمينات نعمة حول محدودية دور الشباب والضوابط المفروضة عليهم لا تلغي توجّس كثيرين، ومنهم القوى الأمنية التي تؤكد معلومات «الأخبار» أنها لم تمنح أي موافقة خطية للشركة، بأن الموضوع قيد المتابعة والدرس، وخصوصاً أن هذه مسألة حساسة ودقيقة في بلد مثل لبنان، رغم أن مثل هذه المبادرات شائعة في عدة دول حول العالم.

وفيما يرفض رئيس المجلس البلدي لمدينة بيروت جمال عيتاني «محاولات فرض أي شكل من أشكال الأمن الذاتي في بيروت»، مؤكداً أن المجلس البلدي «لم يمنح أي موافقة ولو طلبوها هم أو سواهم، فما كنا لنقبل»، يؤكد محافظ بيروت القاضي مروان عبود، من جهته، أنه لم يمنح أي إذن للشركة، «وقبلهم هنالك من حاول القيام بأمر مماثل في شارع الحمرا، لكن يبدو أنهم

في الواجهة

هل يغيّر اجتماع الحكومة قواعد اللعبة؟

بعد دعوة الرئيس نجيب ميقاتي حكومته الى جلسة لمجلس الوزراء الاثنين المقبل، باتت ثمّة قواعد جديدة للعبة الدائرة منذ نهاية ولاية الرئيس ميشال عون. التئام الجلسة وتمكّنها من اتخاذ قرارات هو أول الغيث

نقولا ناصيف

مع أن الدعوة هي الأولى لمجلس وزراء حكومة تصريف الأعمال منذ استقالتها حكماً في أيار الفائت، إلا أن طابع استعجال انعقاد الجلسة عكس دفعاً جديداً للاشتباك القائم من حول مثلث المؤسسات الدستورية الثلاث المعطلة، رئاسة الجمهورية والسلطتان الإجرائية والاشتراعية. فحوى الدعوة هذه أكثر من كسر حلقة الجمود. هو أقرب الى إعادة توزيع الأدوار والأحجام وقلب القواعد المثبّتة. ليست ذريعة العجلة سوى استعجال قطف الثمرة فوراً أولاً، وتسجيل السابقة. الأربعاء المقبل، يغادر الرئيس نجيب ميقاتي بيروت ويغيب عن البلاد الى الأحد، فيما الأسبوع الذي يلي يمهّد لعطلة الأعياد التي تجرجر الى ما بعد رأس السنة الجديدة. هي الروزنامة المنطقية لتوجيه رسالتين ملحّتين: أولى أن اجتماع حكومة تصريف الأعمال لمعالجة مشكلات معيشية واجتماعية طارئة، ناهيك بالمعلن وهو مستحقات المستشفيات. وثانية أن الجلسة، إذا لم يتعثر انعقادها في الدقيقة الأخيرة، ستقدم اختباراً لطريقة إدارة المرحلة المقبلة في شغور طويل، وربما أكثر من المتوقّع له.

المطّلعون على مسار الجهود المبذولة للمهّدة لاجتماع حكومة تصريف الأعمال يوردون بضعة معطيات متصلة بالقرار المستجد: أولها، دعم الرئيس نبيه برّي ووليد جنبلاط اجتماع مجلس الوزراء بفعل عامل الضرورة في قضايا ملحّة لا تقتصر على مشكلة أو ملف واحد، بل فاتحة اجتماعات تالية. اجتماع كهذا لا يخرج بدوره عن التعهّد الذي قطعه ميقاتي للبطريرك الماروني مار بشارة بطرس الراعي عشيّة نهاية ولاية عون بحصر الاجتماعات. إذا عقدت. بما يستجدّ ولا يحتمل تأجيله. المطّلعون على موقف رئيس البرلمان يلمسون منه ضرورة تحريك الوضع الحكومي كتعويض عن الانسداد المطبق على انتخابات رئاسة الجمهورية ومحاولة تحريك عجلة السلطات.

ثانيها، لا يخفي على الجلسة المفترض انعقادها الاثنين الموقف المعلن سابقاً من رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل، وهو رفضه التئام حكومة تصريف الأعمال وتلويحه بعدم مشاركة وزراء التيار وحلفائه في أي جلسة انطلاقاً من طعنه المسبق بأهلية اجتماعها ودستورية قراراتها. بيد أن الإعلان عن الدعوة أمس أتاح، الى الاثنين على الأقل، الاعتقاد بصحة ما سرى همساً في أوساط المعنيين من أن رئيس الحكومة لم يوجّه الدعوة الا بعد تيقّنه من تجاوز قطوع تعطيل نصاب الاجتماع، وهو حضور ثلثي الوزراء. يقول المطلعون إن أي اجتماع تعقده الحكومة سيحضره 16 وزيراً على الأقل، وهم ثلثا مجلس الوزراء المنصوص على نصابهم في المادة 65 من الدستور. ذلك يفضي الى قانونية الاجتماع، وكذلك قراراتها وتوقيعها المقصور . خلافاً لعرف استثنائي درج إبّان حكومة الرئيس تمّام سلام عامَي 2014 و2016 . على توقيع رئيس مجلس الوزراء والوزير المختص أو الوزراء المختصين.

ثالثها، ليس اجتماع الحكومة، المؤهّل لأن يتوالى فصولاً في ما بعد تبعاً للقضايا المطروحة أمامها وحاجاتها، سوى خطوة ممهّدة لإجراء آخر سيليها في ضوء نجاح تجربتها، هو إحياء جلسات الهيئة العامة لمجلس النواب. بحسب المطّلعين على موقف برّي، فهو مصرّ على إخراج البرلمان من دوامة الفراغ الذي يتخبّط فيه، وقد بات مقتصراً على جلسات غير مجدية لانتخاب رئيس للجمهورية. يأخذ رئيس المجلس في الاعتبار تلويح الكتل المسيحية كالتيار الوطني الحر وحزبَي القوات اللبنانية والكتائب وبعض المستقلّين بمقاطعة أي جلسة اشتراع للبرلمان قبل انتخاب رئيس جديد للجمهورية، ما يُجرّد انعقاده في غيابهم عن ميثاقية ما يصدر عنه. في فحوى الجهود الأخيرة لبرّي أن 18 نائباً مسيحياً أخطروه باستعدادهم لحضور أي جلسة يُدعون إليها.

رابعها، تبدو النزاعات والانقسامات الداخلية تدور من حول باسيل الذي رفع منذ نهاية ولاية الرئيس السابق ثلاثة فيتوات أقرب الى لاءات ثلاث دفعة واحدة، كانت كافية لجعل السلطات الدستورية الثلاث في حكم المعطّلة: لا لترشيح سليمان فرنجية ولا لاجتماع حكومة تصريف الأعمال ولا لانعقاد مجلس النواب للتشريع. بينما اتخذ الفيتو الأول بعداً سياسياً متداخلاً بدوافع شخصية، يبدو صاحبه وحيداً في الفيتو الثاني، ومحاطاً بالكتل المسيحية . دونما أن ترغب أو تشاء . في الفيتو الثالث الذي يجعلها متقاطعة معه في إبلاء انتخاب الرئيس ما عداه، وتالياً مقاطعة اجتماعات البرلمان. بذلك يتصرّف باسيل كأنه في مواجهة الجميع

> برّي مصرّ على عقد جلسات للمجلس للتشريع، وتبلّغ مشاركة 18 نائباً مسيحياً

وقادر على امتلاك زمام المبادرة. لذا عنى تحديد الاثنين موعد انعقاد الحكومة أولى محاولات كسر حلقة الحصار من حول المؤسسات الدستورية.

خامسها، وقد يكون بالفعل مكمن اللغز، هو موقف حزب الله من الفيتوات الثلاثة تلك. يتقاسم الحزب مع باسيل، ناهيك ببرّي، لعبة الأوراق البيض في جلسات انتخاب رئيس الجمهورية بحيث تبدو هذه كتلة متراصة مسيطراً عليها بسهولة بدليل محافظتها على الحد الأدنى من الأصوات البيض التي تحوزها. بيد أن التقاسم هذا يُضمر تناقضاً عميقاً بين الثنائي الشيعي الذي يدعم ترشيح فرنجية، وباسيل الذي يرفضه ولا يكتفي بمعارضته. لم يفضِ هذا التعارض بعد الى خلاف علني صعب بين الحزب والتيار كما لو أن البتّ الفعلي في مصير ترشيح الزعيم الزغرتاوي مؤجّل الى وقت غير معروف، فيما المواجهة مكرسة حالياً على إصدار الوقت بالأوراق البيض.

منذ ما قبل نهاية ولاية عون، إبّان الجهود المتعثرة لتأليف حكومة، اختفى حزب الله من صدارة الأحداث ما خلا اتصالات خجولة لم يرم منها الى حسم الخلافات. مذاك يتخذ موقف المتفرج دونما أن يخفيَ انحيازه الى باسيل عندما قال نواب في الحزب إنهم لا يشجعون على التئام حكومة تصريف الأعمال في مرحلة الشغور الرئاسي. كذلك تقبّل الحزب على مضض الانتقادات التي صوّبها إليه باسيل، وتحديداً نحو ترشيح فرنجية وسلّم بإرباكه له. الآن، على أبواب جلسة الاثنين، أضحى أمام استحقاق غير مؤجل. مشاركة وزيريه في حكومة تصريف الأعمال لا توفر نصاب ثلثيها فحسب للالتئام، بل توجّه رسالة سلبية الى باسيل بعدم مجاراته تعطيل الجلسات وإن لدوافع ملحّة أو استثنائية.

مونديال 2022

ذكر العديد من التقارير أنّ علاقة برونو وبرونالدو اشبه بجمر تحت الرماد (أ ف ب)

خرجت بلجيكا من الباب الضيّق للمونديال (أ ف ب)

خيانة، حقد، غيرة ومشاكل

«صدام النجوم» يخرّب المنتخبات الكبرى

دائماً تُبنى الآمال على النجوم في البطولات الكبرى، إذ إن حصد الذهب وإصابة المجد هما مسائل حصرية ترتبط بهم فقط لا غير. لكن نهائيات كأس العالم الحالية كشفت عن تحوّل بعض هذه النجوم من نعمةٍ الى نقمةٍ في منتخباتهم، بحيث قد يؤدي تأثيرهم السلبي فنياً او معنوياً الى نتائج كارثية. وهو ما يبدو واضحاً من خلال حالات عدة

شربل كريّم

كرة القدم لعبة جماعية بامتياز، لا على صعيد تبادل الكرة بين اللاعبين فقط وإنما في روح الجماعة التي تطغى على الفريق، فتجعل منه كتلة متماسكة وقوية. وهذا الأمر يتعزّز عندما تكون هذه الروح مرتبطة بالوطنية، وهي الكلمة التي لا شيء يمثّلها أكثر من المنتخب.

لكن الواقع أن الصورة تبدّلت في العصر الحديث للعبة، حيث الهمّ الأول للنجوم هو صورتهم الشخصية، إذ إن الأنانية أصابت الأكثرية الساحقة منهم، فبات اسم النجم أهم من سمعة منتخب بلاده، وأصبحت الغيرة حاضرة في الكثير من غرف الملابس، والكره وتصفية الحسابات الشخصية أيضاً، ما جعل المنتخبات تدفع الثمن، ومنها من هو موجود في المونديال الحالي.

بلجيكا «خرابة»

منتخب بلجيكا هو الدليل الصارخ على هذا الكلام، إذ إن «الشياطين الحمر» تحوّلوا من رقم صعب على الساحة الدولية الى منتخبٍ يعاني على مختلف المستويات، والسبب هو كثرة الصدامات في قلب تشكيلته بين لاعبيه، والتي دمّرت ما تبقّى مما سُمّي بالجيل الذهبي الذي قاد المنتخب الى المركز الثالث في مونديال 2018، لكنه خيّب الآمال بخروجه المبكر من مونديال 2022.

المدرب الإسباني للمنتخب البلجيكي روبرتو مارتينيز اعترف علناً بأن هناك بعض الإشكالات في تشكيلته، ولعل الأبرز بينها هي تلك التي ترتبط باثنين من كبار اللاعبين، والتي يبدو أن حَصْتها ضربت المنتخب بقوة وجعلته عرضة للخروج المبكر من العرس الكروي، وخصوصاً بعد الخسارة أمام المغرب حيث تردّد أن أوّل ارتداداتها كان مواجهة عاصفة بين نجوم الفريق في غرفة تبديل الملابس.

أما الصادم فهو ما تبيّن بأن نجم المنتخب كيفن دي بروين وحارس المرمى تيبو كورتوا لا يتبادلان الكلام منذ سنوات لأسباب خاصة، تبيّن أنها ترتبط بإقامة صَديقة دي بروين السابقة علاقة مع كورتوا قبل حوالى الـ 10 أعوام، وذلك ردّاً على خيانته لها مع إحدى صديقاتها، الأمر الذي أثار غضب لاعب وسط مانشستر سيتي الذي قطع علاقاته بزميله في المنتخب.

الوضع نفسه ينطبق على لاعبين آخرين لأسباب مختلفة، إذ لا سلام ولا كلام أيضاً بين إيدين هازار وليلباندرو تروسار، وبين الهدّاف روميلو لوكاكو وبديله الدائم ميتشي باتشواي. وتتسع دائرة المشاكل أكثر بعد خروج تقارير أفادت بأن دي بروين وهازار ويان فيرتونغن اصطدموا ببعضهم البعض عقب الخسارة الأخيرة أمام المغرب، علماً بأن عدداً من لاعبي بلجيكا لم يهضموا تصريحات نجم السيتي قبل المونديال عندما قال إن بلاده لا يمكنها الفوز باللقب بسبب وجود عددٍ كبير من اللاعبين المتقدّمين في السن في التشكيلة.

هذا المشهد يعيدنا الى عام 2010 حيث شهد المونديال مشاكل جمّة في التشكيلة الفرنسية، ومنها ارتبط ببعض النجوم الكبار والمدرب ريمون دومينيك الذي قيل إنه نبذ أمثال تييري هنري، فلوران مالودا، ويليام غالاس، ونيكولا أنيلكا الذي شتمه، فقرر الاتحاد الفرنسي طرده من معسكر المنتخب وهو أمر عارضه بعض اللاعبين، لا بل إن آخرين مثل باتريس إيفرا ذهب الى أبعد من ذلك بدخوله في عراكٍ مع المعدّ البدني روبير دوفورن الذي اتهم قائد المنتخب عامذاك بالخيانة بعدما أخبره بأن اللاعبين لن يقبلوا بالتدرّب.

> **صديقة دي بروين السابقة انتقمت منه بإقامة علاقة مع كورتوا، ما قطع العلاقة بين النجمين**

البرتغال على وشك...

حوادث بلا شك ضربت مشوار المنتخب الفرنسي، الذي قيل إنه يعيش حالة انشقاق جديدة في صفوفه بسببها أداء الظهير الأيمن بنجامان بافار.

بافار الذي قدّم أداء متواضعاً في المباراة الأولى لفرنسا، أصبح الخيار الثالث على الجهة اليمنى دفاعاً رغم أنه كان يحظى بدعم كبير من مدرب «الديوك» ديدييه ديشان، الذي أبدى غضبه من إيماءات لاعبه وعدم التزامه بالتعليمات خلال مواجهة أوستراليا! ويبدو أن أداء بافار أزعج أيضاً بعض زملائه ودفعهم إلى انتقاده، وخاصة عثمان ديمبيلي، بينما يحظى لاعب بايرن ميونيخ بدعم لاعبين آخرين مثل أوليفييه جيرو والقائد هوغو لوريس.

كل هذه الحوادث تخشاها منتخبات عدة حالياً، ومنها البرتغال التي دخلت الى كأس العالم على وقع مشاهد غريبة، كان الأكثر انتشاراً بينها محاولة لاعب الوسط برونو فرنانديش تجاهل وصول زميله النجم كريستيانو رونالدو إثر المقابلة الشهيرة التي أجراها الأخير وهاجم خلالها ناديهما مانشستر يونايتد بقساوة.

المشهد الغريب انتهى بمصافحة باردة، وانتصارا البرتغال في هذا المونديال لا يمكن أن يبعدا ما حصل من إذهان الجميع، وخصوصاً بعدما تألّق برونو بشكل كبير في أوّل مباراتين، لكن الأضواء بقيت دائماً مسلّطة على رونالدو، وأيضاً عندما سجل برونو الهدف الأول أمام الأوروغواي فشغل الـ«سي آر 7» العالم والإعلام وحتى الشركة المصنّعة للكرة بعدما احتفل بالهدف إثر تمريرة الأول، فأصبح الحديث العام «الكرة لمست شعر رونالدو... الكرة لم تلمس شعره».

وما زاد الطين بلّة هو الإعلام الذي سكب الزيت على النار عندما ذكرت بعض الصحف أن الاتحاد البرتغالي سيتقدّم بمراجعة الى نظيره الدولي لاحتساب الهدف لمصلحة رونالدو، ما سيجعله الهداف التاريخي للبرتغال في كأس العالم بالشراكة مع «الأسطورة» أوزبيبو. كلامٌ لا شك في أنه مستفزّ بالنسبة الى برونو ولو أنه غير صحيح، إذ لا يمكن أن يفرّق الاتحاد البرتغالي بين لاعبَيه ويفضّل أحدهما على الآخر.

بطبيعة الحال، الجمهور يلفظ نجومه في بعض الأحيان، فها هي البرازيل تشهد موجة انتقاداتٍ لنيمار بعد إصابته مرةً جديدة وابتعاده عن «السيليساو». انتقاداتٌ قد لا تكون في محلّها بالنسبة الى الكثيرين، وخصوصاً أن موجة مضادة في «بلاد السامبا» خرجت لتردّ ببساطة بأن المرشح الأول للفوز بكأس العالم يؤدّي أفضل من دون صاحب القميص الرقم 10.

مونديال المفاجآت

الخطأ ممنوع في الأدوار الإقصائية

تأهلت كوريا بعد فوزها على البرتغال أمس (أ ف ب)

تلعب هولندا اليوم مع أميركا (أ ف ب)

هدفي كوريا يونغ-غوون كيم (27) وهي تشان هوانغ (90+1)، فيما أحرز ريكاردو هورتا هدف البرتغال الوحيد (5).

من جهتها، فازت الأوروغواي على غانا (2-0)، ولكن هذا لم يشفع لها بالتأهل بعد احتلالها المركز الثالث في المجموعة الثامنة. ونجحت غانا بمنع الأوروغواي من التأهل، كون الأخيرة كانت تحتاج الى هدف فقط لتعبر مكان كوريا. وبذلك يكون المنتخب الإفريقي قد ثأر للخسارة التي مُني بها على يد الأوروغوانيين في مونديال 2010، بعدما صدّ لويس سواريز كرة الهدف القاتل لهم بيده.

أما في المجموعة السابعة، فقد حقّقت الكاميرون إنجازاً تاريخياً بفوزها على البرازيل (1 . 0). هدف سجله القائد فينسون بويكار في الوقت بدل من الضائع من الشوط الثاني. ولم تسرق الكاميرون الفوز، بعدما قدمت مباراة رائعة أضاعت خلالها الكثير من الأهداف. الخسارة هي الأولى للبرازيل في دور المجموعات بالمونديال منذ نسخة فرنسا 1998. ولكن رغم الفوز، تأهلت البرازيل (6 نقاط) برفقة سويسرا (6) الفائزة على صربيا بثلاثة أهداف لهدفين. انتهى الدور الأول، ولكنه سجل نقاطاً مضيئة للقارتَين الآسيوية والإفريقية.

حسين سقور

يعوّل المنتخب الأرجنتيني على نجمه ليونيل ميسي عندما يواجه مساء اليوم (الساعة 21:00) نظيره الأوسترالي ضمن منافسات الدور الثاني من بطولة كأس العالم لكرة القدم. الخطأ ممنوع على الأرجنتينيين، إذ لا يمكن التعويض كما حصل في الدور الأول من البطولة. وكان «التانغو» قد سقط أمام السعودية (2 . 1)، قبل أن يعود ويعوّض بفوزين على المكسيك وبولندا توالياً بالنتيجة ذاتها (2 . 0)، ليتأهل الى الدور الثاني. وتتألق الأرجنتين عندما يكون ليونيل ميسي في مستواه، حيث يكون قادراً على خلق المساحات وصناعة الفرص لزملائه. وبرز في المنتخب نجوم صغار يقدّمون أداءً مميزاً، على رأسهم أليكسيس ماكاليستر وإنزو فيرنانديز وجوليان ألفاريز... ويقدم رودريغو دي بول أداءً استثنائياً في وسط الملعب خلال المونديال الحالي، ويساهم في خلق توازن أكبر بين الدفاع والهجوم، ويصنع الخطر على الخصوم.

المباراة سهلة على الورق للأرجنتينيين، ولكن ما حصل في مباراة السعودية يمكن أن يتكرر في أي لحظة، وهو ما يدركه مدرب الأرجنتين ليونيل سكالوني جيداً، حيث أعدّ لاعبيه جيداً على المستوى المعنوي.

وحتى مساء أمس، كانت الشكوك تحوم حول مشاركة المهاجم أنخيل دي ماريا في المباراة ضد أوستراليا بسبب إصابة خفيفة تعرّض لها ضد بولندا في الدور الأول، بحسب ما أكد سكالوني أمس. وسيقرر المدرب اليوم ما إذا كان اللاعب سيلعب أو لا.

وعند الساعة (17:00) تلتقي هولندا مع أميركا في مباراة تميل فيها الكفة لمصلحة الهولنديين، في ظل وجود لاعبين مميزين هم فيرجيل فان دايك وفرنكي دي يونغ والنجم الصاعد كودي خاكبو. وتعوّل هولندا أيضاً على خبرة مدربها لويس فان خال الذي لم يخسر في آخر 10 مباريات قادها في كأس العالم مع منتخب بلاده، إذ إن الهزيمة أمام الأرجنتين في نصف نهائي 2014 كانت بركلات الترجيح. ورغم التفوّق النظري، فإنّ على الهولنديين التركيز لتجنّب أيّ مفاجأة أوسترالية.

> **حققت الكاميرون فوزاً تاريخياً على البرازيل بهدف دون رد**

إنجاز آسيوي - إفريقي

في الجولة الأخيرة من دور المجموعات يوم أمس، صنع المنتخب الكوري الجنوبي الحدث بفوزه على البرتغال بنتيجة (2 . 1)، ليعبر معها الى الدور الثاني، ويصبح بذلك المنتخب الآسيوي الثالث في الدور الثاني مع اليابان واوستراليا. وسجّل

أرقام
كأس العالم

عدد المباريات
48

عدد الأهداف
120

معدّل الأهداف
2.5 في المباراة

عدد الهدافين
90

افضل هدّاف
إينر فالنسيا (الإكوادور) 3
كيليان مبابي (فرنسا) 3
كودي غاكبو (هولندا) 3
ماركوس راشفورد (إنكلترا) 3
الفارو موراتا (إسبانيا) 3

افضل صانع اهداف
هاري كين
3

الشباك النظيفة
31

مباريات اليوم

اليوم 2022/12/3
هولندا x اميركا 17:00
الارجنتين x اوستراليا 21:00

الاحد 2022/12/4
فرنسا x بولندا 17:00
إنكلترا x السنغال 21:00

مؤسسات الرعاية الاجتماعية في لبنان
دار الأيتام الإسلامية

بيـــــان

عقد اعضاء مجلس ممثلة مؤسسات الرعاية الاجتماعية - دار الايتام الاسلامية يوم الاثنين بتاريخ ٢٠٢٢/١١/٢٨ - الموافق ٤ جمادى الاولى ١٤٤٤هـ عند الساعة الخامسة عصراً في المقر العام – الزاهر، جلسة انتخاب رئيس جديد واعضاء لمكتب المجلس للاعوام ٢٠٢٣ - ٢٠٢٤ -٢٠٢٥، وذلك مع قرب انتهاء مدة ولاية المجلس الحالي .
وقد جرت عملية الانتخاب بحضور الاعضاء الحاليين و تم انتخاب :
رئيس العمدة : الاستاذ عارف عبد الله الباقي
الرئيس الفخري : الاستاذ فاروق كمال بك جبر
نائب الرئيس: السيدة ندى سلام نجا
امين السر : السيدة سوسن الوزان جبري
الامين المالي :السيدة ناهد الزين نعناني

اما اسماء اعضاء مجلس العمدة لدورة ٢٠٢٣-٢٠٢٥ فهم:
"دولة الرئيس د. سليم الحص (عضو شرف)

معالي الوزير د .بهيج طبارة	الاستاذ م.معزّ الصواف
معالي الوزير د. خالد قباني	السيدة رندة محاسني
الاستاذ بسام بدران	الاستاذ طلال الصلح
الاستاذ محمد غندور	الاستاذ وسام العريس
معالي الوزير أوليد داعوق	الاستاذ حسان عز الدين
د.نبيل قرنفل	معالي الوزير أ. عادل افيوني
الاستاذ م.حسن قرطم	الاستاذ عمرو نحاس
الاستاذ فؤاد السعيد	دولة الرئيس البروفيسور حسان دياب
السيدة رولا عيتاني قرنفل	الاستاذ م.زياد كنعان
السيدة هالة شقير عيتاني	

وكان مجلس العمدة قد أقر بالاجماع تعيين الاستاذ بشار قوتلي مديراً عاماً لمؤسسات الرعاية الاجتماعية – دار الايتام الاسلامية، والذي استلم مهامه بشكل فعلي في شهر اب ٢٠٢٢ .
وقد تمنى المجتمعون التوفيق والسداد للرئيس واعضاء مكتب المجلس و المدير العام، لما فيه خير المؤسسات والصالح العام.

بيروت في ٢٠٢٢/١٢/١

سيرة الحكم في لبنان في سيرة صائب سلام [18]

اسعد ابو خليل*

لا يزال حديثنا هنا عن مذكّرات صائب سلام التي صدرت حديثاً في ثلاثة أجزاء بعنوان: «صائب سلام: أحداث وذكريات». وقلتُ من قبل إن الأجزاء الثلاثة هي يوميّات دوّنها صائب ونشرتها العائلة كما هي من دون تصحيح أو تنقيح أو تحرير، مع أنها تنقل صورة معبّرة عن مكنونات صائب سلام وتفكيره في محطات تاريخيّة هامّة شارك هو في صنع بعضها. وتضمّنت اليوميّات في الجزء الثالث بعض ما جاء في أحاديث صائب مع الصحافي شكري نصرالله في سنوات إقامته في جنيف.

ويروي صائب بتفصيل عن سعة المعارضة والرفض الإسلاميّ العارم لترشيح بشير الجميّل. وزارته وفودٌ إسلاميّة كي يتزعّم حملة الرفض الإسلامي لترئيس بشير وكان كامل الأسعد في البدء رافضاً لتعيين جلسة لانتخاب الرئيس تحت الاحتلال الإسرائيلي، وكان النائب الرحسن، نصري المعلوف، رافضاً، سرّاً، وتحدّث عن حالة خوف من بشير، حتى عند كميل شمعون الذي تعرّض لضغط هو الآخر (ص. 1078، ج2). ورفض ترشيحه أيضاً هنري فرعون وفؤاد لحّود وفؤاد نفاع. كم أن كل ذلك غائبٌ عن سرديّات المرحلة في أذهان الناس اليوم. لكن عبد اللطيف الزين ورفيق شاهين حاولا الخروج من «الإجماع الإسلامي» لكن بحذر، عن «الإجماع الإسلامي» لكن تحدّث، بصراحة، عن «الوزير المرّ والملايين التي يلوّح بها للكثيرين...ابتدأتُ أشعر بأن هنالك تراجعاً في الموقف الإسلامي» (ص. 1080، ج2). وكان عثمان الدنا من القلّة التي ناصرت بشير مبكراً فقرّعه صائب تقريعاً شديداً قائلاً (في إشارة إلى حياته الشخصيّة): «ولو كنتُ متزوجاً من هنا من عند الموارنة، فليس لك سوى أن تصير مارونياً حتى تبقى حيث أنتَ». ويقول صائب عن المال: «بلغني أن ميشال المرّ وميشال إده قد زاراه (مجيد أرسلان) كما زارا عثمان الدنا وحتى كامل الأسعد» (وفي هذا اللقاء مع المرّ، غيّر كامل الأسعد موقفه بالكامل، حسب ما علمتُ آنذاك). القليل أو الكثير من المال يمكن له أن يغيّر مواقف إسلامية ومسيحيّة وملحدة في لبنان.

وتحدّث صائب عن حصار «الكتائب» و«القوات» القاسي لبيروت الغربيّة وعن رمي أرغفة الخبز على الحواجز و«كانوا يأخذون السندويشات من أفواه الأطفال ويرمونها على الطريق. هذا بالإضافة إلى شتائمهم للمسلمين، للنبيّ والقرآن» (ص. 1091، ج2). هذا عن الرجل الذي يقول البعض عنه اليوم إنه وحّد اللبنانيّين والمجاهرة بعداء متعصّب ضد الإسلام من قبل الانعزاليّين غائب في سرديّة الحرب الأهليّة. هؤلاء كان ينشرون الكتب في ذم الإسلام ونبيّ الإسلام. لا، ليست الحرب كلّها عن التوطين الفلسطيني. ويبدو أن السعوديّة، كما في عام 1976، خدعت صائب وأفهمته أن الملك فهد يعارض ترشيح بشير (ص. 1110، ج2). ووجد صائب ولبد جنبلاط «محطّ المعنّويات إلى أبعد الحدود» ويريد «ضمانة من السعوديّة». ويضيف صائب عن جنبلاط الذي كان أحياناً يخوّنه: «أما جنبلاط فقد أصبح مطواعاً لي، يفوّض إليّ الأمر مطلقاً» (ص. 1125، ج2). أما نبيه برّي فكان مصرّاً أن يتواجد في الاجتماع مع «من يقابل بشير الجميّل» من الصف الإسلامي (بعد تنصيبه) (ص. 1116، ج2). وكان موقف سليم الحصّ ومالك سلام ورشيد كرامي الأكثر تشدّداً حتى وصف صائب، لكن ما إن يلتقي صائب ببشير حتى يصبح موقفه إيجابياً منه، متناغماً مع الإيجابيّة السعوديّة. فجاة، يكتشف صائب أن بشير «نظيف» (ص. 1126، ج2)، يغتسل بالماء والصابون.

واغتيل بشير والكعادة تقاطر قادة الحركة الوطنيّة إلى منزل صائب يطلبون منه المشورة والنصح - من مرجع كانوا يعتبرونه قبل أشهر رجعيّاً ومتخاذلاً ويمينيّاً. الأميركيّون نقلوا إلى صائب أن الإسرائيليّين لن يدخلوا بيروت، فيما يتصل موظّف في السفارة السعوديّة بصائب ليقول له إنّ الإسرائيليّين غشاشون (ص. 1133، ج2). ويبادر صائب إلى ترشيح أمين الجنّاني عن «الكتائب أنهم الأداة في مجازر صبرا وشاتيلا»، أي إن صائب يعترف أنه أراد طمس الغطاء الإسرائيلي الكتائبي لتنصيب أمين الجميّل رئيساً ولتبرئة «الكتائب» من المجزرة الفظيعة (ص. 1142، ج2). ويعترف صائب باستسهاله لمجانبة الحقيقة إذ يقول إنه كان يعلم أن «الكتائب» ارتكبت المجزرة «ولكنني أخذتُ من أوّل دقيقة ما وجدته من مصلحة وطنيّة فنفيتُ ذلك، وكنتُ أوّل من أعلن هذا النفي...تفادياً لتفاقم الوضع بين المسلمين والمسيحيّين، وخصوصاً في الآونة الصعبة التي نمرّ بها. نعم قلتُ ذلك، مع إدراكي أن الذين قاموا بهذه العمليّة هم فريق من الكتائب بحماية من الإسرائيليّين على الأرجح" (ص. 1143، ج2).

ويبدو أن النظام السعودي كان قد أكّدَ لصائب أن «الإسرائيليّين سينسحبون قريباً» من لبنان لكن «فقد أصبحت لدى السعوديّين اليوم شكوك كثيرة في مماطلة الأميركيّين» (ص. 1161، ج2). وصائب طلب من الملك فهد مبلغ مئة وخمسين مليون ليرة. وطالبت منظّمة التحرير بإنشاء لجنة سعوديّة-لبنانيّة-فلسطينيّة للتحقيق في معاملة لبنان للفلسطينيّين في الفترة التي كان فيها الشعب الفلسطيني في لبنان يتعرّض لأبشع أنواع المضايقات والاعتداءات والقتل، على يد ميليشيات اليمين والجيش اللبناني الذي لم يكن أكثر من ميليشيا متناغمة مع الجميّل على رفض فكرة إنشاء اللجنة وقال ذلك للحكم السعودي: «وأتمنى أن توقفوا الفلسطينيّين عن ابتزازهم...ولكن لم نلقَ منهم سوى الشتائم في ما بعد، والسير مع اليسار المتطرف ضدنا، فلا يجوز إعطاؤهم مجالاً للزيادة في ذلك» (ص. 1161، ج2). وأيّد صائب الجميّل في أن المساعدات السعوديّة للفلسطينيّين في لبنان يجب أن تمرّ عبر سلطة أمين الجميّل. ونقل على الشاعر إلى صائب شكوى أبو جهاد وأبو الزعيم من «كذب ونفاق» ياسر عرفات. هذه كانت قيادة الثورة الفلسطينيّة.

وحذّر صائب من بعض «الشارونيّين» اللبنانيّين «وهم في نظري إسرائيليّون أكثر من بعض الإسرائيليّين» (ص. 1163، ج2). لكن صائب وافق على مضمون اتفاقيّة 17 أيّار، مثله مثل كل طاقم المجلس النيابي المنتخب في عام 1972، باستثناء الشجاعيّ، نجاح واكيم وزاهر الخطيب.

ثم يقفز صائب إلى مفاوضات جنيف في عام 1983 فلا يمرّ على ما سبقه من أحداث وتطوّرات وأعمال عنف من سلطة الجميّل الظالمة، فيقول عن وليد جنبلاط: «جرت بيننا مشادّة قال فيها إنني أدافع عن العرب لأقبض ثمن ذلك من السعوديّة» (ص.1166، ج3). لكن جنبلاط انتحى باللوم على سالم على الشرفة وخاطبه بصراحة أنه «مستعد للذهاب إلى جنيف خلافاً لما قاله في العلن للصحف، وأنه يريد أن يكون على صلة طيّبة بالأميركيّين، وهذه ازدواجيّة معروفة عند جنبلاط». وفي موقع آخر يتحدّث عن حياة جنبلاط الشخصيّة وسلوكه الاجتماعي خلافاً لحديث ساسة لبنان عن بعضهم البعض (ص. 1197، ج3). وعن بيار الجميّل يقول: «هو هو في تحجّره الذي تعوّدنا عليه منذ أربعين سنة». ويزوره حسين الحسيني بعد غياب ويحدّثه عن زيارة طويلة له إلى الولايات المتحدة. ويقول صائب: «وقد فهمتُ أنه كان برفقة زوجيه إده وهذا ما يفسّر لي سبب تمسّكه بنظريّة حياد لبنان، لأن إده هو من أصحاب الملايين وصاحب فكرة الحياد» (ص. 1169، ج3). وحاول أمين الجميّل بعد الثورة عليه أن يتقرّب من تمام سلام، الذي أعطى أحاديث صحافيّة انتقد فيها حكم الجميّل «بخصوص تأخير رخصة الجامعة (المقاصديّة)، وعزوه ذلك إلى تعصّب طائفي لا يُحتمَل» (ص. 1173، ج3). هذا ليس معلوماً عند الكثير من اللبنانيّين اليوم: أن قادة الموارنة على مرّ سنوات تاريخ لبنان المعاصر كافحوا ضد نشر العلم بين المسلمين في لبنان.

> يبدو أن السعودية، كما في عام 1976، خدعت صائب وافهمته ان الملك فهد يعارض ترشيح بشير
>
> بالرغم مما شاب حديث صائب من مبالغات وافتراءات وحتى مجانبة للحقيقة في بعض الاحيان، هي يأتي مرجعاً هاماً من مراجع الحرب الاهلية

(بسام الحدود - برسنيج)

ويكشف صائب عن الجانب الذي لم يكن مستوراً عن شفيق الوزّان: كيف أنه «ماشى السياسات الإسرائيليّة لإلياس سركيس وأمين الجميّل من بعده، بعد أن كان مُجاهراً بمعاداة الكتائب والدفاع عن الخط القومي العربي و«الإسلامي» في سنوات قبل الحرب. يقول صائب: «والوزّان، مثل الرئيس، يطرّ وضربه الغرور وساقته الشهوات إلى الانغماس في الصفقات، حين باع مسؤوليّته للرئيس وأصحابه، فاستطابه الجميّل بل استطابه المسيحيّون دون وعي» (ص. 1179، ج3). وزار السفير السعودي صائب وقال عن الزيارة: «فشكوتُ له موقف السعودية الذي لا أسمح لنفسي بالجهر به، لما للسعوديّة من أفضال على المقاصد وإن كانت ضئيلة» (ص. 1183، ج3). يقدّرح عليه السفير السعودي زيارة السعودية فيقول صائب ممتعضاً: «أنا وتمّام حاولنا تكراراً زيارة السعوديّة فكنّا لا نلقى سوى ترحاب كلامي، بلازمة تسويف بعد تسويف مما لا نجرؤ على البوح به لأحد» (ص. 1193، ج3). عن سليم الحص يقول صائب: «مسكين سليم الحصّ وهو يخبط خبط عشواء ليوجد لنفسه مركزاً، فتارةً يلتفّ مع رشيد الصلح ومالك سلام ومعهما نبيه برّي وممثّل جنبلاط...مسكين الحص فهو يرخّص نفسه دون أن يصل إلى نتيجة». وفي باطنه حقود وغامض» (ص. 1192-1191، ج3). وفي مكان آخر يقول صائب عن الحصّ: «الرجل أخلاقه طيّبة وعقله راجح... ولكنّه ولا شكّ باطني ومعقّد» (ص. 1271، ج3). يتخوّف صائب من نموّ حركات مدعومة من سوريا وإيران فيقول: «عشتُ عمري مستهدفاً حيناً من الشيوعيّين، وحيناً آخر من الملك حسين والأردنيّين، وحيناً من الملك سعود إلخ إلخ». وفي سنوات تقاعده بعد عام 1984، يصل صائب إلى خلاصات عن العمل السياسي اللبناني فيقول: «الغرور هو أكبر أمراض الرجال، وهذا كان مما ابتلي به أمين الجميّل وشفيق الوزّان. في نظري، وحسب تجاربي، ثبت ما كان يقوله لي والدي من أن المسيحيّين ليسوا أهلاً للحكم. مرض لبنان منذ سنين بعيدة هو حزب الكتائب بصورة عامّة، وبيار الجميّل بصورة خاصّة، وهو الذي يطغى جميع مساوئ حزبه الفاشي ويذكي الأحقاد بين المسلمين والمسيحيّين، وهو سيّد من أسياد الازدواجيّة، فلا أحد يعرف له قراراً، بحيث يكذب على الجميع، ويدّعي الصدق والقداسة» (ص. 1206، ج3). وهذه الخلاصة تتناقض، عن الكتائب وبيار الجميّل، مع موقف صائب في مطلع ومجرى الحرب حين كان يحمّل شمعون المسؤوليّة ويحافظ على صلة مع بيار الجميّل («طيبة قلبه»). ويجول صائب بين الساسة، على عادته، لينقذهم من الانهيارات النفسيّة، وهذا مسلك درج صائب على وصفه في الأجزاء الثلاثة، يقول عن أمين: «فوجدته في حالة انهيار، لا يدري ماذا يفعل وهو يبدو لي منذ مدّة وكأنّه ضائع لا يدري أيّ خطّ يأخذ» (ص. 1208، ج3). وفي شباط 1984، يتصل به إبراهيم قليلات، خصمه اللدود، والرجل الذي حاربه بشراسة وأرسل تهديدات له. بهذا الاتصال، اكتمل الانهيار الذريع في صفّ كل من كان منتمياً إلى القوى الوطنيّة والتقدميّة في لبنان. يحضر صائب لقاء لوزان في عام 1984 ويقول: «اختلف (سليمان فرنجيّة) مع بيار الجميّل وكميل شمعون إلى حد الشتائم بصراخ... حتى إنه استعمل معهم كلمات «عملاء إسرائيل» بل و«كلاب إسرائيل»» (ص. 1224، ج3). ويزوره رضوان السيّد بعد زيارة لليبيا ولقاء مع القذّافي (ص. 1225، ج3). تصاب بالدوار وأنت تتابع تنقلات رضوان السيّد السياسيّة. يتلقّى صائب دعوة لزيارة ليبيا لكن صائب سئمَ من وعود لم تتحقّق عن تمويل لـ«المقاصد». يؤكّد صائب نقلاً عن توماس فريدمان، أن شارون زار بكفيّا واتفق على اتفاقيّة صلح بين لبنان وإسرائيل بعد الجفاء (من جانب بيغن) الذي صاحب آخر لقاء بين بشير الجميّل ورئيس حكومة العدوّ (ص. 1239، ج3). يزوره منح الصلح وسمير فرنجيّة ونوّاف سلام ويحكم أن الأوّل والثاني لديهما عقدة الاستيزار.

يشكو وليد جنبلاط (بعد إصلاح ذات البين بين الرجلين؟) من ضائقة ماليّة بعد أن قطعت ليبيا عنه المساعدات. كانت لصائب زيارة موفّقة إلى السعوديّة، حسب وصفه، وأثمرت عن دعم مالي لـ«المقاصد». أمر الملك فهد بخمسة وعشرين مليون دولار لـ«المقاصد» وخمسة ملايين لـ«مصاريف أخرى». وهذه أوّل مرّة يشير فيها صائب إلى تمويل له من خارج تمويل «المقاصد» (ص. 1244، ج3). لكن صائب يخبرنا أن ديونه الخاصّة بلغت «حوالي خمسة ملايين». لا يتوقف صائب عن الإشادة بنفسه فيقول: «كلمتي في المجلس النيابي كانت في نظر البعيد والقريب رائعة» (ص. 1274، ج3). وبعد زيارة لصيدا، يقول: «ووفقني الله هناك بكلمة طويلة... وكانت شاملة... ويبدو أنها نالت إعجاباً فاق الحدود» (ص. 1284، ج3). اجتمع صائب مع فؤاد السنيورة كي يرتّب عمليّة بيع بعض الأراضي في الدوحة لرفيق الحريري للخروج من ضائقة ماليّة. ويقول عن جان عبيد إنه أتاه مرّة بوثائق مزوّرة وهدّده كي يسكت عن «فضائح والد زوجته الجنرال إميل بستاني» (ص. 1308، ج3). ويتهم علي الشاعر الذي كثيراً ما أشاد به بالوقوف وراء مؤامرة ابتزاز من قبل عبيد وخالد خضر اغا الذي يقول عنه إنه عادَ وغرمَ به وبات يتصل فيه باستمرار (ص. 1308، ج3). عائلة خالد خضر اغا تناقض مزاعم صائب عن اتصالات يوميّة من قبل خالد خضر اغا بصائب في منفاه السويسري، وتذكر أن صائب كان هو الذي يتصل باغا). جنبلاط يزوره ويقول في «حليفه نبيه برّي ما لم يقله مالك في الخمر، في كذبه ونفاقه وتبعيّته المطلقة لسوريا...ويبدي تخوفاً كبيراً من التيار الشيعي السام» (ص. 1319، ج3). ويقول وليد إن الشيعة بمساعدة سوريا «سيعلنون الجمهوريّة الإسلاميّة بقيادة الخميني».

التقى صائب بالأمير سلطان في جنيف وطلب منه دعم «المقاصد». تركه صائب وهو «أكثر أملاً بالحصول على الدعم السعودي لـ«المقاصد»» (ص. 1322، ج3). يلتقي بسلطان مرة أخرى ويذكره صائب بالمبالغ فيقول سلطان: «يا أخي. وما هي العشرة والعشرون وحتى الثلاثون مليون دولار مقابل دعم المقاصد ومجتمعكم في لبنان». لكن سلطان يسترسل في الحديث وينتقد أمامه «تصرّفات الملك، وخصوصاً عبدالله الذي يعتبره قليل التفكير، ومن ماخذه عليه التي يتألّم لها، أنه وهو وليّ عهد المملكة، لم يتوزع عن الذهاب إلى المطار في جنيف لاستقبال ذلك الوغد رفعت الأسد، وهو (أي سلطان) يدرك خطر العلويّين والخمينيّين كامل الإدراك، ويقدّر صدّام حسين كامل التقدير» (ص. 1325، ج3). يصارح أمين الجميّل بالقول: «سمعتك المالية مثل سمعتك السياسيّة أصبحت في الوحل القذر» (ص. 1340، ج3). كان تمام يوافي صائب في جنيف بأخبار لقاءاته فيكتب له تقريراً عن لقاء مع غازي كنعان. يقول كنعان لتمّام إن حزب الله نحو الحلّ مثله مثل القوات اللبنانيّة. أفهم كنعان قيادة الحزب أنهم «لا يتساهلون ولا يتهاونون في هذا الأمر. وقد قام هو شخصياً بتهنئة ومكافأة الضابط الذي نفّذ عمليّة تكنة فتح الله» (ص. 1345، ج3). نقل كنعان إلى تمّام «شوق أبو جمال» إلى لقائه. زيارة أخرى من وليد جنبلاط الذي «حمل على الحريري حملة قويّة قائلاً إنه «اشترى الجميع من هنا وهناك ولا سيّما من جماعتنا»» (ص. 1370، ج3). يبتعد صائب عن الأزمة الماليّة الخانقة التي لم ينقذه منها رفيق الحريري ويسافر إلى ماربيا مع تميمة وقضى هناك نحو ثلاثة أسابيع. يقول عن الرحلة: «فندق «دون بيبي» أعجبنا جداً بمناظره وتسهيلاته... كانت الرحلة مكلفة علينا واعتقد أن مجموع مصاريفنا بلغ ما يزيد على عشرين ألف دولار وهذا مبلغ ضخم في نظري ويكلّفه في محلّه تماماً» (ص. 1439، ج3). بعد قليل، يشكو صائب من ضيق ويقول: «فأما سبب مضاعفة قلقي الليلة... فهو أنني منذ مدة غير قصيرة أعاني مع زوجتي من ضيق مالي» (ص. 1515، ج3). أما السعوديّون فهم «يصمّون آذانهم عن كل النداءات الخاصّة والحميمة التي وجّهتها لهم، فلم يمدّوا يداً، ولا حتى أجابوا بحرف على ما كتبت» (ص. 1525، ج3). ينقل عدم رضى سعودي عن رفيق الحريري وأن الأمير سلطان أبدى لعليا الصلح «احتقاره للحريري» (ص. 1530، ج3). ويخشى صائب أن ينتهي رفيق الحريري إلى «ماساة».

هناك الكثير من المعلومات والتحليلات في هذه المذكرات وهي—من دون مبالغة—أشمل وأهم مذكرات سياسيّة في تاريخ لبنان المعاصر، ليس فقط بسبب الإحاطة أو البلاغة في التعبير بل للمصارحة في الحديث، بالرغم مما شاب حديث صائب من مبالغات وافتراءات وحتى مجانبة للحقيقة في بعض الأحيان. هي يأتي مرجعاً هاماً من مراجع الحرب الأهليّة. وصائب شاهد لقرن من الزمن ومُشارك في صنع السياسة في زمن كان فيه زعماء الموارنة مصرّين على احتكار الحكم. لكن صائب ظلم كثيرين كما أنه عانى من الغرور الذي كان يحذّر الزعماء منه، وطمس تاريخاً في عائلة سلام وأدواراً فيها، بما فيه أدوار عنبرة سلام في الحركة النسويّة التنويريّة أو دور محمد سلام في «المقاصد» وفي شركة طيران «الشرق الأوسط». والحب الذي كنّه صائب لزوجته من أجمل صفات هذا السياسي الذي يبدو قاسياً في أحكامه وفي مشاعره نحو الآقربين والأبعدين. سيحتاج أي سياسي لبناني يكتب مذكراته إلى مجاراة صائب سلام في بلاغة التعبير وتفصيل السرد والمصارحة عن المشاعر والوصف الدقيق الذي ينقل المشهد من الحياة إلى القارئ. لكن هذا صعب جداً في حالة سياسيّي اليوم. الكثير من مذكّرات ساسة لبنان لا تُقرا. مذكّرات صائب سلام هي شهادة سياسي عن قرن واحد من تاريخ لبنان، وعن علاقة الزعماء المسلمين بالمسيحيّين، وعن الصراعات بين زعماء السُنّة. وكان صائب من أكبر المؤجّجين في تلك الصراعات بين زعماء السنة. والكتاب يتضمّن كشفاً لطبيعة الدور السعودي في الحرب الأهليّة. هذا الدور—كما يرد في كتاب صائب—لا يمكن وصفه بـ«مسافة واحدة من جميع الأطراف»، كما ردّد المسؤولون السعوديّون على مرّ الأعوام. السؤال الذي يبقى: ماذا حلّ بيوميات صائب بين عامي 1970 و1973؟ عسى أن يفرج تمام عنها، إذا كان هناك من يوميّات لتلك الأعوام.

(انتهى)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

«آلة الفوضى»: وادي السيليكون وإعادة تشكيل عقولنا

مصطفى شلش *

أقل من قرن من الزمان، كان وادي سانتا كلارا، وسط كاليفورنيا، عبارة عن مساحة نائية من بساتين الفاكهة ومصانع التعليب، تتخللها حفارات التعدين. ليأتي عام 1941، لتضرب البحرية اليابانية بيرل هاربور الأميركية، مما أدى إلى سلسلة من الأحداث التي أعادت تشكيل هذا الوادي ليُعرف بـ«وادي السيليكون» (سيليكون فالي) وتحويله إلى واحد من أعظم مناطق تركيز الثروة في العالم.

بعد ضرب بيرل هاربور، استعد البنتاغون للتوغل في المحيط الهادئ، ولكن، خوفاً من هجوم مفاجئ آخر، قام بعملية إعادة توزيع مراكزه العسكرية والبحثية عبر أجزاء من الساحل الغربي، وكان أحد هذه المواقع هو «Moffett Field»، وهي قاعدة جوية مهجورة إلى حد كبير على الخليج تحميها جبال سانتا كروز. وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية، بقيت آلة الحرب، وأعيد استخدام نفس المراكز العسكرية والبحثية في المواجهة المتصاعدة مع الاتحاد السوفياتي. وفي ظل التخطيط لحرب نووية، شجّع البنتاغون المقاولين على تحويل المشاريع العسكرية بعيداً من المراكز السكانية الرئيسية. وقد امتلكت شركات الأسلحة خصوصاً ونقلت صواريخها وقسمها الفضائي إلى وادي سانتا كلارا.

اجتذب مقاولو الحرب الباردة العلماء الموهوبين وطلاب الدراسات العليا إلى الوادي المعزول مُتحين لهم فرصة الحصول على براءة اختراع مربحة أو إدارة شركة ناشئة. وعادة ما كانت تتكدّر أقسام الأبحاث الجامعية، على الأقل من الناحية النظرية، من أجل الصالح العام. لكن خلال الحرب الباردة، تم مسح الخط الفاصل بين العمل الأكاديمي والعمل الربحي، وهو ما أصبح تطوراً أساسياً لنظرة وادي السيليكون العالمية. وقد أنتجت الظروف الخاصة للوادي العالم لممارسة الأعمال التجارية ورؤية العالم التي لم يكن من الممكن أن يزدهر في أي مكان آخر. وأدى في النهاية إلى إطلاق منصات إلكترونية مثل: «فايسبوك» و«يوتيوب» و«تويتر».

ومثل الكثيرين، كان ماكس فيشر، الصحافي في «نيويورك تايمز»، يفترض أن مخاطر وسائل التواصل الاجتماعي تأتي في الغالب من سوء الاستخدام من قبل المشتركين أو من جهات بعينها مثل وكالات الدعاية والقرصنة وباعة الأخبار المزيفة، وفي أسوأ الأحوال كانت المنصات الاجتماعية المختلفة قناة عرض سلبية لمشكلات المجتمع الموجودة مسبقاً. لكن عملياً، وعندما قام فيشر بمقابلات مع مئات الأشخاص الذين درسوا وسائل التواصل الاجتماعي أو استغلوها أو تأثروا بها، وكذلك مع العمّال والمديرين التنفيذيين في وادي السيليكون، ونشرها في كتابه تحت عنوان: «آلة الفوضى» (The Chaos) Machine: The Inside Story of How Social Media (2022 - Rewired Our Minds and Our World توصّل إلى أن التقنية الحديثة المعتمدة في وادي السيليكون تُسهم في إثارة الكراهية، ونشر المعلومات المضللة، والاتهامات الكاذبة في كثير من الأحيان ضد الأقليات، حيث يستكشف الكتاب بعمق مسألة ما إذا كانت هُناك سمات معينة لوسائل التواصل الاجتماعي مسؤولة حقاً عن استحضار الخوف والغضب الجماهيري. فقد استمرت الأحداث الغريبة والمتطرفة وأعمال الشغب، وتكوّن المجموعات الراديكالية، والإيمان واسع النطاق ببعض المؤامرات الغريبة في الارتباط بوسائل التواصل الاجتماعي.

وقد اعتقد القائمون على وسائل التواصل بقدرتهم على كبح هذه الكراهية والتحريض المتزايدين، لكن قد أعاقهم الشيء نفسه الذي كان من المفترض أن يساعدهم، وهو: العشرات من كتيبات القواعد السرية التي تملي ما يجب عليهم السماح به على المنصات وما يجب إزالته. وبالنسبة لمستخدمي «فايسبوك» مثلاً، الذين يزيد عددهم على مليارَي مستخدم، فإن هذه القواعد غير مفهومة إلى حد كبير. وتهدف تلك القواعد إلى الحفاظ على المنصات آمنة، وتوضح كُل شيء بداية من الخط الفاصل بين حرية التعبير وخطاب الكراهية إلى حدود الحركات السياسية المسموح بها. ولكن كتيبات القواعد أثبتت عدم كفاءتها للحد من الأضرار التي غالباً ما تتسبب فيها المنصة نفسها، وفي وقت كانت المنصات تفيض بالتطرف، والدماء تَنزف بشكل متزايد في العالم الحقيقي، اتهمت الأمم المتحدة «فايسبوك» رسمياً عام 2018 بالسماح لتقنيتها بالمساعدة في إثارة الكراهية ضد المسلمين من الروهينغا، لتكون إدارة «فايسبوك» شريكة في واحدة من أسوأ عمليات الإبادة الجماعية منذ الحرب العالمية الثانية.

حصل فيشر على وثائق مسربة تُحدد سياسات التعبير عبر منصة «فايسبوك»، ما دفع الموقع لدعوته وعرض عليه إتاحة ما يقرب من 12 من صانعي سياسات الشركة للتحدّث، وكانت مُلاحظات فيشر عنهم أنهم جميعاً محترفون، ويتمتعون بعقلية صلبة، واكتسب البعض منهم سمعة طيبة في واشنطن العاصمة في مجالات مثل مكافحة الإرهاب أو الأمن السيبراني، ولديهم خلفيات مثيرة للإعجاب في مجال حقوق الإنسان والسياسة. ولكن، سيتّضح لاحقاً أن أيديولوجياتهم والتحيزات المسبقة لديهم لا تزال قائمة بقناعة شبه دينية منذ أن كانوا في حرم جامعاتهم، وانتقلت معهم إلى وادي السيليكون. تخفي البراعة التقنية إخفاقات عميقة، يقول فيشر، حيث لا توجد قائمة أعمال منظمة أو شاملة، فقط عروض PowerPoint التقديمية وجداول بيانات Excel المنفصلة، والردود المتناثرة على المسائل الجيوسياسية المعقدة، وكتيبات إرشادية مع قواعد متناقضة. هذا ما تم تعليمه للقائمين على «فايسبوك». لذا تبقى أحد أكبر الأسرار لصناعة التكنولوجيا هو أنه «لا أحد يعرف تماماً كيف تعمل الخوارزميات التي تحكم وسائل التواصل الاجتماعي في الواقع». عرض مسؤول التنفيذي في مقر «فايسبوك» على فيشر قضية: منع الإرهابيين من التجنيد على المنصة، وتحديد مجموعات الكلمات التي تشكل تحريضاً غير مقبول على العنف. لكن بالرغم من المجهودات في هذا الإطار يبدو أن المشكلات تزداد سوءاً، وتفشل الشركة غالباً في التصرف حيال خطاب الكراهية والمجموعات العنصرية والعنيفة المغلقة التي تتكاثر على المنصة. وقد يكون هذا راجعاً لحقيقة أن هناك مزيجاً من الغطرسة والجهل موجود بالفعل في العلوم السلوكية التي استخدمتها منصات التواصل الاجتماعي. وقد عبّر مارك زوكربيرغ، مؤسس «فايسبوك»، عن سذاجة مُذهلة عندما قال إن «هناك قانوناً رياضياً تقوم عليه العلاقات الاجتماعية البشرية ويحكم التوازن بين ما/لماذا نهتم بها».

وفي سعي فيشر لفهم كيف يمكن أن تكون وسائل التواصل الاجتماعي قد «أعادت تشكيل عقولنا»، يُشير إلى أن الفكرة الأساسية في وادي السيليكون هي أن جعل الناس يقضون المزيد والمزيد من الوقت على الإنترنت سوف يثري عقولهم ويحسّن العالم بشكل أفضل في نهاية المطاف، ما أكد أن الإيمان بالتكنولوجيا كقوة من أجل الخير لا يتزعزع. سرعان ما حذّر بعض باحثي «فايسبوك» المعنيين بدراسة تأثيرات التكنولوجيا الخاصة بهم أن الموقع قد يؤدي إلى تفاقم الانقسامات السياسية في أميركا، وقد حذروا داخلياً من أن المنصة تُستغل عبر خوارزمياتها في انجذاب الدماغ البشري إلى الانقسام. في الواقع، استمر تجاهل تلك المسألة، وقد تم تصميم أنظمة «فايسبوك» بطريقة توفر للمستخدمين المزيد والمزيد من المحتوى المثير للانقسام في محاولة لجذب انتباه المستخدم وزيادة الوقت على المنصة. أوقف التنفيذيون البحث في خطورة تلك المسألة ورفضوا التوصيات إلى حد كبير، وكان سؤال: «ما هي عواقب توجيه حصة متزايدة باستمرار من السياسات والمعلومات والعلاقات الاجتماعية البشرية من خلال منصات الإنترنت المصممة عبر الخوارزميات؟» من المحرمات. علماً أن هُناك تحوّلاً ملحوظاً في دور علماء النفس من تطبيقيين في مجالي الأمراض الطبية والعمليات النفسية إلى مهندسين اجتماعيين، مُستغلين علم النفس الاجتماعي للتنبؤ بالالعقلانية وتحفيز الآراء لتحيز في اتجاهات معينة سواء عبر الإنترنت أو في العمل أو في السياسة العامة. وبالرغم من تركيز علم النفس الاجتماعي على علاج العلل الاجتماعية المتصورة من خلال تعزيز نقاط القوة والفضائل، إلا إن هناك انحرافاً ملحوظاً نحو التعامل مع البشر كمكونات يمكن التلاعب بها في المجتمعات.

في صيف 2020، خلص تحقيق مستقل عن «فايسبوك» تم تحت ضغط من مجموعات الحقوق المدنية، إلى أن سياسات المنصة سمحت بتفشي المعلومات الخاطئة التي يمكن أن تقوض الديموقراطية، وكانت الخوارزميات تدفع الناس نحو غرف صدى للتطرف، وفقاعات لنشر الكراهية، ولعل الأكثر إدانة هو أن التقرير خلص إلى أن الشركة لم تفهم كيف أثّرت خوارزمياتها على مليارات المستخدمين. وتزامن هذا مع أكبر رد فعل شعبي أميركي عنيف في تاريخ وادي السيليكون، حيث واجه عمالقة وسائل التواصل الاجتماعي جلسات استماع في الكونغرس، وغرامات بمليارات الدولارات، وأشارت الشخصيات العامة بشكل روتيني إلى الشركات باعتبارها واحدة من أخطر التهديدات في عصرنا. ردأً على ذلك، تعهد قادة الشركات بمواجهة الأضرار الناجمة عن خدماتهم. وكشفوا النقاب عن غرف لنزاهة الانتخابات وتحديث سياسات مراجعة المحتوى. لكن نموذج أعمالهم -إبقاء الناس ملتصقين بمنصاتهم لأكبر عدد ممكن من الساعات في اليوم- والتقنية الأساسية المستخدمة لتحقيق هذا الهدف، ظلت من دون تغيير إلى حد كبير. وبينما تفاقمت المشكلات التي وعدوا بحلها، فقد كسبوا أموالاً أكثر من أي وقت مضى.

في دراسة فيشر تبقى الآليات السببية الأساسية لإظهار أن الأخلاق هي دافع غريزي نشأ في المجتمعات البشرية البدائية غامضة، فغالباً ما تكون قوانين السلوك البشري مُتضاربة، ومشتقة من فرضيات غير قابلة للإثبات. بعبارة أخرى، لا يمكن اختزال الحكم والأخلاق البشرية في دوافع غريزية يمكن التلاعب بها. وفي الواقع، لا يمكن إلقاء اللوم على وادي السيليكون بسبب الضعف النفسي الذي يقودنا إلى إلحاق الأذى أو التصرف ضد مصالحنا الخاصة. ولا على الاستقطاب الثقافي العميق في أميركا وأماكن أخرى والذي دفع المستخدمين لتحويل هذه المساحات الجديدة إلى أماكن للصراع الحزبي مما أدى إلى تدمير أي شعور مشترك بالرفاهية أو الواقع. وحتى أكبر شركات وسائل التواصل لا يمكن لومها على نموذج التمويل عالي التقنية الذي أدى إلى ظهورها، وذلك من خلال دفع استثمارات بملايين الدولارات مع اهتمام قليل بالنتائج المشوهة التي يخلقها. ومع ذلك، اكتسبت هذه الشركات بعضاً من أكبر ثروات الشركات في التاريخ من خلال استغلال تلك الميول ونقاط الضعف البشرية مُعلنة بذلك بدء حقبة جديدة تماماً في تجربتنا الإنسانية.

* كاتب مصري

الحدث

عندما يلوّح الحمائم بـ«الدمار الشامل»

أميركا - إيران: عودة التوتير العلني

وليد شرارة

مناورات جوّية عسكرية أميركية - إسرائيلية تحاكي استهدافاً لمواقع نووية إيرانية: تأكيد الرئيسَين الأميركي والفرنسي خلال اجتماعهما الأخير تصميمهما على «ضمان عدم تمكّن إيران أبداً من امتلاك أو تطوير سلاح نووي»؛ حديث متكرّر لروبرت مالي، المبعوث الأميركي الخاص لإيران، عن استعداد جو بايدن لـ«خيار عسكري لمنع إيران من الحصول على سلاح في حال فشل العقوبات والدبلوماسية في الحؤول دون ذلك»... جميعها تطوّرات تؤشّر إلى اعتماد التحالف الغربي - الإسرائيلي، مجدّداً، سياسة التوتير العلني مع طهران. تأتي هذه المستجدّات بعد أكثر من شهرين من تصعيد التحالف المذكور حربه الهجينة على الجمهورية الإسلامية، خاصة على الجبهة الإعلامية - السياسية، بذريعة مساندة «المتظاهرين المطالبين بالديموقراطية». تندرج تلك الحرب في إطار الحروب بالوكالة، الحامية أو الهجينة، التي تقودها واشنطن في الآونة الأخيرة، من أوكرانيا إلى الصين، مروراً بإيران. لكن الكلام الواضح عن وجود خيار عسكري أميركي ضدّ برنامج طهران النووي، يعني ببساطة التوتّر في نزاع مباشر معها يرجَّح أن يكون مديداً. فإذا كان الهدف هو تدمير هذا البرنامج، لا القيام بضربة موضعية محدودة لن تؤثّر فعلاً على نموّ القدرات النووية الإيرانية، يصبح المطروح، في أضعف تقدير، شنّ حرب جوّية واسعة النطاق تستهدف المنشآت النووية ومنظومات الدفاع الجوّي ومنصّات الصواريخ في إيران.

لا تستطيع الولايات المتحدة «توكيل» إسرائيل وحدها بمثل هذه المهمّة؛ فالقفزة النوعية التي حقّقتها إيران في ميدان الصواريخ والمسيّرات، والتي حدت بروسيا إلى استيراد كمّيات منها لاستخدامها في أوكرانيا، تُثبت بما لا يدع مجالاً للشكّ أن الكيان الصهيوني سيدفع ثمناً لا يقدر على احتماله في حال إقدامه على هكذا مغامرة. هو قد يُكلَّف، في إطار سيناريو أميركي متدرج، بالقيام بالضربة الأولى، ليمهّد بعد الردّ الإيراني لدخول الولايات المتحدة في المعركة. لكنّنا، على أيّ حال، لن نكون أمام سيناريو حرب بالوكالة، شبيهة بتلك التي تديرها واشنطن حالياً، بل المطروح هو دخول الأخيرة في صراع كبير وممتدّ زمنياً مرّة أخرى. ما زالت مشاهد الانسحاب الأميركي المذلّ من أفغانستان حاضرة في الأذهان، وتحديداً أذهان الأميركيين. هل سيُوافق هؤلاء على الذهاب إلى حرب ستكون قطعاً أشدّ ضراوة من سابقاتها؟ هل ستستطيع إدارة بايدن تسويق مثل هذا القرار في أوساط رأيها العام وفي أوساط حلفائها الأوروبيين الذين يحتاجون إلى مصادر بديلة من الغاز الروسي، وقسمٌ منها يقع في منطقتنا؟ هل ستنتج واشنطن في الحدّ من تداعيات مثل هذه الحرب على أسعار الطاقة؟ ماذا سيحصل للشريك الإسرائيلي، ولأيّ شريك آخر في الإقليم، في حال انخراطهم فيها؟ هل تغيّرت موازين القوى الإجمالية، الدولية والإقليمية، التي منعت من اتّباع ذلك السيناريو أيّام إدارة دونالد ترامب مثلاً، إلى درجة تَجعله خياراً واقعياً اليوم؟ أيّ نقاش جدّي لـ«الخيار العسكري» الأميركي ضدّ إيران، ينبغي أن يأخذ جميع الأسئلة المتقدّمة في الاعتبار.

عندما أشار مالي إلى وجود خيار عسكري أميركي ضدّ إيران، هو لم يكن يعبّر عن رأي شخصي. فالمبعوث الذي فُسّر اختياره من قِبَل إدارة جو بايدن على أنه رسالة حُسن نوايا تجاه طهران، لعب دوراً هامّاً في المفاوضات التي أدّت إلى توقيع الاتفاق النووي عام 2015، وهو على قناعة بضرورة عودة

> **التلويح باستخدام القوّة وسيلة من وسائل «الضغوط القصوى»، لكن اللجوء إليها أمر مختلف**

الولايات المتحدة إلى الالتزام به. بعض المقرّبين منه يلفتون إلى شعوره بالمرارة الشديدة تجاه المسؤولين الإيرانيين الذين رفضوا «عروضه السخيّة» للعودة إلى الالتزام بموجبات «خطّة العمل المشتركة الشاملة»، والتي لم تتضمّن أيّاً من مطالبهم الخاصة بوجود ضمانات بعدم خروج أيّ إدارة أميركية جديدة منه، أو بوقف تحقيقات «الوكالة الدولية للطاقة الذرّية» حول آثار اليورانيوم في بعض المنشآت الإيرانية، والمستندة إلى معلومات استخبارية إسرائيلية. مشاعر مالي ليست الموضوع؛ هو أدلى بهذا التصريح إلى «فورين بوليسي»، لتوجيه رسالة تحذيرية إلى إيران مفادها أن «الحمائم» في الإدارة انحازوا إلى مواقف «صقورها»، وأن على طهران أن تأخذ التهديدات الأميركية على محمل الجدّ.

التلويح باستخدام القوّة وسيلة من وسائل «الضغوط القصوى»، لكن اللجوء إليها أمر مختلف. لم يتجرّأ ترامب على فعل ذلك، لأن الجيش الأميركي أوّلاً حذّر من التداعيات المترتّبة عليه. إذا تعرّضت إيران لعدوان يهدف إلى الإجهاز على برنامجها النووي، هي سترُدّ بعنف، وستستهدف القواعد والمصالح الأميركية في المنطقة، وجميع الأطراف المشاركة في العدوان. ستضطرّ الولايات المتحدة، عندها، لأن تخوض مواجهة طويلة ومُكلفة مع قوّة إقليمية لم تصطدم بمثلها في الماضي. جميع الحروب الأميركية، بعد الحرب العالمية الثانية، خِيضت ضدّ دول أو حركات شعبية لا تمتلك قدرة عسكرية ونفوذاً إقليمياً شبيهَين بما لدى طهران. أيّ حرب مع الأخيرة ستكون طويلة وغير محصورة جغرافياً، فيما الرأي العام الأميركي المنقسم حول العديد من القضايا الأساسية في الداخل، مجمِع في غالبيته على معارضة التورّط في حرب كبرى جديدة في الشرق الأوسط. لا ضير في قتال الروس في أوكرانيا حتى آخر مُواطن من هذا البلد، أو في زعزعة استقرار إيران والصين من خلال استغلال تناقضاتهما الداخلية، أمّا إرسال الأميركيين للموت في مسارح عمليات بعيدة، فهو أمر مرفوض من سوادهم الأعظم. لا حاجة للتأكيد، كذلك، أن اندلاع هكذا نزاع سيهدّد استمرار تدفّق الطاقة، ليس من الخليج وحده، نحو الأسواق الأوروبية، وإن مفاعيله ستؤدّي إلى ارتفاع صاروخي في أسعارها، مع ما ينجم عنه من نتائج كارثية على اقتصادات الأوروبيين وغيرهم من البلدان المستورَدة لها. أيضاً، إذا كان المطروح هو تدمير البرنامج النووي الإيراني، فإن سيناريو الدمار الشامل هو الأكثر ترجيحاً؛ لن تستطيع إسرائيل ولا غيرها ممّن سيتجرّؤون على المشاركة في العدوان، حماية أنفسهم من «شتاء» الصواريخ والمسيّرات، علماً أن القدرة الرادعة التي تمتلكها إيران لم تُضعف نتيجة لبعض التظاهرات وأعمال التخريب والإرهاب. إضافة إلى كلّ ما تَقدّم، فإن الاندفاع نحو الحرب مع إيران، في سياق احتدام الحرب الغربية ضدّ روسيا في أوكرانيا، والتصعيد المستمرّ ضدّ الصين، سيعمّقان من التعاون بين هذه الدول لصدّ الهجوم الأميركي الشامل.

موازين القوى والقدرة الرادعة لإيران، هي التي أبعدت حتى الآن شبح عدوان مباشر وكبير ضدّها. صحيح أن الإمبراطوريات المنحدرة كثيراً ما تصاب بالجنون، لكنه في أغلب الأحيان، وكما أظهرت التجارب التاريخية السابقة مع بريطانيا وفرنسا مثلاً، غالباً ما يعود بالوبال عليها.

جميع التطوّرات تؤشر إلى اعتماد التحالف الغربي - الإسرائيلي، مجدّداً، سياسة التوتير العلني مع طهران (أ ف ب)

ما كان هو ما سيكون: إسرائيل لا تملك قرار الحرب

علي حيدر

شهدت الساحات الإقليمية والعالمية، حديثاً، سلسلة متغيّرات متفاوتة الأهمّية والتأثير على تقديرات القيادة الإسرائيلية وخياراتها إزاء بيئتها الإقليمية. ومن ضمن هذه المتغيّرات عودة بنيامين نتنياهو المرتقبة إلى السلطة على رأس حكومة يمينيّة متطرّفة، بما يحمله من تجربة طويلة في رئاسة الحكومة استمرّت حوالي 15 عاماً وصولاً إلى عام 2021، وشهدت الكثير من التطوّرات التي مثّل كلّ منها محطّة اختبار له.

لا تقدر إسرائيل على إعادة البرنامج النووي الإيراني سنوات إلى الوراء، كما انها تفتقر إلى الأدوية على اسئلة «اليوم الذي يلي» (أ ف ب)

ولعلّ من أهمّ الخلاصات التي يمكن أن نُجمل تلك التجربة، حرْص زعيم «الليكود» على إبراز صورة «إسرائيل القوية»، واحياناً بشكل مبالَغ فيه، ولكن أيضاً، حرصه الموازي على عدم التورّط في مغامرات عسكرية كان يُقدّر أنها ستؤدّي إلى مواجهة كبرى في المنطقة. هكذا، التزم بمعادلات الردع التي أرساها «حزب الله» في

> **أثبت نتنياهو حرصه على عدم التورّط في مغامرات عسكرية يُقدّر أنها ستؤدّي إلى مواجهة كبرى**

لبنان وخارجه، وامتنع في لحظة الاختبار العملي عن مهاجمة البرنامج النووي الإيراني عسكرياً على رغم تهديداته المتواصلة بذلك، فيما البديل الذي اكتفى به هو العمليات الأمنية، التي، وإن نجحت تكتيكياً عبر بعض الضربات الموضعية، إلّا أنها فشلت استراتيجياً كونها لم تُحقّق المؤمّل منها في إحباط تقدُّم إيران النووي، أو ردْعها عن المُضيّ فيه.

ولربّما من أبرز مَن تناولوا منطق نتنياهو الاستراتيجي، ومِن موقع التجربة في الغرف المغلَقة التي تُطبخ فيها القرارات الكبرى، رئيس الاستخبارات العسكرية السابق، اللواء تامير هايمن (2018 - 2021)، الذي عقّب على الأسئلة المطروحة راهناً على أبواب تشكيل حكومة تضمّ شخصيات فاشية، بالقول: «نتنياهو صاحب خبرة أمنية، ويُعتبر محافظاً وحذراً في سلوكه» (إسرائيل اليوم 2022/11/6). وعلى هذه الخلفية، تناول بعض الخبراء الإسرائيليين، أيضاً، استراتيجيته بالانتقاد، على اعتبار أنها لم تمنع تراكُم ترسانة «حزب الله» العسكرية والصاروخية وتطوُّرها، ولا كبحت جماح البرنامج النووي الإيراني. ومردّ تلك النتيجة، أن نتنياهو ينطلق، في تقديراته وخياراته، من حسابات دقيقة لمعادلة الكلفة والجدوى التي دائماً ما حكمت أداءه وضبطته، وهو ما لا يُتوقّع أن يتغيّر؛ إذ لم يمضِ على غيابه سوى سنة وبضعة أشهر، فيما المعادلات التي كانت قائمة في عهده لا تزال كما هي، بل وتعزّزت أيضاً، ما يعني أنها ستفرض نفسها على طاولة أيّ حكومة إسرائيلية.

على المستوى الدولي، انفجرت الحرب الروسية - الأوكرانية، مُتقدّمةً على جدول أعمال الولايات المتحدة، من دون أن تزيح المواجهة مع الصين عن قائمة الأولويات. وفي الوقت نفسه، واصلت إيران تطوُّرها النووي، وأصبحت، بحسب وزير الأمن الإسرائيلي بني غانتس، على مسافة أسبوعَين من إنتاج المواد الانشطارية التي تحتاج إليها القنبلة النووية، لو أرادت ذلك، فيما أضحى تطوُّر قدراتها العسكرية، وحلفائها في «محور المقاومة»، أكثر حضوراً في حسابات إسرائيل. ولعلّ من أبرز تداعيات تلك المتغيّرات وغيرها، أنها تُقلّص من تأثير تردُّد رؤساء الحكومات الإسرائيلية على خيارات العدو العملياتية ضدّ إيران، والأهمّ أنها تنقل مركز الثقل في هذه القضية إلى الجيش، الذي تُعدّ توصياته غير مُلزمة قانونياً للحكومة، ولكن تُصعب مخالفتها، وأيضاً إلى الولايات المتحدة.

لا يتعارض ذلك مع حقيقة أن دولة الاحتلال تملك القدرة على توجيه ضربات عسكرية إلى إيران، لكن المسألة تتّصل بالمخاطر التي تُواكب أي عملية من هذا النوع في ظلّ تطوُّر القدرات الإيرانية الصاروخية والدفاعية، والجدوى المُتوقّعة منها في التأثير على برنامج طهران النووي الذي أصبح أكثر تحصُّناً وتطوُّراً، والأهمّ افتقاد من يفكّر بها إلى القدرة على مواجهة الردود العسكرية الدقيقة التي ستستهدف عمقه الاستراتيجي والحال هذه، فضلاً عن امتلاك الجمهورية الإسلامية القدرة التكنولوجية على الردّ بدفْع برنامجها النووي إلى مستويات غير مسبوقة. باختصار، لا تقدر إسرائيل على إعادة البرنامج النووي الإيراني سنوات إلى الوراء، كما أنها تفتقر إلى الأجوبة على أسئلة «اليوم الذي يلي» أي عدوان واسع، وهي الإجابات التي يشدّد رئيس الاستخبارات العسكرية السابق، اللواء عاموس يادلين، على ضرورة امتلاكها، وإلّا فإن نتائج أيّ ضربة عسكرية ستكون مغايرة لما هو مؤمّل إسرائيلياً.

انطلاقاً من هذه الحقائق، لا تزال مواقف كبار القادة العسكريين والأمنيين الحاليين والسابقين مُعارضة للتفرّد بقرار مهاجمة إيران، ومن بين هؤلاء قائد سلاح الجوّ الأسبق، إيتان بن إلياهو، الذي اعتبر أن استعدادات لهجوم كهذا «تجري بتأخير سبع أو ثماني سنوات تقريباً»، وأن هذا الخيار «أصبح أقلّ أهمية اليوم بسبب الوضع الذي نتواجد فيه، وهو أن المسألة كلّها بين إيران والأميركيين». ورأى بن إلياهو، الذي شارك في تدمير البرنامج النووي العراقي عام 1981، أن واشنطن تهدف من وراء المناورات المشتركة مع تل أبيب إلى القول: «إننا معكم وانتم لا يمكنكم القيام بذلك وحدكم». وإذ أكد أن إسرائيل لن تهاجم إيران من دون الأميركيين، فقد أشار إلى جملة من الأسئلة الملحّة، وعلى رأسها: «هل الظروف ملائمة لتنفيذ هجوم؟ نعم. وهل الإنجاز المتوقّع هو على الأقلّ مِثل الإنجاز المطلوب؟ والسؤال الثالث: هل سنحقّق الإنجاز المطلوب من خلال الهجوم». هنا، يبدو أن امتناعه عن إجابة السؤالَين الأخيرَين، ينبع من إدراكه أن إسرائيل أعجز من أن تُحقّق ذلك، وأن الأمل معقود لديها على مشاركة أميركية فاعلة، تُدرك واشنطن أنها ستُورّطها في حرب يتمّ خلالها استهداف كلّ المصالح الأميركية في المنطقة.

◄ إعلانات رسمية ►

اعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب إبراهيم توفيق الحلبي وكيل شعاع توفيق الحلبي سند تمليك بدل ضائع للعقار 10/6092 عاليه.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

اعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب علوان سعيد ابي عسل وكيل سمير انيس ابي سعد لموروثه انيس اسكندر ابي سعد سندي تمليك بدل ضائع للعقارين 2426 و2429 كفرمتى.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

اعلان
من أمانة السجل العقاري في عاليه
طلب اكرم جميل السباعي وكيل سناء عبدالله السباعي سند تمليك بدل ضائع عن حصتها في العقار 4522 بيصور.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في عاليه
ليليان داغر

اعلان
من أمانة السجل العقاري في بعبدا
طلب عماد مصطفى بزي سند ملكية بدل ضائع للعقار 11/2049 حارة حريك.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في بعبدا
نايفه شبو

اعلان
من أمانة السجل العقاري في بعبدا
طلب كرم عفيف زيدان وكيل عصام اديب مكارم سند ملكية بدل ضائع للعقار 13/4606 العبادية.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في بعبدا
نايفه شبو

اعلان
من أمانة السجل العقاري في بعبدا
طلب عدنان محمد زين الدين وكيل قاسم حسين الحوراني سند ملكية بدل ضائع للعقار C 18/630 تحويطة الغدير.
للمعترض المراجعة خلال 15 يوماً
أمين السجل العقاري في بعبدا
نايفه شبو

اعلان
بتاريخ 2022/11/24 وبموجب محضر جمعية الشركاء تاريخ 2021/4/1 لشركة ترحيني للهندسة والمقاولات تقرر حل الشركة وتصفيتها وشطبها من قيود السجل التجاري في صيدا والشركة من نوع تضامن ومسجلة برقم 6779/عام و2088/خاص ومركزها في النبطية العقار رقم 1882 ملك خياط ورقمها المالي 84358.
ولكل ذي مصلحة الاعتراض ضمن مهلة عشرة أيام
أمين السجل التجاري في الجنوب
منى أحمد شبو

استراحة

كلمات متقاطعة 4188

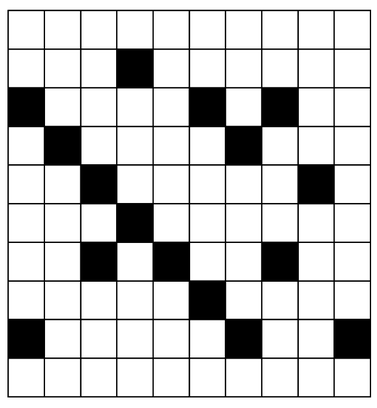

افقيا

1- من أشهر المعارك خلال الحرب العالمية الثانية – 2- إسم حمله عدد من فراعنة مصر – لباس الميت – 3- بئر عميقة – مدينة إيطالية – 4- قلة النوم – أرض سهلة واسعة تغطيها الحشائش – 5- إنقسم نصفين – إله مصري – 6- قوة الخلق والإبداع – حيوان خرافي – 7- خصب – ورك – لعن وشتم – 8- حصون – سحري بالأجنبية – 9- صفرة البيض – إسم حمله ثلاثة أخوة فرنسيين في عالم الرسم – 10- من الطيور المائية

عمودياً

1- فندق ضخم في دبي – 2- يمر – الإسم السابق لدولة آسيوية – 3- ثرى – من الطيور – تراب مجبول بالماء – 4- أكلت – دولة أوروبية – 5- ضمير منفصل – رتبة عسكرية – للنفي – 6- من عواصم اليونان القديمة زاحمت أثينا – قدم رأس المال للقيام بمشروع تجاري – 7- راتب شهري – وقت ملائم – 8- تُلف عليها الخيطان – من أنواع الموسيقى الغربية – 9- مخلص – موسيقي إيطالي راحل – 10- قرع الجرس – مدينة لبنانية

حلول الشبكة السابقة

افقيا

1- رومارييو – شك – 2- سردين – ايار – 3- تيبر – محارم – 4- مدرار – لم – 5- اد – متامل – 6- ارتهان – لاح – 7- شو – مر – دونم – 8- آسيا – 9- يم – روشمور – 10- دارت الأيام

عمودياً

1- رستم باشا – 2- وريد – روسيا – 3- مدبرات – يمر – 4- ايرادهما – 5- رن – أر – را – 6- من – غول – 7- واحات – شا – 8- يا – الوهمي – 9- شارلمان – وا – 10- كرم ملحم كرم

sudoku 4188

8		1	3		5			
	3				9	1		
6				1				3
1						6		
		2		6		5		9
7	9				3	4	1	2
	1		8	4	2	9		
					6			
		8		5	1			4

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4187

6	7	5	1	2	4	9	8	3
2	9	1	8	7	3	6	4	5
8	3	4	5	9	6	7	1	2
9	2	3	6	8	1	4	5	7
1	8	6	4	5	7	3	2	9
4	5	7	9	3	2	1	6	8
5	1	8	7	6	9	2	3	4
7	6	2	3	4	8	5	9	1
3	4	9	2	1	5	8	7	6

مشاهير 4188

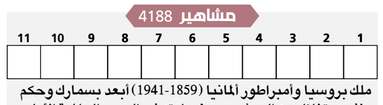

ملك بروسيا وأمبراطور المانيا (1859-1941) أبعد بسمارك وحكم بنفسه. تنازل عن العرش بعد خسارته في الحرب العالمية الأولى
2+6+3+2 = 5+4+3 = النهار والليل ■ 11+7+8+5 = يقتل

إعداد
نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: بارون هولباخ

البلاد

يوم التضامن

إفشال مخطّط للّوبي الصهيوني في البرلمان الإسباني

مصعب بشير*

اقترح «الحزب الشعبي» (PP)، وهو أكبر حزب يميني في إسبانيا - معروف بمواقفه المناهضة للحقوق الفلسطينية ودعمه المطلق لنظام تل أبيب الصهيوني - تعديل ثلاثة قوانين تنظّم حقوق تكوين الجمعيات وتمويل الكيانات الحكومية والأهلية والخاصة، وذلك من خلال استدخال تعريف صهيوني لـ«معاداة السامية»، وضعه ما يعرف بـ«التحالف الدولي لذكرى المحرقة» (IHRA)، وهي منظمة دولية تجمع ممثلين لـ 35 حكومة وعدة منظمات صهيونية، تحت عنوان «التوعية بالمحرقة»، لكنها كلمة حقّ أُريد بها باطل.

وتهدف التعديلات إلى منع حصول الجمعيات والكيانات التي تدعو إلى مقاطعة إسرائيل، أو تشير إلى نكبة عام 1948، أو تنتقد تاريخ الحركة الصهيونية وعلاقتها بالنظام النازي - اتفاق «الهاعفراه» عام 1933 مثلاً - أو تنتقد إسرائيل على ما تقوم به من تطهير عرقي وسياسة فصل عنصري. وذلك باعتبارها، وفقاً لنص التعديل المقترح «معادية للسامية». وتجدر الإشارة إلى أن النص المقترح يذكر صراحة أنه يعتمد تعريف «التحالف الدولي لذكرى المحرقة»، كما يثبت محضر المداولات التي سبقت رفع المقترح من جمعية إقليم مدريد إلى مجلس النواب، أن الحزب الشعبي اعتمد وثائق قدّمها له اللوبي الصهيوني في إسبانيا، كما أن حزب Vox الفاشي اليميني المتطرف أيّد، بمنتهى الشراسة، مقترح الحزب الشعبي.

سباب رسمي واستفاقة غير رسمية

على الرغم من أن نص التعديلات قد سُجّل رسمياً في قلم مجلس النواب الإسباني في مدريد، ونشر في جريدة البرلمان الرسمية في 13 أيار 2022، فإنه لم يلحظ أحد من السلك الدبلوماسي الفلسطيني أو من جمهرة الجمعيات والهيئات والمنظمات الداعمة للقضية الفلسطينية من الإسبان والفلسطينيين والعرب الأمر. وذلك لأن المقترح بعد تسجيله لم يُطرح من قبل الحزب الشعبي للتصويت، نظراً إلى انشغال اليمين واليسار في إسبانيا بمعارك مهمّة تتعلق بالأجور وقوانين الذاكرة التاريخية والطاقة والضرائب.

لكن الأمور تسارعت على نحو خطير بدءاً من شهر أيلول الماضي، إذ أشيع أن المقترح سيُعرض على لجنة تقييم المقترحات في مجلس النواب الإسباني. وحزب الاشتراكيين الديموقراطيين (PSOE) الذي يرأس الائتلاف الحاكم، كان قد أبدى رفع المقترح إلى مجلس النواب، وأن هذا الموقف في ظل ميزان القوى الحالي بين الكتل البرلمانية كان سيعني أن اللوبي الصهيوني سينجح في تقويض المنجزات كافة لحركة مقاطعة إسرائيل (BDS) وسحب الاستثمارات منها ومعاقبتها، وكل ما حققه اليسار الإسباني وحركة التضامن الشعبية الإسبانية من منجزات قانونية تدعم القضية الفلسطينية وتضيّق الخناق على نظام تل أبيب العنصري.

ثم جاء رد الفعل من قبل بعض المغتربين الفلسطينيين، وبعض اليهود المناهضين للصهيونية من حفلة الجنسية الإسرائيلية، وحزب اليسار الموحد (IU) - الذي يتكون من الحزب الشيوعي الإسباني وبعض التنظيمات اليسارية الصغيرة، وبعض النشطاء الإسبان في حركة المقاطعة (BDS). فتم تنظيم ندوة في مجلس النواب في العاصمة الإسبانية مدريد، بدعوة مفتوحة للنواب والجمهور، إضافة إلى ندوتين في جامعة غرناطة وفي جامعة بلد الوليد تحدّث فيها ثلاثة من اليهود المناهضين للصهيونية، أولهم: ليليانا قرطبة - كاجرجينسكي، وهي من مؤسسي «الشبكة الدولية لليهود المناهضين للصهيونية» (IJAN)، وابنها شاعر يهودي قاتل في صفوف أنصار الحزب الشيوعي السوفياتي ضد النازيين. وثانيهم: إيتان برونشتاين أباريسيو، وهو من رواد حركة «الريفيوزنيك» أي رافضي الخدمة في الجيش الإسرائيلي، ومؤسس «مفكك الاستعمار» (De-Colonizer) وهو مختبر بحثي وفني يعمل على توعية الجمهور الإسرائيلي بالنكبة وحقّ العودة، وقد ألّف إيتان بالتعاون مع إيليونور ميرزا - برونشتاين، أول كتاب باللغة العبرية عن النكبة والنضال اليهودي ضد الصهيونية (ترجمه الكاتب أخيراً إلى العربية وهو قيد النشر). أمّا ثالثهم فهو يونّتن شابيرا، وهو طيار سابق في سلاح الجو الإسرائيلي، قاد حركة رفض للخدمة مع حوالى 30 طياراً آخرين، ثم طُرد من الجيش قبل أن يصبح من أهم الأصوات المناصرة للشعب الفلسطيني.

تحدّث اليهود المناهضون للصهيونية في مجلس النواب الإسباني عن مفهوم معاداة السامية، والاستخدام المغرض والمدلس من طرف إسرائيل لهذا المفهوم من أجل إسكات أي صوت داعم للحق الفلسطيني. كما وضّحوا بكل رصانة الفرق بين اليهودية والصهيونية، والفرق بين معاداة السامية ومعاداة الصهيونية التي تمثلها دولة إسرائيل. كما اجتمعوا بلجنة العلاقات الخارجية، وممثلين عن كتلة حزب الاشتراكيين الديموقراطيين (PSOE). وتكلّلت هذه الخطوات بالنجاح، إذ تعهد الاشتراكيون الديموقراطيون بعدم دعم ذلك المقترح، وهو ما يعني أن اللجنة المختصة بالنظر في المقترح، ستصوّت ضده في حال تقديمه نظراً إلى أن حجم الاشتراكيين الديموقراطيين مع بقية الأحزاب اليسارية - التي تدعم تقليدياً القضية الفلسطينية - لم يعد في مصلحة الصهاينة وأحزاب اليمين الإسباني.

جرى حديث غير رسمي بأن بعثة فلسطين الدبلوماسية في مدريد تحركت بعد مرور ثلاثة أيام على نشر الدعوات لندوة اليهود المناهضين للصهيونية في مجلس النواب الإسباني، وأن السفير اجتمع مع قيادية في حزب الاشتراكيين الديموقراطيين. لكنه تحرك متأخر جداً، نظراً إلى أن العمل على تنظيم الندوات كان قد بدأ قبل أكثر من شهر على نشر الدعوات، فضلاً عن الموقف السلبي من بعض موظفي السفارة وأصدقائهم الإسبان الذين لم يعجبهم أن «يتحدث يهود عن الشعب الفلسطيني».

> **الفضل الاكبر في هذا الإنجاز يعود لقوّة حضور الرفاق اليهود المناهضين للصهيونية ولحجّتهم ومنطقهم**

محاولة صهيونية يائسة

قبل ساعات قليلة على موعد الندوة التي تحدّث فيها كلّ من إيتان برونشتاين أباريسيو ويونّتن شابيرا، حدث لغط كبير في إدارة جامعة غرناطة، حيث مارس اللوبي الصهيوني ضغطاً كبيراً على الجامعة لإلغاء الفعالية. غير أن سلك الأساتذة النشط والملتزم، والمنظمات الطلابية التي كانت متحمسة للندوة، ساهموا في إيجاد حركية أبطلت المساعي الصهيونية في آخر لحظة. لم تُعقد الندوة وحسب، بل كان الحضور أكبر من المتوقع، فغصّت به القاعة، والبهو المفضي إليها، إذ إن اللغط الذي أثاره الصهاينة انقلب عليهم، بإشهار أكبر للندوة التي كانت ناجحة بكل المقاييس.

ما كان بالإمكان إفشال المخطط الصهيوني الأخير في إسبانيا، لولا يقظة الفلسطينيين المغتربين ورفاقهم الشيوعيين الإسبان وحصافتهم. لكن الفضل الأكبر في هذا الإنجاز يعود لقوة حضور الرفاق اليهود المناهضين للصهيونية ولحجّتهم ومنطقهم، إذ كان لحضورهم وقعٌ فتح أبواب مجلس النواب ولجانه ذات الصلة. إنّ في ما شهدته إسبانيا من هزيمة للوبي الصهيوني في تلك المعركة لعبرة؛ وهي أن النضال الذي يساهم فيه اليهود المناهضون للصهيونية، نضالٌ أكثر فعالية في بعض الأحيان من النضال الذي يخوضه الفلسطينيون والعرب وحدهم، ولا سيما في القارة العجوز التي للأسف يحظى فيها الرجل الأبيض باهتمام يفوق الاهتمام بغيره. لكن النضال المشترك بين الفلسطينيين أصحاب الأرض، وأبناء اليهود الذين جاءت بهم الصهيونية إلى فلسطين، نضال ضروري لتفكيك الصهيونية من الداخل على قاعدة عودة اللاجئين الفلسطينيين وإقامة الدولة الواحدة القائمة على العدالة الاجتماعية والمساواة، وهو نضال واجب على اليهود الواعين لتخليص أنفسهم من وطأة الصهيونية ودرنها، ونضال واجب على الفلسطينيين، فاليهود «الإسرائيليون» الذين جاءت بهم الصهيونية إلى فلسطين، مواطنون فلسطينيون في فلسطين المحررة من الصهيونية، وإلى ذلك الحين سيظل الأمر سجالاً مع اللوبي الصهيوني هنا وهناك.

* صحافي وترجمان فلسطيني مقيم في إسبانيا

التضامن فعل تحرّكه فلسطين

موسى جرادات

بعد صدور قرار تقسيم فلسطين بثلاثين عاماً، منحت الأمم المتحدة الشعب الفلسطيني، يوماً للتضامن معه، يوماً واحداً، لتبقى أيام السنة الأخرى بلا تضامن. صوّت على القرار في المكان ومن الجهة ذاتها التي صوّتت لصالح قرار تقسيم الوطن فلسطين عام 1947. إنها مفارقة تستحق التوقف عندها والتأمل.

كيف استطاعت فعل ذلك التناقض البيّن والواضح الجلي، ليست الأمم المتحدة من فعلت ذلك، إنها القوى الغالبة والمنتصرة، أملت وفرضت قرار التقسيم من دون النظر في تداعياته المأساوية على الشعب الفلسطيني، والتي لا تزال ماثلة منذ عقود وحتى هذا اليوم. القوى العالمية حكمتها وتحكمها المصالح، تجندت لخدمة مشروع استيطاني إحلالي عنصري، يمارس اليوم على أرض فلسطين كل أنواع الجرائم من دون خوف من المحاسبة، فهو محروس ومحميّ من القوى نفسها التي أمّنت له شرعية دولية.

والمفارقة الأخرى، أن قرار التقسيم حمل طابعاً حقوقياً قانونياً، أشرفت على تطبيقه الجهة التي تدّعي رسم معالم الحق الإنساني، فيما يوم التضامن، ومن أسمه يحمل طابعاً عاطفياً تذكيرياً، بأن الشعب الفلسطيني قد انتزع منه الجزء الأخر من وطنه، ومن يومها يعيش منتظراً يومه الموعود، وما بين التقسيم والتضامن فارقٌ نوعي، خطان لا يمكنهما أن يلتقيا، فالأول أصبح واجباً، والثاني اختيارياً في التضامن أو عدمه، الأول ساهم في تأسيس دولة الكيان، والثاني محاولة للتذكير بأن هناك ضميراً إنسانياً حاضراً في هذه القضية، لا يؤسس إلى فعل شيء ملموس في حياة الفلسطينيين.

بين التقسيم وحقّ العودة والتضامن

على الرغم من إجحاف قرار التقسيم الرقم 181 الصادر عام 1947، لحق الفلسطينيين في أرضهم، ومنح اليهود الشرعية لإقامة دولة لهم، لم يمنح الشرعية ذاتها للفلسطينيين. وبالتالي كان القرار تمهيداً للنكبة، وتمهيداً لقرار آخر، سيبدو مع الوقت أنه قرار لرشوة ضمير العالم، فنصّه الذي يؤكد على عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أراضيهم التي هُجروا منها، لم يُنفذ، وظل حبيس الأدراج إلا في المناسبات، وصرخات المطالبة بعودة الفلسطينيين الذين هُجروا وأولادهم وأحفادهم اليوم، ولم يُتخذ حتى الآن أي إجراء يلزم إسرائيل بتنفيذ القرار. مع ذلك فهو قرار دولي موثق، يتم الاستناد إليه لحفظ الحق، بجزء مهم من القضية الفلسطينية، وهو حق العودة، المعادل الموضوعي للنكبة، فهو أمر حاضر وواقع وفاعل وليس تاريخاً وذكريات، حاضر بوجود أصحابه، وبوجود إرادتهم وكفاحهم المشروع والمستمر منذ عقود، بينما «اليوم الدولي للتضامن مع الشعب الفلسطيني»، صحيح أنه رشوة ضمير أخرى، إلا أنه مكمل ومساعد وداعم لنضال الشعب الفلسطيني.

يوم التضامن ليس احتفالاً

في يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني، تأكيد على أن هناك حراكاً يحمل طابعاً أممياً، سواء كان رسمياً تمثّله دول، أو شعبياً تمثله مؤسسات وأفراد مناصرون للحق الفلسطيني، قد تختلف الدوافع في مسألة التضامن، وقد تتفاوت تبعاً للجهة المتضامنة، لكن منبتّه واحد، مرتبط ارتباطاً عضوياً بحرارة القضية الفلسطينية، وما تمثّله من امتحان عملي للإنسانية جمعاء، وهو ليس احتفالاً فولكلورياً عائماً، وليس بديلاً من الحضور الدولي، كعامل إيجابي تجاه القضية الفلسطينية وتداعياتها على المسرح الدولي.

الاكتفاء بيوم التضامن لا يكفي لإعطاء القضية الفلسطينية حقها، في مسار النظم والمؤسسات الدولية، والمحافل الشعبية في كل مكان، صحيح أن يوم التضامن تخطّى بعده الخطي والآني في 11/29 من كل عام، فالكثير من القوى والتجمعات الأكاديمية والنقابية والمهنية في أكثر من مكان في هذا العالم، استندت إلى هذا اليوم، ليكون لحظة تذكير ودافع، واستحقّت بعضها في أكثر من دولة وسام النجاح، بعد أن حوّلته إلى فعل دائم، عبر حركة المقاطعة الدولية لدولة الاحتلال، إذ شملت أكثر من باب ومجال، على الصعيد الأكاديمي، يعاني الاحتلال من حصار ينمو ويزداد بفعل المقاطعة التي تفرضها الكثير من المؤسسات البحثية والجامعية. وعلى الصعيد النقابي، فقد نجحت أيضاً العديد من المؤسسات النقابية بفرض حصار اقتصادي على المنتجات الصناعية والزراعية القادمة من مستوطنات الاحتلال. كما شملت أيضاً المقاطعة، المهرجانات والمعارض، التي تقام سواء داخل دولة الاحتلال أو في الخارج بمشاركتها أو تنظيمها. والمؤسف جداً، أن تكون حركة المقاطعة تنمو وتتجدد في الدول الغربية، بينما عالمنا العربي والإسلامي، يشهد حركة انفتاح على دولة الاحتلال، وفي كل مرة تتحفنا الخطابات الرسمية، أن سبب هذا الانفتاح هو من أجل دعم القضية وشعبها.

فيما تثبت الوقائع أن التحلل من المقاطعة التي جرت في العقدين الماضيين لدى بعض الدول أو الجهات الرسمية وغير الرسمية، لم يجلب سوى الضرر المباشر على القضية وأهلها، ولم يتراجع الاحتلال خطوة واحدة إلى الوراء، بل زاد ويزيد من سياساته العدائية تجاه الشعب الفلسطيني، عبر زيادة الاستيطان، وتهويد القدس، والحصار المضروب على الشعب الفلسطيني الذي ازدادت وتيرته بعد اتفاقيات التطبيع.

الإرادة الشعبية أقوى في تعبيراتها

في المقابل، هناك مؤشرات شعبية، عربية على وجه التحديد، تقود إلى استنتاج مفاده أن فلسطين لا تزال القضية الأولى للعرب ولكل أحرار العالم، فما شهدناه من رفض شعبي للوجود الصهيوني على أرض قطر هذه الأيام خلال مجريات المونديال، يدلّ على أن الاحتلال مرفوض بشكل مطلق، فكل محاولات الإعلام الصهيوني لإجراء مقابلة واحدة في قطر، باءت بالفشل الذريع، ودلّت على أنهم غير مقبولين في العالم العربي، فعادوا أدراجهم مكلّلين بالهزيمة النكراء، بعد أن أثبت العرب هناك أن فلسطين أكبر من الرياضة وأكبر من غيرها. لقد ظهرت ردات الفعل أن فلسطين عقيدة كالصلاة، ولم يكتفِ الأمر عند حدود العرب والمسلمين، فقد شاهدنا اليابانيين والبرازيليين وكثيراً من الجنسيات يرفضون إجراء مقابلات إعلامية مع الإعلاميين الصهاينة، والموقف كان واحداً موحداً، فلسطين هي الحاضرة في المونديال، والاحتلال هو الغائب بفعل الإرادة الشعبية.

(برهان كركوتلي)

التضامن لغة الإنسان

من الواضح أن منسوب التضامن مع الشعب الفلسطيني، محكوم بالظروف الموضوعية التي تفرض نفسها على المتضامنين، لكنّ هذه الظروف تبقى أسيرة الفعالية الفلسطينية، واستمرار الكفاح الفلسطيني وديمومته، فكلما ازدادت وتيرة كفاح ونضال الشعب الفلسطيني وتصاعدت، ازداد فعل التضامن، وتماسكت خطواته، بما يخدم القضية وشعبها، وكلما خفتت وتيرة الكفاح، تراجعت حركة التضامن الدولي مع الشعب الفلسطيني، في معادلة أظهرتها الوقائع طوال عقود، ففي عام 1977 الذي أقر فيه يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني، كانت الثورة الفلسطينية حاضرة وهادرة، ولديها القدرة على إيصال الصوت الفلسطيني إلى كل بيت، في حين تراجع التضامن بعد تسويات أوسلو وتوابعها، حتى ظن البعض أن القضية الفلسطينية قد زالت من أجندات المجتمع الدولي وانتهت إلى غير رجعة، لتعود مرة أخرى على وقع الزخم الكبير الذي أحدثته الانتفاضة الثانية، التي أعطت الشرعية لكل حركات المقاطعة في العالم دون استثناء. عندما يحضر الفلسطيني ويعلي صوت الكفاح، يُسمع في كل مكان، وربما غداً يتحول التضامن إلى موج هادر، يستطيع أن يفرض نفسه وأجندته، وأهدافه العليا، وهي فرض المقاطعة على كامل مؤسسات دولة الاحتلال، وربما هذا اليوم ليس ببعيد، فالشعب الفلسطيني هو الشعب الوحيد في العالم الذي لا يزال تحت الاحتلال، بكل ما يحمله من عداء للقيم الإنسانية. وبالتالي، فإن فلسطين هي امتحان الكل، لانتصار قيم الحرية والعدالة والحق بالحياة، وهذا الامتحان قائم منذ النكبة وحتى هذا اليوم، فمن يتضامن مع فلسطين اليوم، يتضامن مع قيمه وأنماط عيشه، ومن يعاديها، يعادي كل القيم والمبادئ الإنسانية، والمعركة مفتوحة على مصراعيها، وكل حسب وجهته.

فلسطينيون منسيون في سجون أميركا: صرخة من أجل حرّيتهم

خالد بركات

انطلقت في الآونة الأخيرة حملة تضامن مع ثلاثة فلسطينيين معتقلين في السجون الأميركيّة، هم: شكري أبو بكر، غسان العشي، مفيد عبد القادر مشعل. أعلنت عن الحملة العديد من المنظّمات الفلسطينية والتضامنية في الولايات المتحدة بمبادرة من منظّمة «في حياتنا» الشبابيّة في نيويورك و«شبكة صامدون للدفاع عن الأسرى الفلسطينيين» و«حركة الشباب الفلسطيني» ونحو 30 جمعية سياسية ونقابية للتذكير من جديد بقضيّة الرجال الثلاثة المعتقلين في السجون الأميركيّة، أو ما يعرف بـ«قضيّة الـ 5 من مؤسّسة الأرض المُقدّسة».

في وسع القراء الأعزاء معرفة المزيد عن هذه القضية وتفاصيلها بمراجعة كتاب «طُلمة» الذي صدر في العام 2018 للكاتب اليهودي ميكو بيلد. يروي الكاتب قصّة خمسة معتقلين من أبناء فلسطين تعرّضوا لعملية خداع وظلم في حُمّى «الحرب على الإرهاب» بعد أحداث 11 أيلول 2001 على يد الأجهزة الأميركيّة والصهيونيّة، إذ وجد الرجال الخمسة أنفسهم يقضون أحكاماً بالسجن وصلت إلى 65 عاماً، فيما احتجزوا في زنازين تعتبر الأكثر تشدداً في معايير الحراسة والمراقبة والتضييق على حزبة المعتقلين.

قصّة الفلسطينيين الخمسة بدأت فصولها في العام 2001 حين اقتحمت عناصر تابعة لمكتب التحقيقات الفيدرالي (أف بي آي)، قبل أسبوع واحد من أحداث 11 أيلول، مقر شركة «إنفو كوم»، وهي شركة هندسية تقنية من أوائل الشركات التي تأسست مطلع التسعينيات مع ظهور الإنترنت كان يديرها المهندس غسان العشي. وصودرت أجهزة الحاسوب وملفات ووثائق الشركة.

وفي كانون الثاني من العالم نفسه اقتحم مقر «مؤسّسة الأرض المقدسة»، وسوف يتكشف لاحقاً، أثناء مجريات المحاكمة والتحقيقات، أن هذه الشركة والمؤسسة الفلسطينية الخيرية كانتا تخضعان طوال فترة بيل كلينتون لمراقبة أمنيّة مُكثفة. وللأمر صلة بـ«الحرب على الإرهاب» الاستراتيجية التي تبنتها الولايات المتحدة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والكتلة الاشتراكية من أجل تبرير التدخل العسكري المباشر في شؤون الدول والهيمنة على العالم (يمكن مراجعة مقال الكاتب «قوائم الإرهاب: ما يُعلنه المستعمر وما يُخفيه» المنشور في «الأخبار» 2 كانون الأول 2021).

ومن الأهمية بمكان تبيان حقيقة مفادها أن وزارة الخارجية الأميركية لا تتولى وحدها مُتابعة «ملف الإرهاب»، كما هو شائع، بل وزارة المالية (الخزانة الأميركية) هي الأصل في ذلك باعتبارها الخصم الأول لـ«الإرهاب»، ذلك أن جوهر القرار يتّصل بما يسمى «تجريم الدعم المادي»، وما يهم صناع القرار في واشنطن وباريس وبرلين ولندن وتل أبيب هو حصار حركات التحرر و«تجفيف مصادر الإرهاب»، أي تجريم الدعم المباشر لحركات التحرر والمؤسّسات الشعبية المحيطة بها، ومنع الإسناد السياسي والمالي للطبقات الشعبية المفقرة وعقاب الحاضنة الشعبية للمقاومة على نحو خاص.

> **اثنان من المعتقلين الخمسة أفرج عنهما بعد قضاء 15 سنة في السجون**

إنّ ما يسمى «قوائم الإرهاب» أعيد خرطها أكثر من مرة، في عهد الرئيس السابق بيل كلينتون منتصف التسعينيات وليس مع جورج بوش الابن كما يُشاع، وهدفت «لائحة كلينتون» إلى الضغط على القوى الفلسطينية والعربية التي «ترفض عملية السلام وتناهض التسوية السلمية عن طريق العنف»، وهذا هو النص الحرفي الذي استخدم لتبرير اللائحة التي أصدرتها الخزانة عام 1994. بعبارة أدق: استهداف القوى المسلّحة التي رفضت اتفاق أوسلو، والقوى التي لا تزال تحمل/تؤمن بـ السلاح في مواجهة الإمبريالية الأميركية حول العالم.

الجدير ذكره أن اثنين من المعتقلين الخمسة أفرج عنهما بعد قضاء 15 سنة في السجون هُما عبد الرحمن عودة ومحمد مزين، إذ قامت السلطات بترحيل الأخير في 2021 فيما بقي في السجن ثلاثة رجال، هم: شكري أبو بكر، محكوم بالسجن 65 عاماً، وغسان العشي، محكوم بالسجن 65 عاماً، ومفيد عبد القادر مشعل (شقيق السياسي الفلسطيني المعروف خالد مشعل)، والمحكوم بالسجن 20 عاماً.

الرجال الخمسة هم فلسطينيون أثروا العمل الخيري وجمع التبرعات على ممارسة العمل السياسي والإعلامي المباشر وتركزت جهودهم في جمع تبرعات إلى لجان الزكاة في فلسطين ومؤسسات ومنظمات أهلية تعنى برعاية عوائل الشهداء والأسرى والأيتام.

شكري أبو بكر، ومفيد عبد القادر مشعل، وعبد الرحمن عودة، ثلاثتهم من بلدة سلواد/رام الله، وغسان العشي من مدينة غزة، ومحمد المزين من خانيونس، ولدوا جميعهم في فلسطين المحتلة (باستثناء شكري أبو بكر، ولد في البرازيل لكنه عاد مع عائلته طفلاً ونشأ ودَرس في فلسطين) ثم هاجروا إلى أميركا من أجل إكمال تعليمهم الجامعي وأسّسوا الجمعيّة في كاليفورنيا عام 1989، وفي عام 1992 افتتح مركزها الرئيس في ولاية تكساس، ثم اتسع نشاطها إلى ميدينتي نيوجيرسي وشيكاغو.

وبعد ثلاثة سنوات على افتتاح مقار المؤسسة، وتحديداً في تموز 2004، اقتحمت عناصر من مكتب التحقيقات الفيدرالي (أف بي آي) منازل العائلات الفلسطينية الخمسة واعتقلوا الرجال الخمسة.

في عام 2000، جمعت المؤسسة حوالي 13 مليون دولار، بحسب مصادر في الحكومة الأميركية، وحينها طلبت إسرائيل من الرئيس بوش إغلاق المؤسسة واعتقال مؤسسيها، أثناء زيارة رئيس وزراء العدو أرئيل شارون إلى أميركا بعد أحداث 11 أيلول في نيويورك وواشنطن، وكانت التهمة الموجهة إليهم: «توفير الدعم المادي لحركة حماس ودعم الإرهاب»، وأدرج اسم «مؤسسة الأرض المقدسة» في «لائحة المنظمات الإرهابية» على قوائم الخزانة.

وبالعودة إلى كتاب «طُلم»، نكتشف كيف أن هيئة المحلفين الـ 12 قرروا براءة الخمسة إلا أن أحد أعضاء الهيئة «تراجع» عن موقفه، فأعيدت المحاكمة من جديد وهذه المرة اعتمد على شهادات من «خبراء في الإرهاب» استجلبوا من الكيان الصهيوني ومؤسساته الأمنية، وبأسماء مستعارة ومن دون أن يظهروا في المحكمة أو يقدّموا شهاداتهم أمام هيئة المحلفين!

مصادر الحملة الفلسطينيّة الجديدة من أجل الإفراج عن المعتقلين الثلاثة ترى أهميّة خاصّة لاتساع نطاق الحملة باعتبارها حملة عربية وعالميّة لمُناهضة القمع داخل الإمبراطورية الأميركية، ولتسليط الضوء على معاناة وحقيقة ما جرى ويجري حتى اليوم من ظلم وخداع واستهداف مبيت للرجال الخمسة، وكشف دور الكيان الصهيوني في استهداف دور الفلسطينيين في الشتات، والضغط من أجل تحريرهم من السجون الأميركيّة.

البلاد

كوزو أوكاموتو

الساموراي الأحمر... مُحارب برُتبة فلسطين

مروان عبد العال

- 1 -

يصادف 1947/12/7 ميلاد كوزو أوكاموتو؛ أعادتني المناسبة إلى كرنفال ثوري مدهش. حدث ذات مساء في شارع «الحبيب بورقيبة»، وسط تونس العاصمة، فرقة فنية تعزف وتغني، تعتلي مسرحاً في الهواء الطلق، لتحتفل بثورة 14 جانفي وسقوط النظام، والاف التونسيين يحتشدون وقوفاً. شباب وشيب وأعداد غفيرة من الطلبة والمثقفين ووجوه فنية وأدبية معروفة. عند محاولة العبور لتجاوز الحشود، تناهى إلى مسامعي اسم «أوكاموتو» وتردد عشرات الحناجر، تقول:

«أوكاموتو/ أحبّك يا أوكاموتو/ أحبّك يا أخي الإنسان/ ولستَ أخي في الدين/ ولستَ بقارئ القرآن/ ولستَ من خير أمّة قد أُخرجت للناس/ فحين حُبول البركان/ تذوبُ جميع الأجناس/ وتسقطُ كلّ الأديان!

سقطت كلّ التيجان/ مات أبطال الرّوم/ ومات أبطال اليونان/ ومات عنترة وعليُّ ابن السلطان/ مات جميعُ الأبطال/ وما زال الإنسان!

نحبك يا أوكاموتو».

وختم المغني بالضرب المتواصل على أوتار الغيتار، فارتعشت لها أوتار القلب: «نحبك أوكاموتو، ثانيةً وثالثةً... ودائماً».

ازدادت الدهشة عندما عرفت أن كاتبها الشاعر الشهيد مختار اللغماني الذي قُتل تحت التعذيب في السجن بتونس.

- 2 -

يشعل شمعة ميلاده وصورهم تمر أمامي وفي مقدمتهم كوزو أوكاموتو بكل تفاصيله، بخطواته المتعثرة يدخل عبر الباب مع طيف لا يفارقه، صار يده التي يأكل بها، عندما لم يكن يحسن استخدام يده، يعلّمه غسل الوجه، تنظيف الأسنان، حلاقة الذقن وحتى الاستحمام. هو كلّف نفسه برعايته وحمايته بسعادة ورضى، أدركت أن هناك ثمة بطولة عصية على النكران وإبطالاً لم تُبتلعهم الخرافة بعد!

حفرت أسماءهم كرموز للحرية والتحرّر الأممي وأبطال أسطورة الطلق. أمميون في كفاحهم وهم يخترقون اللغات والأجناس والطوائف وحدود الجغرافيا وحواجز الزمن ويستقرون في التاريخ...

أتخيل في ميلاده كل الذين لم نكن نعرفهم، ولم نسمع بهم ولم نرهم أبداً. ولكن حتماً نُحبّهم ونحاكيهم ونحلمهم... نعرف المثال والقيم والثورة التي فيهم، ونحن مثلهم تماماً نؤمن بها ونقتدي بها. أبطال المجموعة ياسوكي (صلاح) وأوكواديرا (ياسم) وكوزو (أحمد)، كل الذين تطوعوا من مشارق الأرض إلى وطن لم تنقرض فيه المقاومة يوماً، وتتوالد فيه روح البطولة الجماعية التي تنجب فدائيين جُدُداً: تامر الكيلاني وإبراهيم النابلسي وعدي التميمي وأقمار نابلس الستة وأبناء كتيبة جنين ومخيم شعفاط وبلاطة حين كسروا معادلة الهوان وذهبوا بكرامة مغسولين بمذاق تلك الحكاية. تجمعهم عقيدة المقاومة، وصرخة واحدة: «يا مقاومي العالم اتحدوا» ضد الظلم وانتصاراً لفلسطين. لذلك، صار العالم بالنسبة إليهم كلّه فلسطينياً.

- 3 -

كوزو، لماذا يفكر في فلسطين؟

أنغام الأغنية التونسية. عدت لأسأل: لماذا يفكّر الياباني كوزو في فلسطين؟ الساموراي الأحمر، سليل الكاميكاز، الشاب الطالب في كلية علم النبات، كان يومها عمره 24 سنة، ابن مدير مدرسة، ومن عائلة ميسورة الحال، لا أعرف إن كان قد قرأ عن تشي غيفارا، ولكنه حتماً اعتنق فكرته التي تقول «أينما يكون الظلم هناك وطني»، فجاء مقاوماً للظلم، وسار على نهج مقولة وديع حداد «وراء العدو في كل مكان». لكن صادف أن استطاع الإجابة في يوم الذكرى السنوية للعملية. يومها جئا فوق هيكل رخامي برمز للعملية، تم تشييده في مثوى شهداء الثورة عند مستديرة شاتيلا. كان في أفضل حال منذ أن عرفته، وذلك بفضل أحبّته ورفاقه، ربما ليقدم شهادة ميلاده الجديدة، وبرفقة باقات الزهر ورائحة أعواد البخور، ألقى كلمة قصيرة قراها باللغة اليابانية وتُرجمت لنا، ثم رفع قبضته إلى الأعلى وختمها وصاح: «أنا كوزو مع فلسطين... أحارب معكم ضد إسرائيل». بعد هذه الكلمات الجازمة (كوزو مع فلسطين)، أدركنا إنّه لم يولد فقط، خلال تلك السنوات ظل مكتشباً يذنب نفسه ويلومها لأنه فشل، والفشل أقسى من الموت الذي طاول رفاقه في العملية. فبعدما نفد منه الرصاص، توجّه نحو طائرة جاثمة على أرض المطار، وبيده قنبلة ليضعها في المحرّك. لكنه تلقّى ضربة مفاجئة فغاب عن الوعي ليجد نفسه أسيراً. أما معنى كلماته تلك في يوم ذكرى العملية، فقد كان يعلن عودته إلينا محرراً من الموت! يعرف الساموراي كيف يموت بشكل صحيح، لأنّه فقط في وجه الموت يمكن للمرء أن يصبح شخصاً حقيقياً.

- 4 -

تضيء شمعة كوزو الفلسطيني على تاريخ ميلاده الحقيقي مع تلك القنابل التي تحاور الزمن، مع رصاصه الذي يعزف النشيد الوطني ويسهم في صناعة الحق الأزلي بالعدل وبالحرية، يكزّ على أسنانه كي لا تنفذ من جعبته الذخيرة، وحتى لا يستعيد تاريخ الفشل. ففي عقيدة الساموراي الفشل أقسى من الموت. والنجاح يعني حياة جديدة. فلسطين لا يستحقها من يغادرها ويغدرها. لذلك هو ميلاد لرفاقه باتريك أوغريللو (والده من نيكاراغوا ووالدته من أميركا، درس في سويسرا واستشهد من أجل فلسطين) الذي سميت عملية اللد باسمه، وتسويشي أوكادايرا، وياسو يوكي ياسودا، وفرنسواز كيستمان، فيتوريو أريغوني، وراشيل كوري، واستيفانو كاريني، وكل ذكرى تتوالد مع وفاء يتجدد، أيضاً إلى الدكتور كريس باتو، الجراح البوناني الذي ذاع اسمه وصيته في المخيمات، والطبيبة البريطانية من أصل سينغافوري إنغ سوي شاي الشاهدة على مجزرة صبرا وشاتيلا. ولا ننسى إبداع الفنان السويسري مارك رودين والحضور الدائم للمناضلة الدنماركية العظيمة آني كنفاني. ندرك كيف أعطوا فلسطين بلا حدود، وظلوا كواقع موجود في تفاصيلنا اليومية وليس مجرد ذكرى، إنما حقيقة مستمرة.

- 5 -

تشتعل مع شمعته أدمغتنا بسؤال: من هو الفلسطيني؟ هل الذي يشتري حضور فلسطين بدمه، أم من ينزعها من دمه؟ من يدخلها إلى قاموس لغته أو من يسقطها عن لسانه؟ الذي ينحاز للحق والحقيقة أو من يتنازل عن الحق بالمناقصة أو بالخديعة والمراوغة؟ السؤال يرتبط بمعنى أن يكون الإنسان إنساناً. إنه الفارق بين إنسان يدافع عن إنسانيته وهويته وكرامته، في نضال محض مُنحاز إلى حقوق البشر في الحياة. قرأت يوماً دراسة قيّمة للمفكر العالمي حميد دباشي الذي طرح سؤال مفتاحياً: أين فلسطين؟ أين فلسطين في العالم، ولم يكن يعني العالم الفيزيائي فحسب، بل العوالم الأخلاقية والخيالية، تلك العوالم التي وصفها بالقوية سياسياً التي تتميز بالعوالم الاستعمارية، أو ما بعد الاستعمارية، أو حتى العوالم التي فككت الاستعمار. وأكد حقيقة أن تحول فلسطين من واقعة إلى ظاهرة يستند إلى موقعها العالمي بوصفها نموذجاً مصغراً لشرط استعماري يشير إلى ما هو أبعد من نفسها. نعم، فلسطين أبعد من نفسها. فكرة تنمو في القلب قبل أن تُزهر في العقل، وليس شرطاً أن يكون حاملها فلسطينياً أو عربياً، لأنها فكرة الإنسان التي تمتحن انتماء صاحبها إلى الإنسان». هكذا يبسط الكاتب المغربي عبدالله صديق أيضاً نظرته إلى فلسطين، في كتابه الشيّق المعنون بـ«أن تفكر في فلسطين».

لقد انتسب كوزو وأمثاله إلى فلسطين كحالة وجودية عالمية، بعد أن نجحت المقاومة في أن تحوّل القضية الفلسطينية إلى «فكرة إنسانية»، أوسع من تحرير أرض من قبضة مغتصب استعماري؛ مسألة التقدّم إلى الأمام كفكرة تسير نحو المستقبل، وفلسطين هي المعادلة النقيضة للصهيونية الخطيرة بمتخيّلها الديني «الكهانية» التي تسير حتماً عكس حركة التاريخ. تمثّل الفكر المعادي لكل العرب وكل دعاة الحرية والإنسانية والعدل في العالم. وقضية فلسطين هي قضية كلّ العرب وأحرار العالم، الباقية في ضمير ووجدان وقلوب الشعوب رغماً عن تيجان الخنوع والمهانة والهزيمة والتطبيع.

- 6 -

كوزو لم يقف محايداً مكتوف الأيدي أو متفرجاً مصفقاً لأطراف الصراع، بل وجد من فلسطين، في هذا العالم المتشكل طباقياً موقعاً للصراع، ليس بين مستعمرة غربية استيطانية دخيلة والسكان الأصلانيين فحسب، إنما هي أيضاً موقع للصراع بين عالمين: بين عالم الخيال الإمبريالي الأوروبي وعالم أحد أشكاله الرئيسة الذي صاغه تاريخياً للإيمان بنفسه وشرعنتها حتى إمبريالية القتل الكلي التي تركت آثارها على حياته في ناغازاكي وهيروشيما، وبين عالم فلسطين التاريخية هذه، الوطن السلف للفلسطينيين هو مركز الصراع بين الخيال الإمبريالي الشرس وملحقاته الاستعمارية الكارثية، ومنها ذيولها الرجعية الخانعة والمتهورة التي تمثله اليوم الصهيونية بصيغتها المتعددة والعابرة للأوطان والأديان والجنسيات.

النموذج الكامياكاز الذي أسقط نظرية الغرب والبقية، بأن الفلسطينيين ومن معهم مجانين وإرهابيون ويستحقون القتل، وأن لديهم قابلية على الترويض والسكينة والخوف، وهذا سر تجدد المقاومة التي تحولت إلى حافز يستحق التضحية من أجل الحق وشرعية البقاء. «جرائم أكثر مقاومة أكثر» مقولة جيل

انتسب كوزو وأمثاله إلى فلسطين كحالة وجودية عالمية بعد أن نجحت المقاومة في أن تحوّل القضية الفلسطينية إلى «فكرة إنسانية» أوسع من تحرير أرض من قبضة مغتصب استعماري

جديد يرفض الأوهام، وهندسة الانحراف عن الحق، وقبول التعايش مع عدو يعيد إنتاج نكبتهم كل يوم.

لذلك أصبحت فلسطين «استعارة مثالية»، تختزل الصراع العالمي مما يجعل منها ليس صراع محاور قابلة للوقوف على الحياد، ولا سيما أنّه صراع وجودي موضوعي متواصل، بعد أن أصبح مستودعاً لجميع شروط النضال العالمي المناهض للاستعمار.

لذا، يقع على عاتق فلسطين أولاً كطليعة المقاومة ورأس حربتها ومحورها، العبء التاريخي العالمي لتفكيك وحشية هذا الاستعمار الصهيو-أميركي.

- 7 -

نشعل شمعة ميلاد كوزو الإنسان الذي يحترق ليضيء ويهلك ولا يهزم. عندما تحرر من الزنزانة في عملية تبادل للأسرى، بعد 13 عاماً من التعذيب النفسي والجسدي، نال الحرية بعملية الجليل التي قامت بها «الجبهة الشعبية- القيادة العامة» في العام 1985. وسنوات صراع مريرة بين قبضة الجلاد لتفريغه من إنسانيته وتدمير ذاكرته وإحساسه بالزمن. واصل المقاومة الصامتة التي ابتدعنا لها مواصفات حصرية جديدة، في أتون معركة التحدي، لنجعله يتصرف كأحدي، يدرك ما هي وظيفة حواسه؟ وأطرافه؟ يديه ورجليه؟ وكيف يقتنع أنه لا يزال إنساناً؟

يقول محارب: جبد أن تموت في سبيل قضية عادلة، لكن المصيبة أن تنجو وتجد من هو مستعد للموت من أجلك. هكذا صار كوزو اللاجئ السياسي رقم واحد، في لبنان. نذكر بمحبة في ميلاده حزمة الشباب والصبايا وأصدقاء وأحبة ورفاق كوزو، وكل الذين وقفوا دفاعاً عن أصالتهم وانتمائهم يوم أودع كوزو السجن في لبنان عام 1977 بتهمة دخول البلاد خلسة مع خمسة من رفاقه. وكوزو المنتصر الأول على ذاته، حينما تمكن من فك قيده الداخلي، معتبراً أن الهزيمة تقع فقط حينما يقتنع بأن اليأس حقيقة. انتصر على الاستسلام بهدوئه وصمته وبابتسامته التي لا تفارق وجهه، وبالرفاق الذين رافقوه كظل واحتضنوه كطفل كبير فكانوا أسرته وقت أوجاعه ونوباته، وفرحوا بكل خطوة جديدة تضاف إلى حياته، تزداد غربته برحيل طيفه «أبو رامي سميح» الذي كلما ابتعد عنه قسراً تقرأ الفراق في صمته وتقاسيم وجهه ودمعات عينيه، يسأل عن سبب سفره الطويل ومتى يعود.

- 8 -

«نحبك يا أوكاموتو/ ولستَ أخي في الدين/ ولستَ بقارئ القرآن/ ولستَ من خير أمّة قد أُخرجت للناس». وبعد، «سقطت كل التيجان»، وبقي أحمد العربي الذي يؤمن بعقيدة الساموراي الأحمر التي تقول «يولد الإنسان عظيماً لغرض أعظم»، وهل هناك شيء أعظم من الحرية، فكيف إن كانت برتبة فلسطين؟ لم يولد في فلسطين أو لاجئاً خارجها، ولا من أبوين فلسطينيين. لكنه الفلسطيني جداً، والعربي الحقيقي، وإن لم ينطق لغة القرآن، لأنه الثابت مثل الأجيال العديدة المتنوعة من جنسيات مختلفة التي تناضل ضد الظلم وترتقي بفلسطين إلى مستوى الواجب الأخلاقي.

كوزو صار واحداً منّا، يتنفس فلسطين أملاً وألماً ودماً وكفاحاً ووجعاً وسجناً وزنزانة وقمعاً ومخيماً وحرية وحلماً. يؤكد لنا هويته بكل حواسه وبكافة العبارات والمعايير. سيظل كوزو عنواناً للبطولة بلا حدود وللكفاح الأممي ضد الإمبريالية العالمية، ومثالاً للالتزام الإنساني والإرادة الحرّة والصلابة الأسطورية والقيم النضالية، ولن توفيه كل الكلمات حقّه، فهو المحارب عبر الأزمنة، لتبقى فلسطين جديرة بمن قاتل لتحريرها، وأدرك أنه لا قيمة للعالم بأسره ما لم يكن لنا مكانٌ فيه.

في ميلاده الـ 75 تكفيه زهرة فلسطينية من جنون ما تبقى من هذه الأرض.

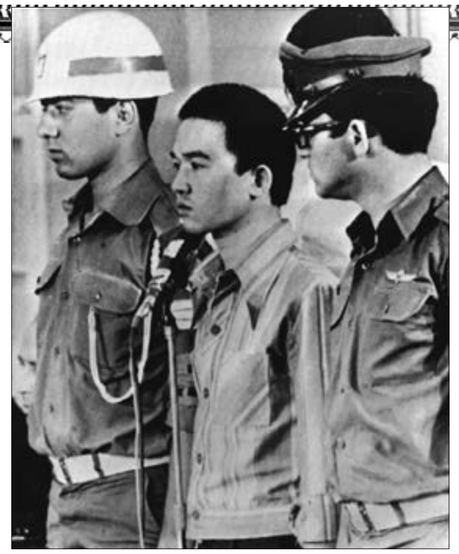

(أرشيف ـ مروان طحطح)

الأبوكاتو وأوكاموتو

فاديا بزي

«... وقت خلق الشفيع كنت ناطرو على باب الدكانة، وإلّا هوّي جابي وراسو بالأرض. قلت بقلبي: لَهْ إجت الخامسة! ولك ليش تأخرت يا بيي الحمدالله على سلامة إنعام، شو جابتلنا؟ بنت؟ ردّ: لا صبي. قلتلو: صبي وهيك ماشي متل العسكري المهزوم؟ كيف حاملتك أعصابك؟.. حملت الجفت وقوّصت ضربين. مش هون القصة، سألتو: شو بدك تسمّيه؟ قلّي: كوزو! صرخت فيه: كوزو؟ يا مشكر يا أبوكاتو!... منين جبتلي هالاسم؟».

- «إيه يا عمّي ما أني كنت عارفة، كوزو أوكاموتو عمل عملية اللّد بفلسطين، ووحام إبنك الأبوكاتو إجا عليي. كل ليلة يخبرني القصّة، بصمتا بصم، وبالآخر يحطّ إيدو على بطني ويقول تصبح على خير كوزو!... دخلك يا عمي كيف رجع اقتنع معك بغيّر الإسم؟».

-«والله يا عمّي بعد ما عملّي محاضرة حزبية بالنضال وهيدا اللي جابي من طرف الأرض... من اليابان تيعمل عملية ويحرر فلسطين، وشو الله جابرو إلّا إنّو إنسان حرّ مآمن بقضية هالشعب، قلتلو: طيب يا بيي... يعني فش شي إسم هيك هيك، من شي دولة نفهم عليها وتفهم علينا؟ يعني نحنا ودولنا أنجا نفكّ الحرف... سايفون ونقلتا على الدّبش، الدكانة وعملتلي ياها حليفة الاتحاد السوفييتي وإسّا بدّك تعملّي حاكورة نصّ الضيعة منطقة العبور الآمن للجيش الأحمر الياباني؟ برضايي عليك يا بيّي غيّرلي هالاسم»...

تقصّدت أن أقتطع هذا النّص من روايتي «TOP CAMERA» لأقول إنه منذ ذاك الوقت أقام كوزو معنا افتراضياً. وكنّا نحن الإخوة الأشقياء، نستفزّ به شقيقنا الأصغر بالقول: «بابا وماما اشتروك من اليابان، وكان اسمك كوزو قبل ما يسمّوك الشفيع». ومنذ ذاك الوقت كبر كوزو أوكاموتو المناضل معنا وبيننا، إلى أن قفز بي الزّمن أعواماً إلى الأمام وكنت خلالها قد أصبحت صحافية ومراسلة في قناة «الجديد» في بيروت حين خرجت قضية المناضلين اليابانيين الخمسة إلى الضوء، باعتقالهم عام 1997 وزجهم في سجن رومية، بعد انكشاف أمر إقامتهم السرّية في سهل البقاع. كوزو الذي قال لقاضيه الجلاد أثناء محاكمته في فلسطين المحتلة: «إنني كجندي في الجيش الأحمر الياباني، أحارب من أجل الثورة العالمية، وإذا متّ فسأتحول إلى نجم في السماء» قال بعدما حكم القضاء اللبناني عليه وعلى رفاقه بالحبس ثلاثة أعوام: «بعد القيام بعملية اللّد ظننت أنني أصبحت مواطناً عربياً يحقّ لي الإقامة في أي قطر عربي».

مدفوعةً باسم كوزو الذي انطبع في ذاكرتي مذ كانت طرية العود، ومن منطلق واجبي الوطني انخرطت في حملة أصدقاء أوكاموتو ورفاقه، وكان لي شرف المشاركة في النشاطات والتحركات إلى جانب الإضاءة إعلامياً على قضية اعتقال المقاومين الخمسة، وصولاً إلى الإفراج عنهم وعدم تسليمهم إلى اليابان بكل ما مرّت به الحملة آنذاك من التضييق والترهيب والملاحقة والتهديد بالاعتقال بهدف التعتيم على قضيتهم.

بمزيد من الشعور بالفخر في مواكبتي لقضيتهم، كنت من المحظوظين الذين حضروا زفاف أميّة عبود ومأساة أداتشي في سجن رومية. حملت ورقتي والقلم ومعهما باقة ورد أحمر جوري، وتوجهت قبل ظهر يوم الواحد والعشرين من شباط عام ألفين برفقة زميلي المصور إلى سجن رومية، حيث صُفّت الكراسي في القاعة وأصبحت جاهزة لمراسم الزفاف، فكان النائب السابق نجاح واكيم إشبين العريس، وإحدى قريبات أمية الإشبينة، بحسب ما أذكر، أما المعازيم فكانوا رفاق أداتشي والسجناء المحكومين.

تذكّر يا كوزو أن الحرية لم تعد حلماً، أن حريتك غادرت منطقة الأحلام

بعد انقضاء فترة حكمهم، أفرجت السلطات اللبنانية عنهم، وجرى العمل على تجزئة قضيتهم، بأن فصل ملف كوزو عن باقي رفاقه، وبتاريخ الواحد والعشرين من شهر آذار عام ألفين، وفي خلال مؤتمر صحافي كنت في تغطيته، أعلن المدير العام للأمن العام آنذاك النائب الحالي في البرلمان جميل السيد، منح كوزو أوكاموتو أول بطاقة لاجئ سياسي في لبنان. أما رفاقه، فقد اتخذت الحكومة اللبنانية قراراً بترحيلهم، ومعهم أداتشي على جناح صفقة، حملتهم إلى العاصمة الأردنية عمّان، ومنها إلى سجون اليابان.

بعد خروجه إلى الحرية ببطاقة حملت الرقم (1) كلاجئ سياسي، كان أول مشوار لي برفقة كوزو، وقلّة قليلة من الأصدقاء، بناءً على دعوة الصديق جمال واكيم، إلى شاطئ البربارة قرب مدينة جبيل، ولا أدري ما إذا كانت الصدفة قد لعبت دورها، بين سبعينيات بلدتي بنت جبيل حين سمعت للمرة الأولى اسم كوزو، وبين مدينة جبيل في شهر آب عام ألفين، ففي ذلك اليوم تربّع كوزو على الأرض، أجلس ابني رام، وكان يبلغ أحد عشر شهراً من العمر في حضنه، ضحك رام وناغاه، وتململ قليلاً قبل أن يستسلم لهدوء كوزو. التقطت في حينها صورة لهما، ومذّاك الوقت كلما نظرت إليها، أقرأ فيها أن السجن حطّم كوزو، حطّم قلبه وعقله وذاكرته، لكن مرّت الأعوام، التي قضاها بين زنازينه المنفردة وعذابات ما وراء القضبان، لم تستطع أن تدمّر تلك النظرة التي تشعّ بالأمل وتنمو كالبرعم وتلك الابتسامة التي تنبع من صميم رجل حرّ آمن بالحق في الحرية أنّى اتجهت بوصلته. في تلك اللحظة احتضن كوزو رام، كمن يحتضن أول العمر وآخر الحلم. وعلى إغماضة عينيه بقي الحلم سراً بين جفنيه الذابلين... تذكّر يا كوزو أن الحرية لم تعد حلماً، أن حريتك غادرت منطقة الأحلام.

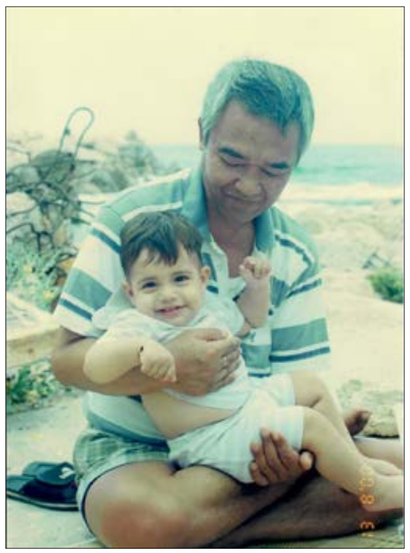

ملف مشترك مواد أخرى عن المناضل **كوزو أوكاموتو** في «القوس»

الأخبار
al-akhbar
السبت 3 كانون الأول 2022 العدد 4793

رحيل

وفاة نجمة «فليتوود ماك» عن 79 عاماً
كريستين مكفي... هي الأغنية

بول مخلوف

عند حوالي الساعة الحادية عشرة مساءً من ليل أوّل من أمس، اجتاح مزاج الحزن والرثاء جمهور الروك آند رول على إثر إعلان خبر وفاة كاتبة الأغاني والمغنية وعازفة البيانو وأحد أهم أعضاء فرقة «فليتوود ماك»، كريستين مكفي (1943 ـ 2022/ الصورة)، عن عمر ناهز 79 عاماً، بعد إصابتها بمرض غير معلن. جاء دويّ الخبر قاسياً وصادماً، في بيان مقتضب وسريع، أصدره مدير حسابها على إنستغرام: «نيابةً عن عائلة مكفي، نبلغكم بقلب مفجوع، برحيل كريستين مكفي. ماتت بهدوء وسلام صباح اليوم الأربعاء 30 نوفمبر محاطة بعائلتها في المستشفى، عقب مرض أصابها وقد كانت مدة إصابتها به قصيرة. نتمنى عليكم في هذه الأوقات العصيبة احترام خصوصية العائلة، كما نطلب من محبي كريستين أن يتذكروها كإنسانة رائعة، وموسيقية كانت محبوبة في العالم بأسره. فلترقد كريستين مكفاي بسلام». عقب انتشار الخبر، سرعان ما أصدرت فرقة «فليتوود ماك»، بياناً نعت فيه الفنانة الراحلة، لتلحقه بيانات متفرقة جاءت من أعضاء الفرقة كل على حدة، مستذكرين كريستين، حزينين على انطفائها، وممتعضين من إجراءات اتُّخذت مسبقاً من جهات لم يُشر إليها، كانت الغاية منها عزل حالة مكفي وتورية أخبارها. أمر يمكن استشفافه في كلمات زميلتها ستيفي نيكس: «أخبروني منذ قليل، عن وفاة صديقتي الحميمة، صديقتي المقربة منذ اليوم الأوّل من عام 1975. لم أكن أعلم أنها مريضة حتى يوم السبت الماضي. أردت أن أكون في لندن، أردت الذهاب الى لندن، لكنهم طلبوا منا الانتظار».

وُلدت مكفي عام 1943 في بريطانيا. كانت تبلغ 4 سنوات عندما بدأت تتعلم على البيانو، لكن مرحلتها مع الكلاسيكية لم تدم طويلاً حيث قاطعتها في أوائل مراهقتها. في الـ 15 من عمرها حسمت أمرها، اتجهت نحو الروك وباتت تعزف هذا اللون الموسيقي مع فرق محلية. لقبُها الذي اتخذته باكراً Christine Perfect سيكون عنوان ألبومها الأوّل الذي اشتهر بنسختها الخاصة لأغنية إيتا جيمس I'd rather go blind، بالإضافة إلى احتوائه على أغنيات أخرى تنتمي إلى فترتها الموسيقية مع فرقتها الأولى Chicken Shack. نتحدّث عن أواخر الستينيات، الفترة التي لم يكن فيها الروك آند رول صافياً تماماً من آثار البلوز وتموّجاته، وحيث كانت أغلبية الفرق الموسيقية الناشئة في حالة من التشتت والتضعضُع والتغيّر. فرقتها هذه ستكون المفتاح للدخول إلى عالم «فليتوود ماك». سيطلب منها بيتر غرين أن تكون مساعدة للفرقة، كعازفة بيانو، لإنجاز الألبوم الذي يسجلونه. نجاح تعاونها مع غرين، سيعزز من حماستها. ستنقل شغفها الموسيقي إلى مرحلة متقدمة، وستصبح الموسيقى هويتها. سيقودها هذا إلى إنتاج ألبومها الأوّل، ثم ستتعرّف إلى زوجها (الأوّل)، لاعب الباص في «فليتوود ماك» جون مكفاي. ستنضم إليه، وستنضم إلى الفرقة، والباقي من التاريخ.

عايشت كريستين مكفي مغامرة «فليتوود ماك» بأكملها. أمام المسرح، في الاستديو ووراء الكواليس. كانت شاهدة على جميع القصص وكانت إحدى بطلاتها. من البدايات، الفترة التي امتازت بجنون بيتر غرين ولمسات جيريمي سينسر، إلى الجيل الثاني الذي يمكن اعتباره المرحلة الذهبية لـ «فليتوود ماك»، المتمثل بعازف الغيتار ليندسي باكينغهام والمغنية وكاتبة الأغاني ستيفي نيكس. كانت مكفي حاضرة بثقل وزخم، أو فلنقل كانت أحد الوجوه الصانعة للمشهد. طيلة تلك المراحل، لم تتجرد مكفي من أهواء البلوز وأسلوبيتها الخاصة فيه، حتى في مرحلة الثمانينيات عندما طغت نزعة البوب عند الفرقة، حرصت مكفي على إضافة لمسات «بلوزية» إلى المقطوعات وإعطائها صدى خاصاً. وكريستين مكفي الإنسانة، لم تُجرّد نفسها من الفرقة، لم تنسحب في الأوقات الحرجة بل بقيت على المسار ذاته حتى النهاية، صديقة وفية للجميع، من بينهم جون مكفي الذي كان يوماً من الأيام زوجها.

ومكفي التي دخلت قاعة روك آند رول للمشاهير عام 1998، لم تكن مجرّد عازفة بيانو في إحدى فرق الروك، أو مؤدية لإحدى الأغاني التي تتطلب طبقة صوت منخفضة خافتة الوطء، وتنحو إيقاعياً نحو مزاج البلوز. ليست على هذا القدر من البساطة أو الخفة، ولا ابنة المشهد الموسيقي للقرن الحادي والعشرين. يمكن تحسّس وهج كريستين مكفي غناءً وعزفاً، في الحفلات، في المواقف الحاسمة التي تعرّي العمل وتفضح متانة عناصره. من ثم، فهناك، إنّ المجال أوسع للانغماس في موهبتها الفذّة، كما التماس قدرة هذه الموهبة في ارتجالها، وفي توزيعها وكيفية جعلها للبيانو أداة ليست ثانوية تعمل هامشياً في الوراء، أي رديفة أو إيقاعية، بل حاضرة، تنصهر منسجمة بتناغم مع الغيتار والصوت والدرامز.

وإلى جانب هذا، لعلّ أكثر ما ميّز كريستين مكفي وأذاع شهرتها، هو الأغاني التي كتبتها. توهّج نجم ستيفي نيكس في مرحلة السبعينيات، في الكتابة والغناء والاستعراض، لم يطفئ شرارة كريستين ولم يحدّه، على العكس، أسهم في انكشاف أسلوبها الموسيقي وأدى الى إبراز تفرّدها، فطريقتها المتمايزة شقّت لها طريقها الخاصة، إذ بعد مرور عقود على صدور أغانيها (مثل Tell me lies أو Every-where أو Songbird)، لا تزال الراديوات تعج بها وتبثّها حتى اليوم. أغنيات طُبعت في وجدان أجيال، وساهمت في إدخال صاحبتها وفرقتها، إلى المكتبة الموسيقية التي وحده التاريخ ينتقي ما يدخل إليها. نصوص مكفي هادئة، متقشّفة كتابياً، الوصف مقتصد، فالمساحة متوفّرة للكلمة اللازمة والكلمة اللازمة تقال، وفكرة الأغنية (وغالباً ما تكون العنوان) فهي الـ«روفران». كتابتها الرقيقة تشبه حنجرتها الناعمة. الصوت دافئ، في أغلب الأوقات، ميلانكولي. تغني مكفاي كأنّها تدمدم، أحياناً كأنّها ترتّل. ولأنّها على ضفاف الروك، فالصخب المؤجج لا يجيء على لسانها، ولا من حنجرتها، إنّما من جملها الموسيقية الطويلة، الحيوية والفائضة. فأغاني مكفي، عموماً، حزينة وخائبة، تتطابق مع ميلها الموسيقي للبلوز. «أنا جيدة بالحزن والشفقة». عندما تريد كريستين مكفي الإفصاح عن كتابتها، تعترف أنّها لا تعاني عند الكتابة. الكتابة بالنسبة إليها، ليست مكابدة. «أكتبها بسرعة، استغرقتني كتابة Songbird حوالي نصف ساعة»». سلاسة الكتابة، تولد أغانيَ سلسلة، وهذا ضرب من ضروب الموهبة.

في الفترة الأخيرة من التسعينيات، قرّرت الانسحاب من العالم الموسيقي واختارت العزلة ملاذاً. هجرت أميركا، مكان إقامتها، وعادت إلى بريطانيا لتكون قريبة من عائلتها بعيدة عن الضوضاء. ابتعادها عن عالم الفن استمر مدّةً ليست بقليلة، قبل أن تقرّر بعد فترة طويلة نسبياً في عام 2014 العودة إلى الموسيقى، وبالتحديد العودة إلى «فليتوود ماك».

في رصيد كريستين مكفي عدد من الألبومات، بعضها شخصي من إنتاجها الخاص، فيما الآخر هو معظم نتاج «فليتوود ماك». كانت في سنوات حياتها الأخيرة منتجة موسيقياً، ويمكن اعتبار تعاونها عام 2017 مع ليندسي باكينغهام في ألبوم جاء عنوانه جمعاً لاسمَيْهما معاً (Lind-sey Buckingham Christine Macvie) أبرز أعمالها. وقد كانت تقوم بجولات عدّة وحاضرة بكثرة إعلامياً.

ماتت كريستين مكفي وخسرت «فليتوود ماك» أحد أعمدتها. موتها سيخلّد اسمها. سيحمّلها كل البريق الذي اتّسمت به أغانيها. ستكون هي الأغنية. ستُسمع مكفي وسيشار إليها بصيغة الماضي. سيقال: «كان صوتها دافئاً»... «كانت كلماتها رقيقة»... «كانت موسيقاها مذهلة»... أما الآن، فلترقد بسلام.

المفكرة

■ **«بيروت ترنّم»... تابع**

بعد الافتتاح، ثم «نادي الموسيقى الكلاسيكية في الجامعة الأميركية» أمس الجمعة، يقدّم «بيروت ترنّم» أمسية موسيقى حُجرَة تليها أخرى مخصّصة للإنشاد الميلادي. الافتتاح كان ناجحاً فوق العادة جماهيرياً، إذ احتشد المئات لملاقاة «موزار وباخ»، فتعذّر دخول العشرات بعدما امتلأ المكان بما يفوق قدرته. الأمسية كانت جيّدة جداً، فقط لناحية الأوركسترا، في كونشرتو البيانو رقم 23 لموزار. فأداء عازفة البيانو شانتال باليستري أتى ركيكاً لدرجة صادمة!. في المقابل، فوجِئنا بالأداء العالي لأعضاء «الأوركسترا الفلهارمونية اللبنانية» (تحية للخشبيّات) بقيادة توفيق معتوق، في موزار، كما في «ماغنيفيكات» باخ (باستثناء انزلاقة لأحد الترومبتات في الـ «كورس» الذي يتوسّط العمل). المغنون المنفردون قدّموا مساهمة جيدة جداً، وكذلك الجوقة الضخمة، مع إشادة خاصة بفتياتها. وإذا كنتم من محبّي الكمان والغيتار، لاقوا جيوزيبي جيبوني وكارلوتا داليا الليلة في «كنيسة مار مارون» (الجمّيزة). أما إذا كنتم شرقيي الهوى، فعبير نعمة تحيي غداً الأحد أمسية ميلادية في «أسواق بيروت».

أمسية لجيوزيبي جيبوني وكارلوتا داليا: الليلة في «كنيسة مار مارون» (الجمّيزة)/ عبير نعمة: غداً الأحد في «أسواق بيروت» ـ س: 20:00

■ **دعماً لعائلات فلسطين**

يدعو «بيت فارس ولوسيا» (جبيل)، اليوم السبت لحضور مسرحية «شجرة التين» للفلسطينية رائدة طه (الصورة)، وهي عبارة عن «تحية خاصة لصمود أهلنا في فلسطين». في هذا السرد القصصيّ، تروي طه قصة حياتها ومعاناتها مع الفقد والحرمان والاغتراب في دول الشتات، واصفةً رحلة البحث عن الجذور في مدينة القدس المحتلة. كما تقدّم مشاهد يومية تتضمّن تفاصيل مؤثّرة عن عائلتها بعد رحيل الوالد ومواجهتهم الحياة بمفردهم. وفي تعريف العرض، تقول رائدة: «في رحلة إلى القدس بعد العودة، ذكريات الأهل والأقارب، رائحة البخور والبهارات، بائع الفستق، صراخ وضجيج وقهقهات وآهات في الأزقّة والأروقة». علماً أنّ ريع الأمسية يعود إلى «عائلات لبنان تساند عائلات فلسطين»

عرض «شجرة التين»: اليوم السبت ـ الساعة السابعة مساءً ـ داخل سور مدينة جبيل القديم (مقابل «المركز العالمي للعلوم الإنسانية»). للاستعلام: 03/210141

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الوانك
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 3 كانون الأول
العدد 4793 السنة السابعة عشرة
Samedi 3 Décembre 2022 nº 4793 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

أنا أقرأ بتوقيت بيروت

تفصيل من ملصق صمّمه الفنان المصري المعروف حلمي التوني لمعرض بيروت للكتاب في العام 1974 (من كتاب «راديكاليّة كوزموبوليتانية – السياسة البصرية لبيروت الستينيات العالمية» لزينة معاصري)

أنا أقرأ بتوقيت بيروت

محمد علي شمس الدين

يحضر الشاعر اللبناني الراحل محمد علي شمس الدين في المعرض بإصدارَين عن «دار الرافدين»: أوّلهما مجموعته الأخيرة «خدوش على التاج» (توقعه أسرة الراحل يوم الأحد 4 كانون الأول . بدءاً من س:15:00) التي تضمّنت قصائد أخيرة يلتمس فيها القارئ العصب الجنوبي الأول لشمس الدين ولغته المتوهجة وقد صُقلت بالحمولة المعرفية. أما الإصدار الثاني فهو «الشعر جرح الغيب» الذي يتضمن حواراً طويلاً أجراه شمس الدين مع الزميل محمد ناصر الدين يجترح فيه الشاعر تعريفاً فريداً للشعر (توقيع في 4 ك1/ بدءاً من س:15:00).

علوية صبح

«أفرح يا قلبي» (دار الآداب. توقيع 4 ك1 . بدءاً من س:17:00) هو العمل الذي ينتظره القرّاء من علوية صبح التي تعوّدهم كما في كل أعمالها بالحبكة المحكمة والسرد الجذّاب الذي ينطلق للمرة الأولى على لسان رجُل بعدما عوّدتنا على استعارة أصوات النساء وتحميلهنّ الضمير والمقموع والمسكوت عنه في المجتمعات العربية. لا يمكن فصل «افرح يا قلبي» عن مشروع صبح التي تصوّر تناقضات المجتمع اللبناني وصراع الأخوة. لا سيما في الفترة المضطربة في الثمانينيات التي شهدت الاشتباكات بين حركة «التوحيد» الإسلامية وقوات «الردع» السورية، وتحفر عميقاً في إشكالات الهوية.

بول شاوول

يعود بول شاوول إلى المشهد الشعري من باب الترجمة، بإصدارَين عن «منشورات الجمل». إذ يعيد صاحب «بوصلة الدم» إخراج «كتاب الشعر الفرنسي الحديث 1900-1985» بحلّة جديدة. شاوول الذي يُعد من أبرز وجوه قصيدة النثر، يوضح مقاربته في اختيار قصائده «لأنني لم أقترب من الشعر الفرنسي اقتراباً أيديولوجياً عامّاً. أثرت أن تنطلق المرافقة من المسار الطبيعي الذي سجّله ومن التطوّر (أو اللاتطور) الذي أصابه منذ بداية القرن حتى أيّامنا هذه. كما يشارك في المعرض بترجمته لأشعار بابلو نيرودا.

عباس بيضون

يحضر عباس بيضون في المعرض من خلال مجموعته الشعرية «كلمة أكبر من بيت» (دار نوفل - الأحد 4 ك1 . بدءاً من الثالثة حتى الرابعة والنصف) التي يواصل فيها النحت في الخيبة والوحدة والخسارات لاجتراح قصيدة من النثر الصافي كرّس نفسه واحداً من أهم وجوهها، فنقرأ: كان المقدّس كلّ ما خرج من جسدي/ انتظرت حتى اكتمل الموعد/ وتركتك تسبح في الهدوء/ حيث لم تعُد حيّاً في لعابي/ أطلقتك فوق المنارة/ حيث سقط اسمي كشهيد/ لم يكن هناك وقت/ تلك المسافة التي فرشتها بدموعي/ لم تكف لصلاتي».

واسيني الأعرج

إنها قصة عازفة بيانو تواجه التدمير المنظم لكل ما كان يصنع الحواضر الثقافية العربية، وليست بيروت إلا أحد نماذجها الأكثر إشعاعاً. والأكثر درامية تلك التي يكتبها الروائي الجزائري واسيني الأعرج في «عازفة البيكاديللي» (دار الآداب). يعدنا صاحب «أنثى السراب» و«طوق الياسمين» بعمل محكم تنازل عن حقوقه المادية فيه للأطفال المرضى المصابين بالسرطان. علماً أنّه يوقّعه في المعرض يوم 10 كانون الأول (بدءاً من الخامسة والنصف حتى السابعة والنصف مساءً)

بعد انقطاع دام ثلاث سنوات بداعي جائحة كورونا وتداعيات انفجار الرابع من آب 2020 والأزمة الاقتصادية، اقيمت الدورة 63 في آذار (مارس) الماضي وسط انقسامات سياسية وتنظيمية، وانكفاء الدّور الكبيرة عن المشاركة، وتحريض سياسي صاخب رافق أيام الحدث، وتجلّى في ممارسات استهدفت دُور معينة على خلفية انتمائها السياسي. اليوم، يتجدد الموعد مع «معرض بيروت العربية» وسط استمرار الاستقطاب السياسي والانقسام الذي انعكس في الدورة 64: استبعاد دور نشر معينة على حساب اخرى، مشاركة الدور الفرنسية للمرة الاولى في هذا الموعد، واشكاليات عديدة تتعلّق بالمساحة الصغيرة التي مُنحت ليعض الناشرين. مع ذلك، يعوّل كثيرون على ان يشكّل هذا الحدث مساحة للقاء ومركز ايعيد ربط اوصال هذا الوطن، ليعكس هوية لبنان الثقافية والحضارية المتنوّعة التي لا يمكن لاحد اختزالها رغم كل شيء

انطلاق الدورة 64 من «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب»

الثقافة خيمتنا الأخيرة؟

فاتن حمود

اليوم، تنطلق الدورة 64 من «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب» عند واجهة بيروت البحرية بعد دورة استثنائية أقيمت في آذار (مارس) الماضي، حيث هددت الخلافات بين «النادي الثقافي العربي» و«نقابة اتحاد الناشرين في لبنان» (المنظّمين للحدث) بانقسام «عميد المعارض العربية» إلى معرضين. انقسام تنظيمي، أضيفت إليه انقسامات سياسية تجسدت في تحريض وممارسات إقصائية خلال أيام دورة المعرض الماضية من قبل شخصيات وأفراد مارسوا تحريضاً على بعض الناشرين على خلفية انتماءاتهم السياسية. كأنّنا بتلك الدورة عكست الحال التعيسة التي وصل إليها بلد كان في ما مضى حضناً للتيارات الفكرية والثقافية المتنوعة (حدّ التناقض)، التي أسهمت في تشكيل هوية هذه المدينة الأعجوبة وجعلتها منارةً حقيقية للحداثة والحرية. تغيّرت الأزمنة، ودخلنا زمن «الهويات القاتلة» واستحال المعرض مرآة للاستقطاب السياسي الحاصل في البلد. صحيح أنّ الدورة الحالية تُقام على وقع جدل وإشكالات كثيرة تتعلّق باستبعاد دور على حساب أخرى، ومنح الأولوية للدور الفرنسية والخليجية، واستبعاد ناشرين بحجة المساحة الضيقة (راجع مقال الزميلة فاطمة جوني)، إلا أنّ كثيرين يعوّلون على قدرة الثقافة على ربط أوصال الوطن الذي ينوء تحت وقع أزمات سياسية ومعيشية ووجودية. أسئلة وتحديات كثيرة تقف أمام الدورة الحالية: هل يملك المُواطن «رفاهية» القراءة؟ أي دور ثقافي وفكري بقي لبيروت التي احتلّت الذاكرة الثقافية العربية بصفتها منارة للفكر والثقافة والتنوّع والحرية، قبل أن تغرق اليوم في ظلمتها مادياً ومجازياً؟ وكيف يتعاطى الناشرون مع الواقع الصعب؟ هل تغيّرت سياسات النشر لتوائم الحالة الراهنة؟

حسومات عند «الريس»

تبدأ مديرة «دار الريّس» فاطمة بيضون بالقول إنّ المعوقات والأسئلة الشائكة حول المعرض ما زالت نفسها تُطرح منذ ثلاثين عاماً من قبيل الوضع الاقتصادي والثقافي والانكفاء عن القراءة والاستثمار في طاقات جديدة، أو في الكتّاب المكرّسين والمتوّجين بالجوائز. «المشكلات هي نفسها في قطاع النشر، لكنّ المهم هو الاستمرارية وبفاجئنا الجمهور أحياناً بإيجابيّته، وأكبر دليل هو توافد النّاس على الدورة الأخيرة من المعرض (أقيمت في آذار/ مارس). وتضيف «طبعاً، كانت هناك مشكلات وانقسامات، لكن بمجرّد اتفاق «النادي الثقافي العربي» و«نقابة اتحاد الناشرين في لبنان» على إطلاق المعرض، فهذا يعني أنّ الانقسام انتهى. قد تكون هناك خلافات تقنية حول المساحات المعطاة للدور، لكن هذا لا يعني وجود معسكرين تبعاً لما أعرفه».

أمّا عن سياسة النشر في لبنان، فتجيب: «كانت الدار تنتج ما يقرب من أربعين كتاباً سنوياً، وحالياً بات العدد لا يتجاوز العشرين، لكننا نحاول تقديم كتاب جديد للقارئ بمضمون جديد، ولكن للأسف أنّه مع كلّ الأزمات التي تعصف بنا في لبنان، ما زال كثيرون مهتمين بالكتاب، ولا سيّما الكتب الورقي، ويعتبرونه جزءاً من حياتهم، بمعنى أنّه أساسي في الحياة. المشكلة ليست في القرّاء، بل في النشر، وهي على مستويات عدّة، فكلفة الكتاب أعلى بكثير من ذي قبل، وسعر الورق خيالي كأنّنا نعيش في بورصة. لا يمكنني الحصول على سعر واحد من تاجر الورق يكون هو نفسه على مدى أسبوعين. لذا ترتفع كلفة الكتاب وهذا يجعلنا نخفّف من الإصدارات، لكننا نحاول طبعاً التركيز على النوعية والمضمون الأفضل».

تشرح بيضون أنّ كتب الدار القديمة والجديدة مطلوبة بالقدر نفسه، فالقارئ يعرف ماذا يريد أن يقرأ، ويبحث عن القديم أكثر من الجديد أحياناً كثيرة. وعن أسعار الكتب، تقول «من المعروف أنّ أسعار دارنا هي الأرخص مقارنة بباقي الدور، وسعر الدولار ليس كسعر السوق وستقدّم العديد من الحسومات».

* «الآداب» وفيّة لوصية سماح

ترى مديرة «دار الآداب» رنا إدريس في المعرض حدثاً جللاً، كونه انقطع عن الساحة الثقافية ثلاث سنوات، و«التئام عقده من جديد مهم جداً وانقطاعه مؤلم وكانت الأسباب وجيهة لهذا، أولّها انفجار المرفأ وقبل ذلك الثورة وجائحة كورونا، والانهيار الذي حصل اخيراً نحن ضدّه تماماً، إذ نعتبر أنّ المعرض هو عامل لجمع كلّ الطوائف والقوى المتناحرة. المفروض أن تكون الثقافة جامعة لا العكس مهما كانت الأسباب. لذا رفضنا المشاركة العام الماضي، ولا نشارك للتشديد على الدور الموحّد للمعرض، لأنّ الكتاب يجمعنا، ويتخطّى كلّ الحساسيات الموجودة في البلد من أجل ما هو أسمى لأمر تعليمي أو تربوي أو فني وثقافي أكثر من الواقع البشع الذي نعيش فيه في بيروت. وتعنينا جداً هذه الدورة لأنّه سيُقام في جناح الدار تكريم كبير للراحل سماح إدريس وهو أحد شركاء الدار. إنّه المعرض الأول في بيروت في غياب سماح. هذا مؤلم وسنعبّر من خلال ما يحصل بأنّ سماح باقٍ معنا، وستقام قراءات عدّة لكتب سماح للأطفال، وسيأتي التلاميذ من المدارس، ولا سيما الرسمية التي كانت محطّ اهتمام سماح للمشاركة، وأيضاً أطفال المخيمات، وسنقرأ لهم كما كان سماح يفعل، وسنستمر في تنفيذ إرادته. وفي الثامن من كانون الأول، ستشهد الدار ندوة حول كتّاب وناشرين رحلوا عنا منهم سماح إدريس والناشر رياض الريّس الذي أعطى النشر اللبناني والعربي ثقلاً مهماً، وكان المعنى الحقيقي لكلمة ناشر. تتضمّن الندوة تكريماً للروائي الرائع جبور الدويهي والدكتور وجيهة فانوس. الكاتب والصحافي نصري الصايغ سيتحدّث عن سماح إدريس كونه صديقه وصديق العائلة والدار».

تشدّد إدريس على أهمية هذه الدورة على الصعيد الثقافي والعائلي، و«سنكون يوم الأحد مع ابنتَي سماح سارية ونانا اللتين ستوقّعان العدد التكريمي لرحيل سماح من مجلة «الآداب»، والجميع يعرف كم كانت تعنيه هذه المجلة، ونسمّيها «القرّة عينيه»، والعدد ليس رثاء بالمعنى الخفيف للكلمة، بل هو مجموعة مقالات ودراسات تدخل إلى عمق أعماله وشخصيته ونضاله خلال سنوات حياته». وتضيف: «تعنينا هذه الدورة لأنّ لدينا كتّاباً لبنانيين وعرباً نحرص على إصدار روايات لهم. وفي عرس بيروت الثقافي، لدينا زخم من الكتّاب اللبنانيين مع إصدارات جديدة، منهم الياس خوري مع الجزء الثالث من ثلاثية «أولاد الغيتو»، وروايا علوية صبح (افرح يا قلبي)، وحنان الشيخ التي تعود برواية جديدة «عين الطاووس» بعد انقطاع طويل، وروائية ننشر لها للمرة الأولى وهي غادة الخوري «طفلة الرعد». وكالعادة، نحتفي مع الجمهور بواسيني الأعرج الذي يقدّم رواية جديدة عن لبنان بعنوان «عازفة البيكاديلّي»، وتحكي عن انهيار جزء كبير من الثقافة العربية وليس فقط اللبنانية مع انهيار مسرح الأمين البرت الريحاني، و«العبور الأخير إلى الشخروب» لنديم نعيمة.

وعن السياسات الحالية في النشر، يرى بختي أنّ السياسات تتغيّر وتتبدّل تبعاً للظروف «لكن نحن اليوم مع الكتاب. الكاتبة هدى بركات، وتمّ الاحتفاء بالنسخة الفرنسية التي نالت جوائز عدّة. وهناك ترجمات جديدة ورواية جديدة للينا هويان الحسن «حاكمة القلعتين». ومن رواياتنا المترجمة المهمة رواية إليف شافاك «جزيرة الأشجار المفقودة»، وإصداران لهاروكي موراكامي وإيزابيل الليندي، وترجمة جديدة لـ «الأستشراق» للراحل إدوارد سعيد، وكان عمل سماح الأخير قبل وفاته. أخيراً بات لدينا «الاستشراق» بترجمة جديدة ومفهومة كما كانت وصيّة إدوارد سعيد».

وتختتم إدريس بالقول «لم تتغيّر سياستنا في إصدار الكتب فما زلنا نركّز على الرواية، ونحب الأصوات الجديدة في هذا العالم، ومستمرون في إصدار «الآداب»، ونأمل الاستمرارية في هذا الموضوع». وعن التسعير، تقول: «هناك الكثير من الحسومات لأنّنا نعي جيداً استحالة شراء الكتب في يومنا، وتمّ تقليل سعر الأجنحة هذا العام، وإلا لما استطعنا المشاركة، سنحاول أن لا نخسر، ويهمنا أن يستمر اللبنانيون في القراءة، ونأمل أن تستعيد بيروت بعض ألقها في هذا المعرض لأنه يفترض أن يكون ضوءاً في هذه الظلمة».

«الفارابي»: نحو تعميم الثقافة

تعوّل «دار الفارابي» بحسب مديرها العام حسن خليل على كلّ إصداراتها التي تتنوّع بين الفكر والفلسفة والأدب والرواية والسياسية، «بالإضافة إلى تثبيت دور الثقافة الجديّة في بناء الإنسان الذي ضيّعته ثقافة الاستهلاك والسطحية». لا يرى خليل أي تغيير في سياسة النشر، فـ «سياساتنا لم تتغير بفعل الأزمة اللبنانية والعربية، ولكن الشغف الذي يواصل فيها النحت في الخيبة والوحدة والخسارات لاجتراح قصيدة من النثر الصافي كرّس نفسه واحداً من أهم وجوهها، فنقرأ: كان المقدّس كلّ ما خرج من جسدي/ انتظرت حتى اكتمل الموعد/ وتركتك تسبح في الهدوء/ حيث لم تعُد حيّاً في لعابي/ أطلقتك فوق المنارة/ حيث سقط اسمي كشهيد/ لم يكن هناك وقت/ تلك المسافة التي فرشتها بدموعي/ لم تكف لصلاتي».

ترى المديرة العامة لـ «دار النهضة العربية» نسرين كريدية بأنّ معرض بيروت هذه السنة هو معرض المفاجآت: «ليس لدي أيّ توقعات حالياً، يتزامن المعرض هذا مع الانهيار الاقتصادي، ومع مباريات الفيفا. نتأمّل خيراً وننتظر التعليقات وتداعيات النشاطات». وعلام تعوّل الدار، تجيب كريدية: «المسألة ليست مسألة تعويل. هناك سياسة واضحة، وهي التي نعوّل عليها. إصداراتنا لهذا العام متنوّعة بين الشعر والرواية والقصة القصيرة والفكر وبعض كتب الأكاديميا. رغم الأزمة، ما زلنا ننشر بالنهج والزخم نفسيهما مع اختلاف في عدد العناوين. أغلب الظن أن المسألة تتعلق بمدى القدرة المادية للزوار وحماسهم لزيارة المعرض». وترى كريدية أنّ الهم الأوّل والأخير اليوم هو «كيف نحافظ على الموضوع الوحيد الذي بتنا ناخذه في الاعتبار واضحى محور اهتمامنا، أن تكون هناك أسعار خاصة للسوق اللبناني كي لا نحرم أيّ شخص من حقه في الحصول على الكتاب».

وتفنّد ما حصل من انقسام في المعرض بالقول: «تاريخياً هناك تعاون يجمع «النادي الثقافي العربي» و«اتحاد الناشرين اللبنانيين» في إقامة وتنسيق المعرض. السنة الماضية كانت استثنائية حين تخوفت النقابة من إقامة المعرض في ظل كورونا والظروف الاقتصادية، وقام النادي بهذه المخاطرة للحفاظ على استمرارية هذه الفعالية التاريخية الراقية. لا يوجد أيّ تعارض طالما أنّ كلّ الجهود ستؤدي إلى الحفاظ على الفعالية وستتكرس في خدمة الثقافة». تعتبر كريدية أنّ إقامة المعرض في ظلّ هذه الظروف اليوم هو مخاطرة، «لكن مخاطرة لا بدّ منها. نأمل خيراً دائماً، لبنان كان ولا يزال رائداً في النشر والثقافة. ومهما كان حال هذا المعرض ونتائجه، سيكون مدعاة فخر لنا كناشرين. نظراً إلى الظروف الراهنة التي أوردناها سابقاً، قد يكون إيجابياً إقامة المعرضين مع بعضهما، منه زيادة عدد الزوار، وإضافة تنوّع إلى زوّار كلا المعرضين».

«الساقي»: فكر وشعر ورواية

تعي مديرة تحرير «دار الساقي» رانية المعلّم الأزمة التي يمر بها البلد وقد أصبح فيها الكتّاب بعيداً عن متناول القرّاء وليس في أولوياتهم المعيشية. وتضيف: «الضرر يقع على الناشر والقارئ معاً وعلى الوضع الثقافي في البلد. لكننا في الوقت نفسه سعداء أن يعود معرض الكتاب هذه السنة بعد انقطاع ثلاث سنوات، وسعداء للقاء من تبقّى من القراء في البلد، ومن سيتمكن من زيارة المعرض وأسفنا لا بل قلوبنا مع القراء الذي لن تسمح لهم ظروفهم بزيارة المعرض». وعن الإصدارات التي يعوّلون عليها، تضيف «لدينا عدد لا بأس به من الإصدارات الجديدة التي ستشارك بها في معرض بيروت»، إذ تقدّم الدار ترجمات لكتب فكرية مهمة مثل «فلسفة الفوضى» (سلافوي جيجيك)، و«التفكير الحر» (حنة أرنـــدت)، و«التشكيل الإنساني للإسلام» (محمد أركون)، إلى جانب «دفاتر مهيار الدمشقي» بأجزائه الخمسة لأدونيس، ورواية «الوجه الآخر للظل» لرشيد الضعيف، ورواية «قبعة بيتهوفن» لرامي طويل، الترجمة العربية لرواية «زوربا البرازيلي»، جورجي أمادو، ورواية «وشائج ماء» للروائي السعودي عبده خال.

وعن احتمال تغيّر سياسة الدار، تجيب المعلّم: «ببساطة، ننشر الكتاب الذي يقدم جديداً للقارئ ويحترم عقله وخياله ولن يندم الناشر». الأزمة في لبنان لم تؤثر على سياسة النشر ولكن تأثيرها المباشر على توزيع الكتب في لبنان، إذ أصبح السوق المحلي محدوداً جداً نسبة إلى التوزيع في البلدان العربية».

وعن الانقسام الحاصل في المعرض، تشرح: «بصراحة لا يعنينا كثيراً هذا الانقسام، في ظل الهموم التي نعيشها كناشر وفي ظل الأزمة التي يعيشها القرّاء؛ وبصراحة أكثر، لا نستغرب الانقسام في ظل الانقسامات العديدة التي يعانيها البلد». وتختتم بالقول: «ما نطمح إليه للبلد وللمعرض بعيد المنال حالياً، فلنتعاطَ مع الواقع كما هو، على أمل مراكمة تجارب سياسية وثقافية وإنسانية مهمة قد تسهم مستقبلاً في إعادة بناء البلد. يهمنا أن نلتقي القرّاء ونتواصل معهم ويهمنا أن يطلعوا على إصداراتنا».

«ناشرون»: تركيز على الترجمة

يشرح مدير عام «الدار العربية للعلوم . ناشرون» الوضع الحالي بالقول: «الطلب على الكتب تضاءل، والمشكلة الأكبر أنّ بيروت أصبحت كأيّ عاصمة أخرى بالنسبة إلى إنتاج الكتب وطباعتها. بيروت تخسر دورها الرئيس في هذا المجال بينما نشهد تطوّراً سريعاً في إنتاج دول الخليج كالإمارات والسعودية والكويت وقطر، والمشكلة الثانية هي دخل المواطن اللبناني الذي تراجع بشكل كبير مقارنة بالغلاء الحاصل، ما يضطرنا لإجراء حسومات كبيرة على الكتب، وبهمنا تحريك الكتب المخزّنة لدينا، ولا يهمنا الربح بصراحة. لذلك في معرض بيروت، سنقدّم عروضات قدر استطاعتنا، فلا ننسى أنّ كلفة الإنتاج زادت». وعن الإصدارات الجديدة، يقول: «التركيز يكون على المترجم، لأنّ المؤلفين العرب باتوا يطبعون وينتجون في بلادهم، فالسعودي صار يطبع في بلده، وبتنا نعتمد على الكتب المترجمة وعلاقاتنا القديمة، ونريد أن نصل إلى أكبر شريحة من القرّاء، ونحن بانتظارهم في المعرض، ليشتروا ويقرؤوا ونحن سنضحّي ليسير الوضع بأقلّ خسائر ممكنة». وعن الانقسام الذي شهدناه في الدورة الاستثنائية التي أقيمت في آذار (مارس)، يضيف: «البلد بأكمله منقسم، والمعرض منقسم، والله يجير البلد».

* «الرافدين»: الأزمة عالمية

يرى مدير عام «دار الرافدين» محمد هادي أنّها «الدورة الأولى الجدية والحقيقية من المعرض بعد أحداث تشرين 2019. مرّت الدورة الماضية وكانت مربكة بسبب مقاطعة جزء كبير من الناشرين لها، وتوقيتها الذي كان مغايراً للتوقيت الرسمي للمعرض، والدورة الحالية هي بمساحة أقلّ مما اعتدنا عليها في الماضي، بسبب عدم جهوزيّة المكان. وعلى الرغم من الظروف المعيشية الصعبة، أجد أنّ المعرض سينجح ولو نسبياً، لأنّ الشعب بطبعه مثقف وبحاجة إلى ارتياد معارض الكتب، وهو متنفّس حقيقي له. المعرض هو الموسم الرئيس لكل منظومة الثقافة في لبنان». يكشف هادي عن كمّ كبير من الإصدارات الجديدة: «هناك روايات وأعمال شعرية وترجمات ودراسات، وسنركّز على الشاعر محمد علي شمس الدين، وهو شخصية المعرض بالنسبة إلى الدار، إذ أودعنا ديوانه الأخير بعنوان «خدوش على التاج» وفي الوقت نفسه أصدرنا الكتاب الذي يتضمّن الحوار الأخير بين شمس الدين والشاعر محمد ناصر الدين، وهذان الكتابان هما من أهمّ ما نقدّمه للقارئ».

يوافق هادي على أنّ سياسة النشر تغيّرت، لكنّه ينفي أن يكون السبب الوضع اللبناني فقط، فـ «التغيير حصل بسبب الوضع العالمي، انتظرنا الانتهاء من أزمة كورونا وبعد الانتهاء، دخلنا في نفق حرب أوكرانيا، ومع بُعدها الجغرافي عن لبنان، إلا أنّها تسبّبت في انكماش اقتصادي لقطاع هشّ مثل النشر، فحركة التوزيع ضعُفت، وصارت طلبات الموزّعين أقلّ من ذي قبل، ودفعهم للمستحقات صارت أقلّ. وفي عام 2022 أنتجنا نصف ما أنتجناه عام 2021، وكنا نعتبر عام 2021 عام انطلاقة جديدة ومتنفّساً بعد كورونا، وإذ بنا نخفّض عدد منشوراتنا. بعدما كانت 133 كتاباً، أصبحنا أمام إنتاج خمسين كتاباً فقط لا غير، والمشكلة الأساسية هي ارتفاع أسعار الورق وكلفة الطباعة».

يراعي هادي وضع القارئ اللبناني ويمنحه أسعاراً مخفّضة بالليرة اللبنانية. يقول: «ننتظر المعرض لنلتقي قرّائنا ومؤلفينا والوسط الذي نعتاده، معرض بيروت له نكهة مختلفة عن كل المعارض، روحيته مختلفة، والمعرض هو عميد المعارض العربية، فنحن نتحدث عن الدورة الرابعة والستين. ورغم كل الحداثة الموجودة في معارض أخرى، يبقى هذا المعرض المرتكز الرئيسي للثقافة العربية».

حسن المسعود ـ «من دون عنوان» (الأرض تتسع للجميع ـ حبر وصباغ على ورق ـ 74.9 × 55.1 سنتم ـ 2013)

> إذا كان هذا المعرض هو مهرجان للمدينة، فلا يجب أن يبقى أحد خارج العيد (سليمان بختي)

الأولوية للدور الفرنسية والخليجية

عميد المعارض يضيف بالتنوع

فاطمة جوني

بعد حلّ الخلاف بين «النادي الثقافي العربي» و«نقابة اتحاد الناشرين في لبنان»، بيروت على موعد اليوم مع أحد أهم الأحداث الثقافية التي تُقام منذ أكثر من خمسة عقود. برامج ثقافية، توافيع كتب، فعاليات، ولقاءات فكرية وأدبية وهويات وتيارات مختلفة ومتنوعة تجتمع سنوياً في مساحة واحدة، حتى الساعة، لا تزال تحضيرات الدّور المشاركة مستمرّة، لكن لم تحُل الأجواء من الاحتجاجات على خلفية المساحات وتقليص عدد الأمتار الممنوحة لدور كبيرة لم تغب عن المشاركات السابقة. في حديث لـ «الأخبار»، اعتبر مدير عام «دار الولاء» الشيخ حسين خليفة أن ما يجري هو محاولة استبعاد دور النشر الإسلامية، ذلك أنّ حاصل الأمتار المطلوب للدور مجتمعةً، يصل إلى ما يقرب من 570 متراً، لم تُعط الدور منها إلا 154. هكذا، لجأت الدور بما فيها «دار الولاء»، «المحجة البيضاء»، «دار البلاغة»، «دار المودة» ومراكز الأبحاث والمؤسسات، إلى التلويح بالمقاطعة. يشير خليفة إلى أنّ النادي الثقافي واتحاد الناشرين قد توصّلا إلى حساب دور النشر، مؤكداً أن الدور الإسلامية تمتلك رخصاً للنشر، ما يمنحها كامل الحق في المشاركة ولا يحق لأي جهة محاولة استبعادها أو انسحابها. ذلك أنّ تقليص المساحة وفي محاولة لتسييس ما جرى، يعتبر خليفة أن ثمة جهات تحاول استغلال ما حدث لصالحها كي تضغط على المعنيين للتصرّف مع دورهم بهذه الطريقة، على اعتبار أن المشهد العام الذي طغى على المعرض خلال الدورة السابقة التي أقيمت في آذار (مارس) ومقاطعة الدور الوازنة وإصرار الدور الإسلامية على المشاركة، عوامل «شكّلت استفزازاً لبعض اللبنانيين الذي طالبوا . بالبلطجة والاعتداء . بإعادة هوية بيروت».

على خلفية ما حدث السنة الفائتة من مشكل فردي وتعدٍّ على جناح «دار المودة» بسبب وجود صورة لقاسم سليماني، وفي محاولة لتسييس ما جرى، يعتبر خليفة أن ثمة جهات تحاول استغلال ما حدث لصالحها كي تضغط على المعنيين للتصرّف مع دورهم بهذه الطريقة، على اعتبار أن المشهد العام الذي طغى على المعرض خلال الدورة السابقة التي أقيمت في آذار (مارس) ومقاطعة الدور الوازنة وإصرار الدور الإسلامية على المشاركة، عوامل «شكّلت استفزازاً لبعض اللبنانيين الذي طالبوا . بالبلطجة والاعتداء . بإعادة هوية بيروت».

هذه الدورة لأنّه سيُقام في جناح الدار تكريم كبير للراحل سماح إدريس وهو أحد شركاء الدار. إنّه المعرض الأول في بيروت في غياب سماح. هذا مؤلم وسنعبّر من خلال ما يحصل بأنّ سماح باقٍ معنا، وستقام قراءات عدّة لكتب سماح للأطفال، وسيأتي التلاميذ من المدارس، ولا سيما الرسمية التي كانت محطّ اهتمام سماح للمشاركة، وأيضاً أطفال المخيمات، وسنقرأ لهم كما كان سماح يفعل، وسنستمر في تنفيذ إرادته. وفي الثامن من كانون الأول، ستشهد الدار ندوة حول كتّاب وناشرين رحلوا عنا منهم سماح إدريس والناشر رياض الريّس الذي أعطى النشر اللبناني والعربي ثقلاً مهماً، وكان المعنى الحقيقي لكلمة ناشر. تتضمّن الندوة تكريماً للروائي الرائع جبور الدويهي والدكتور وجيهة فانوس. الكاتب والصحافي نصري الصايغ سيتحدّث عن سماح إدريس كونه صديقه وصديق العائلة والدار».

تشدّد إدريس على أهمية هذه الدورة على الصعيد الثقافي والعائلي، و«سنكون يوم الأحد مع ابنتَي سماح سارية ونانا اللتين ستوقّعان العدد التكريمي لرحيل سماح من مجلة «الآداب»، والجميع يعرف كم كانت تعنيه هذه المجلة، ونسمّيها «القرّة عينيه»، والعدد ليس رثاء بالمعنى الخفيف للكلمة، بل هو مجموعة مقالات ودراسات تدخل إلى عمق أعماله وشخصيته ونضاله خلال سنوات حياته». وتضيف: «تعنينا هذه الدورة لأنّ لدينا كتّاباً لبنانيين وعرباً نحرص على إصدار روايات لهم. وفي عرس بيروت الثقافي، لدينا زخم من الكتّاب اللبنانيين مع إصدارات جديدة، منهم الياس خوري مع الجزء الثالث من ثلاثية «أولاد الغيتو»، وروايا علوية صبح (افرح يا قلبي)، وحنان الشيخ التي تعود برواية جديدة «عين الطاووس» بعد انقطاع طويل، وروائية ننشر لها للمرة الأولى وهي غادة الخوري «طفلة الرعد». وكالعادة، نحتفي مع الجمهور بواسيني الأعرج الذي يقدّم رواية جديدة عن لبنان بعنوان «عازفة البيكاديلّي»، وتحكي عن انهيار جزء كبير من الثقافة العربية وليس فقط اللبنانية مع انهيار مسرح الأمين البرت الريحاني، و«العبور الأخير إلى الشخروب» لنديم نعيمة.

وعن السياسات الحالية في النشر، يرى بختي أنّ السياسات تتغيّر وتتبدّل تبعاً للظروف «لكن نحن اليوم مع الكتاب. الكاتبة هدى بركات، وتمّ الاحتفاء بالنسخة الفرنسية التي نالت جوائز عدّة. وهناك ترجمات جديدة ورواية جديدة للينا هويان الحسن «حاكمة القلعتين». ومن رواياتنا المترجمة المهمة رواية إليف شافاك «جزيرة الأشجار المفقودة»، وإصداران لهاروكي موراكامي وإيزابيل الليندي، وترجمة جديدة لـ «الأستشراق» للراحل إدوارد سعيد، وكان عمل سماح الأخير قبل وفاته. أخيراً بات لدينا «الاستشراق» بترجمة جديدة ومفهومة كما كانت وصيّة إدوارد سعيد».

وتختتم إدريس بالقول «لم تتغيّر سياستنا في إصدار الكتب فما زلنا نركّز على الرواية، ونحب الأصوات الجديدة في هذا العالم، ومستمرون في إصدار «الآداب»، ونأمل الاستمرارية في هذا الموضوع». وعن التسعير، تقول: «هناك الكثير من الحسومات لأنّنا نعي جيداً استحالة شراء الكتب في يومنا، وتمّ تقليل سعر الأجنحة هذا العام، وإلا لما استطعنا المشاركة، سنحاول أن لا نخسر، ويهمنا أن يستمر اللبنانيون في القراءة، ونأمل أن تستعيد بيروت بعض ألقها في هذا المعرض لأنه يفترض أن يكون ضوءاً في هذه الظلمة».

«الفارابي»: نحو تعميم الثقافة

تعوّل «دار الفارابي» بحسب مديرها العام حسن خليل على كلّ إصداراتها التي تتنوّع بين الفكر والفلسفة والأدب والرواية والسياسية، «بالإضافة إلى تثبيت دور الثقافة الجديّة في بناء الإنسان الذي ضيّعته ثقافة الاستهلاك والسطحية». لا يرى خليل أي تغيير في سياسة النشر، فـ «سياساتنا لم تتغير بفعل الأزمة اللبنانية والعربية، ولكن الشغف الذي يواصل فيها النحت في الخيبة والوحدة والخسارات لاجتراح قصيدة من النثر الصافي كرّس نفسه واحداً من أهم وجوهها، فنقرأ: كان المقدّس كلّ ما خرج من جسدي/ انتظرت حتى اكتمل الموعد/ وتركتك تسبح في الهدوء/ حيث لم تعُد حيّاً في لعابي/ أطلقتك فوق المنارة/ حيث سقط اسمي كشهيد/ لم يكن هناك وقت/ تلك المسافة التي فرشتها بدموعي/ لم تكف لصلاتي».

ترى المديرة العامة لـ «دار النهضة العربية» نسرين كريدية بأنّ معرض بيروت هذه السنة هو معرض المفاجآت: «ليس لدي أيّ توقعات حالياً، يتزامن المعرض هذا مع الانهيار الاقتصادي، ومع مباريات الفيفا. نتأمّل خيراً وننتظر التعليقات وتداعيات النشاطات». وعلام تعوّل الدار، تجيب كريدية: «المسألة ليست مسألة تعويل. هناك سياسة واضحة، وهي التي نعوّل عليها. إصداراتنا لهذا العام متنوّعة بين الشعر والرواية والقصة القصيرة والفكر وبعض كتب الأكاديميا. رغم الأزمة، ما زلنا ننشر بالنهج والزخم نفسيهما مع اختلاف في عدد العناوين. أغلب الظن أن المسألة تتعلق بمدى القدرة المادية للزوار وحماسهم لزيارة المعرض». وترى كريدية أنّ الهم الأوّل والأخير اليوم هو «كيف نحافظ على الموضوع الوحيد الذي بتنا ناخذه في الاعتبار واضحى محور اهتمامنا، أن تكون هناك أسعار خاصة للسوق اللبناني كي لا نحرم أيّ شخص من حقه في الحصول على الكتاب».

وتفنّد ما حصل من انقسام في المعرض بالقول: «تاريخياً هناك تعاون يجمع «النادي الثقافي العربي» و«اتحاد الناشرين اللبنانيين» في إقامة وتنسيق المعرض. السنة الماضية كانت استثنائية حين تخوفت النقابة من إقامة المعرض في ظل كورونا والظروف الاقتصادية، وقام النادي بهذه المخاطرة للحفاظ على استمرارية هذه الفعالية التاريخية الراقية. لا يوجد أيّ تعارض طالما أنّ كلّ الجهود ستؤدي إلى الحفاظ على الفعالية وستتكرس في خدمة الثقافة». تعتبر كريدية أنّ إقامة المعرض في ظلّ هذه الظروف اليوم هو مخاطرة، «لكن مخاطرة لا بدّ منها. نأمل خيراً دائماً، لبنان كان ولا يزال رائداً في النشر والثقافة. ومهما كان حال هذا المعرض ونتائجه، سيكون مدعاة فخر لنا كناشرين. نظراً إلى الظروف الراهنة التي أوردناها سابقاً، قد يكون إيجابياً إقامة المعرضين مع بعضهما، منه زيادة عدد الزوار، وإضافة تنوّع إلى زوّار كلا المعرضين».

«الساقي»: فكر وشعر ورواية

تعي مدي

أنا أقرأ بتوقيت بيروت

رشيد الضعيف

يأخذ رشيد الضعيف منعطفاً جديداً في روايته الجديدة «الوجه الآخر للظلّ» (دار الساقي) إذ يستعمل الأسطورة والخرافة ليُتحف القرّاء بحكاية مشوقة تسري فيها الحكاية إلى منتهاها ليتكشّف لنا وجه آخر للظل: ترصد رواية الضعيف ملكة تحمل بطريقة شاعرية من إثر غيمة لتساور زوجها الشكوك فيعتزلها ويضعها تحت الاختبار. عالم يضجّ فيه صاحب «تصطفل ميريل ستريب» الكثير من الفنتازيا والعوالم الخيالية المزوجة بالأسطورة التي أخذت في كتابته منحى تصاعدياً منذ عمله السابق «الأميرة والخاتم» التي تحبس أنفاسنا حتى الصفحة الأخيرة.

سماح إدريس

في ذكرى مرور عام على رحيل سماح إدريس، تستذكر ابنتا الراحل ساروية ونداي الآب والمناضل بعدد مميز من «الآداب» (توقيع 4 ك 1 . بين الساعة 11 و1:00 ظهراً) يسرد أهم المحطات في حياة «المثقف العضوي» والعضو المؤسّس لـ «حملة مقاطعة داعمي إسرائيل في لبنان». ويستعرض الأدوار الكثيرة التي لعبها وبقي عنوانها الالتزام السياسي والوقوف بجانب القضايا العادلة والمحقّة والدفاع عن شعوبنا العربية التي تنوء، تحت وطأة الاستعمار والاستبداد. إنها تحية من المؤسسة التي حملها سماح على كتفَيه بعد أبيه الراحل سهيل إدريس وشكّلت جزءاً من تاريخ بيروت الثقافي ومختبراً لنهضتها في الثقافة والشعر والنقد.

عمر الزعني

في مشروع مشترك مع «نادي كل الناس» ومديره نجا الأشقر، أصدرت «دار نلسن» باقة من القصائد المنوعة لشاعر بيروت عمر الزعنّي (1895-1961). لتكون مرجعاً للقرّاء في مقاربة الأحداث وتاريخ لبنان والعالم من خلال مؤرّخ التاريخ وشاهد العصر الذي سمّي بالعمود السادس من أعمدة بعلبك بعد جبران ونعيمة ومطران وسعيد عقل والريحاني. نقرأ معه ما يقوله لحبيبته وملهمته بيروت ما اعتدنا رشاقته وجزالة الموسيقى فيه: «يا شبعناك يا بيروت/ الغريب بيتمخطر/ واللي بيفوت ما بيضهر/ والقريب بيتمرمر/ واللي بيضهر ما بيفوت/ يا شبعناك يا بيروت».

جميلة حسين

«غمازتان وشَعر مبعثر/ ضحكتها إن انطلقت/ تصل إلى أعماق الروح/ خصرها مزموم كحلقة ضيّقة/ أيها العمر الغابر/ سوف تبقى قامتها في الريح/ وعيناها أوسع من الشعر/ ويداها النحيلة تلوح كياسمينة/ يصلني رحيقها/ وتجعل أيامي حديقة». في «أشياء من عالم يختفي» للشاعرة جميلة حسين (دار النهضة العربية. توقيع 4 ك1/ بدأ من س17:00). نرى الشعر في براءته الأولى وطزاجة عوالمه التي تشبه الطفولة. كتابة خاصة في قلب قصيدة النثر اللبنانية الحديثة ودعوة للقارئ لهذا القاموس الحسّي الذي يشبه الحديقة.

الياس خوري

«مدّت يديها تحت جسده ورفعته، فارتفع خفيفاً كظلّ. الرّفاق فارغ. طنين الصمت يحتلّ المكان وامرأة تمشي مهلاً في الطريق. تحمل في يديها المدودتين ظلّ رجل في ضيعة الموت، وجسده مضرّج بالألوان. صدى وقع قدمَي المرأة التي رفعت شعرها تاجاً على رأسها، يتداخل بالقباب، كأنها تمشي فوق أقواس المدينة». في «رجل يشبهني- أولاد الغيتو 3» (دار الآداب . توقيع 9 ك 1/ بدأ من س17:00)، يختتم آدم ذنون بطل الياس خوري رحلته بين اللّد وحيفا ويافا ونيويورك. هذه الرواية هي الأخيرة في ثلاثيّة «أولاد الغيتو» مستقلة كمبنى حكائيّ ومرتبطة بالروايتين الأخريين كمتوالية تروي حكاية الغربة والحبّ واحتمالات الحياة.

حسن داوود: فرصة لغرامٍ أخير*

– من كثير سنين، قال، لمجرّد أن يجيب، إذ سريعاً ما انتقل إلى ما كان يَشغل رأسه:
– شفت كيف فاتت وسكّرت الباب؟
ليس السَخط وحده، بل الاحتجاج أيضاً. كأنّها كانت تقول إنّها أخطأتْ بما قامت به. إنّها ضيّعت وقتها من أجل شيء لم تكن رغبتها فيه مُلحّة أو حتّى كافية.
هي
كما لو صيّادٌ صوّب على طيفٍ لمحَه ولم يعرف تماماً ما هو، هكذا أحسبني فعلت. استدرجتُه حتّى يصير ظاهراً أمامي، واقفاً لي، عارفاً أنّي له كنت أقف على الشرفة. لم يكن يعني لي شيئاً مع ذلك. لو كان من يقف هناك أحد غيره، أيّ أحد، وعلى أيّ من تلك الشرفات أمامنا، لربّما فعلت الشيء نفسه. لكنّه وحده كان يطيل الوقوف هناك. الآخرون في الطبقات الأخرى، الاثنَي عشر بعدد ما هي طبقات بنايتنا، لا يخطر لهم أن يخرجوا، ليروا الطّقس كيف انقلب عمّا كان عليه بالأمس، أو ليبهجهم فارق الضوء بين النهار والغرف التي يطفئون فيها أيّامهم، كما نطفئ نحن أيّامنا. ذاك أنّي مثلهم، ومثلهم أيضاً والدة زوجي التي تشاركني الإقامة في البيت، هي وخادمتها. لا أخرج، لكنّي أحرص على أن أقضي الوقت، حين لا أكون منشغلة، جالسة على المقعد الذي في وسط غرفة الجلوس، قبالة الباب الذي، حتى الآن، رغم مرور ستّ سنوات على انتقالنا إلى هنا، لا أعرف بعد إن كان زجاجُه يتيح للناظر رؤية ماذا في الدّاخل وراءه.
ولسنا وحدَنا، نحن وهم، في هذا الحيّ الصّغير الذي تشقّه طريق السيارات، تلك التي لم تعد تعبر إلا قليلاً. هناك آخرون. إلى جهة اليسار، هناك بناية أقلّ ارتفاعاً من بنايتينا. ورغم أنّ حائطها ملتصق بحائطنا، إلا أنّني لا أهتم بأن أعرف من هم الذين يسكنون فيها، أو كيف هم. أحياناً أقول إنّها ليست تماماً في حيّنا طالما أنّ واجهتها الأخرى، أو شرفاتها الأخرى، تطلّ على الشارع الذي يكثر فيه الازدحام، ازدحام الناس وازدحام السيّارات اللذان صارا قليلين على أيّ حال. كما أنّني أفكّر أنّ البناية الأخرى، التي تحتل الرّاوية المقابلة لها، القديمة، المهلهلة خشب نوافذها حائلة الطّلاء، ليست من حيّنا هي أيضاً ويجب، على كلّ حال، أن تُهدَم.
لسنا إلّا نحن وهم، أعني أولئك الذين نواجههم ويواجهوننا. كأنّنا استقلّينا عمّا حولنا، عن البنايتين الأخريين وعن ساكنيهما، وكذلك عن النّاس الذين يسيرون في الشّارع تحتهما. نحن وهم فقط. وإذ أعود وأفكّر أن لا اتّصال بيننا، ولا أيّ نوع من الاتصال، أقول إنّ ما يجمع بيننا هو المقارنات التي نجريها، كلّ جهة اليسار، هناك بناية أقلّ ارتفاعاً من بنايتينا، ورغم أنّ حائطها ملتصق بحائطنا، إلا أنّني لا أهتم بأن أعرف من هم الذين يسكنون فيها، أو كيف هم. أحياناً أقول إنّها ليست تماماً في حيّنا طالما أنّ واجهتها الأخرى، أو شرفاتها الأخرى، تطلّ على الشارع الذي يكثر فيه الازدحام، ازدحام النّاس وازدحام السيّارات اللذان صارا قليلين على أيّ حال. كما أنّني أفكّر أنّ البناية الأخرى، التي تحتل الرّاوية المقابلة لها، القديمة، المهلهلة خشب نوافذها حائلة الطّلاء، ليست من حيّنا هي أيضاً ويجب، على كلّ حال، أن تُهدَم.
لسنا إلّا نحن وهم، أعني أولئك الذين نواجههم ويواجهوننا. كأنّنا استقلّينا عمّا حولنا، عن البنايتين الأخريين وعن ساكنيهما، وكذلك عن النّاس الذين يسيرون في الشّارع تحتهما. نحن وهم فقط. وإذ أعود وأفكّر أن لا اتّصال بيننا، ولا أيّ نوع من الاتصال، أقول إنّ ما يجمع بيننا هو المقارنات التي نجريها، إلى جهة اليسار، هناك بناية أقلّ ارتفاعاً من بنايتينا. ورغم أنّ حائطها ملتصق بحائطنا، إلا أنّني لا أهتم بأن أعرف من هم الذين يسكنون فيها، أو كيف هم. أحياناً أقول إنّها ليست تماماً في حيّنا طالما أنّ واجهتها الأخرى، أو شرفاتها الأخرى، تطلّ على الشارع الذي يكثر فيه الازدحام، ازدحام النّاس وازدحام السيّارات اللذان صارا قليلين على أيّ حال. كما أنّني أفكّر أنّ البناية الأخرى، التي تحتل الرّاوية المقابلة لها، القديمة، المهلهلة خشب نوافذها حائلة الطّلاء، ليست من حيّنا هي أيضاً ويجب، على كلّ حال، أن تُهدَم.
لسنا إلّا نحن وهم، أعني أولئك الذين نواجههم ويواجهوننا. كأنّنا استقلّينا عمّا حولنا، عن البنايتين الأخريين وعن ساكنيهما، وكذلك عن النّاس الذين يسيرون في الشّارع تحتهما. نحن وهم فقط. وإذ أعود وأفكّر أن لا اتّصال بيننا، ولا أيّ نوع من الاتصال، أقول إنّ ما يجمع بيننا هو المقارنات التي نجريها، إلى جهة اليسار، هناك بناية أقلّ ارتفاعاً من بنايتينا. ورغم أنّ حائطها ملتصق بحائطنا، إلا أنّني لا أهتم بأن أعرف من هم الذين يسكنون فيها، أو كيف هم. أحياناً أقول إنّها ليست تماماً في حيّنا طالما أنّ واجهتها الأخرى، أو شرفاتها الأخرى، تطلّ على الشارع الذي يكثر فيه الازدحام، ازدحام النّاس وازدحام السيّارات اللذان صارا قليلين على أيّ

محمد فارس، «رجل على الحافة» (2018 ــ طباعة، 42 × 36 سنتم)

أي أنّنا نتناكف بصمت، أو نتحاسد بصمت، وإن كنّا لا نعرف شيئاً عنهم أو يعرفون شيئاً عنّا. ليس الآن، في هذه الأشهر الثّلاثة الأخيرة، بل قبل ذلك. لم يحدث أبداً، على سبيل المثال، أن رفع أحدٌ من هناك يده بالتّحية لأحدٍ من هنا، كما من هنا إلى هناك. وإذ أروح أستعيد الآن، ما كنت أشاهده على شرفاتهم، قبل هذه الأشهر الثّلاثة، لا أجدني متذكّرة إلّا القليل: تلك المرأة مثلاً، التي كانت تجعلني أتساءل إن كانت الأسنان لا تتخلّف إلّا إن فركناها كلّ هذا الوقت، إذ هي تظلّ نصف ساعة تقلّب الفرشاة في فمها فيما الرّغوة تفيض منه وتسيل على كفّها الذي جعلته مكوّراً مثل جرن صغير.
هناك آخرون أيضاً. قليلون. رجل وامرأته كانا يحتسيان قهوتهما على شرفتهما في الطبقة الثّالثة ثم لا يعودان إلى الظّهور. خادمة أفريقيّة تخبط الغسيل في الهواء قبل أن تنشره على السّبية الواطئة. خادمة أخرى على شرفة طبقة أخرى...
الآن لا أحد.
فقط هو. كلّما ظهر على الشّرفة، أفكّر أنّه قضى كلّ وقته في الداخل لا يفعل شيئاً إلّا التّنقل المتوتّر. ربّما لأنّ ليس من أحدٍ هناك ليحادثه. ليس من أحد يتحرّك عنده، أو يحرّك شيئاً من مكانه. لا شيء. أعرف ذلك من تلك النّظرات السّريعة التي ينقلها، كأنّ أذناه تُسمعانه أصواتاً ضئيلةً متواترةً تطلع من حيث لا يعرف، فيسعى إلى أن يتبيّن بعينيه أين هو مصدرها. وكان يستجيب لكلّ ذلك مسرعاً متفاجئاً. في لحظة ينتقل نظره من موقف السيّارات تحته إلى شرفة في الطّبقات العالية عندنا، أو ينحرف به بعد ذلك إلى قطعة الأرض الخالية المسوّرة إلى الجهة الأخرى من بنايتنا.
لم أسعَ، في البداية، إلى لفْت انتباهه. ما كنت أريده هو أن أراه من مكان أقرب. من الشّرفة لا من الغرفة التي، إذا ما تقدّمتُ لأخطو نحوها، لا أعرف إن كنت سأرى من هناك واقفةً وراء الزّجاج. خرجتُ من الباب الأخير الذي يضعني في وسط السّاتر المضلّع ورحت، مختفية كما ظننت، أنظر إليه. لم يرني في تلك اللّيلة، ولا في اللّيلة التي تلتها. بوقوفي هناك، وراء ذلك السّاتر، أحببت شعوري بتخفّفي من السّاعات الطّويلة التي أقضيها في الداخل، كما أحببت ذلك القدر الضّئيل من المغامرة حيث يمكن له، هو الواقف هناك على تلك المسافة منّي، أن يفاجئني بوقوع نظره عليّ.
انقضت أيام قبل حصول ذلك. في أثنائها صار يخطر لي أن أندفع، وإن بما يشبه اللّعب، إلى مزيد من المجازفة. خطوة صغيرة واحدة، لا تتعدّى تعديل وقوفي، حتّى يبين منّي شيء خارج السّاتر. فقط ذلك الجانب القليل من جسمي حيث لم أزل، على رغم رغبتي بالمجازفة، حائرة ماذا أريد: أن يراني أو أن لا يراني. لكنّه فعل. عرفت ذلك من تثبيت نظره عليّ، أو على حيث أقف، ثمّ استدار بعد ذلك ليعود مسرعاً إلى الدّاخل. وحين عاد بعد ثوانٍ، بدا تركيزه أشدّ، كأنّه ينتظر أن يرى حركةً وليس فقط شخصاً ثابتاً في مكانه.

الفصل الأول من رواية حسن داوود «فرصة لغرام أخير» (نوفل/ هاشيت أنطوان . 2022). يوقّعها الكاتب الأربعاء 7 كانون الأول، بدأ من السادسة حتى السابعة والنصف مساءً

آنا أخماتوفا: لك المجد أيّها الألم الذي لا يُواسى*

1- الوسادة

الآن أصبحَت الوسادة
حارّةً من الجهتين،
وها هي الشّمعة الثّانية تذبل ببطء.
والغراب يصرخ بلا نهاية.
لم أستطع النّوم طوال اللّيل
وقد فات الآوان على التّفكير في النّعاس.

هذا البياض كثيرٌ جداً ولا يُحتمل،
السّتائر والنّافذة،
فمرحباً أيّها الصّباح!

2- قراءة هاملت

إلى يمين المقبرة،
ثمّة أرضٌ شاسعة،
خلفها يجري النّهر بارداً وأزرق.
قلتَ لي: «اذهبي إلى الدّير أو
ابحثي عن أحمقٍ يرضى الزّواج بك»
أعلمُ أنّ هذا ما يتفوّه به الأمراء عادةً،
لكنّني لن أنسى كلماتك أبداً،
دعها تتدفّق دائماً
لسنواتٍ عديدة،
هكذا دواليك،
مثل فرو من فوق الأكتاف.

3- مازلتُ أحبّك

هكذا وعن غير قصد
قلتُ لك «أنت» المالوفة
وإذ بوميض ابتسامة
تضيء وجهك من جديد.

أخطاءٌ عفويّةٌ وساذجة كهذه
كفيلة بجعل أكبر النّيران تندلع
نعم أحبّك،
بحنانٍ يفوق عاطفة أربعين أختاً.

4- مكتوبة لك

كلماتك متجلّدة وعيناك مجنونتان،
وتعترف بحبّك لي،
قبل لقائنا الأوّل حتّى.
لكنّني مكتوبةٌ لك
ومنذ عصور
يدفعني المصير
لأعبر البحار نحوك.

ومن دون معرفة اسمك
أو من تشبه،
عرفتُك،
تماماً كالفجر الذي ينبت من جوف اللّيل.

5- ادفنيني أيّتها الريح!

ادفنيني أيّتها الرّيح
فوقي السّماء خافتة
والأرض تتنهّد بهدوء
ولم يأتِ أحدٌ من أقاربي!

أذكر أنّي كنت حرّةً مثلك
لكنّني طمعتُ بأن أحيا أكثر
وها أنت الآن،
ترين جثّتي الباردة ولا أحد فوقها،
ليطوي ذراعيّ.
أغلقي هذا الجرح الأسود
كفن السّماء المنتشر هنا وهناك
ها هو الضّباب اللّازورديّ فوق رأسي
يأمرني بقراءة المزامير.
حسنًا فلأهدأ وأخفّف الأمر عليّ.
وحدي،
سأذهب إلى النّوم الأخير،
في الأعالي.

6- الهايبنت الأبيض

المساء أزرق وداكن،
الرّياح هدأتْ،
ضوءٌ ساطعٌ يناديني؛
أتبعه وأتساءل: مَن هناك؟
أتراه فارس أحلامي؟
أتراه حبيبي؟

على الشّرفة: ظلٌّ مألوف وحديثٌ هادئ
إنّه الكسل الأسر،
لم أشعر به قبل الآن.

أشجار الحور قلقةٌ تتنهّد
وتموج
تتنابها أحلامٌ دافئة،
والسّماء امتلأت بالحديد الفولاذيّ
والنّجوم أضحَت شاحبةً
وباهتة.

أحمل باقةً من الهايبنت الأبيض،
فيها أسرارٌ وشعلةٌ خفيّة،
مَن سيتناول الزّهور من يديّ الخجولتَين،
ويعانق كفّي الدّافئة.

7- ابيات جدّتي

ينبوع الشّمس هذا الصّباح في حالة سكر
ورائحة الورد تدوّي على الشّرفة،
والسّماء أكثر لمعاناً من الخزف الأزرق،
وفي يدي دفتر ملاحظات بغلافٍ من الجلد المغربيّ النّاعم،
أقرأ فيه مرثيّات وأبياتاً رومنسيّة
كتبتُها جدّتي.

أرى الطّريق إلى البوّابة وما بعدها.
أعمدةٌ بيض تلمع فوق عشبٍ كالزّمرّد،
أتساءل كم أنّ القلب يهوى بعمىً ورقّة!

أستمتع بتآمل أحواض الزّهور اللّامعة
والغربان السّود يتصاعد صراخها في السّماء،
والأقواس العميقة داخل القبو.

8- الجحيم

انتظرتُ لوقتٍ طويل
عند بوّابة الجحيم الضّخمة.
كان هادئاً ومظلماً،
أوه، حتى الشّيطان
لا يرغب بي!
إلى أين أذهب؟ ..

9- يعود زوجي الميت

امتنع القمر عن التّجوّل في السّماء،
والبرد، مثل خَتمٍ، طُبع على اللّيل،
زوجي الميت عاد فجأةً
لقراءة رسائل حبّي له.

داخل نعش مصنوع من البلّوط،
يتذكّر القلعة السّريّة
وخطوات قدميه الخشنتين
الموثقتين برباطٍ حديديّ
فوق بلاطها.

يراقب مواعيد لقاءاتنا
ويتأكّد من التّواقيع.
يا له من غريب!
ألم يكفِه ما لديه من أحزانٍ وآلام؟
ماذا جنى حتّى الآن؟

10- وحين اكتب

في غرفتي تعيش روحُ جميلة
ثعبانٌ أسود وبطيء
مثلي تماماً،
كسول، وبارد.

وحين أكتب في المساء
يجلس على السّجّادة بجانب النّار الحمراء
وينظر إليّ بعينين من الزّمرّد
براقتين.
في اللّيل يسمع بكائي وأنيني،
لكنّ الأبواب تصرّ على صمتها ولا تجيبني
ستكون صلواتي مختلفة
لولا عينا ذلك الثّعبان.

فقط في الصّباح أشعر بالضّجر،
حين يذوب مثل شمعةٍ رقيقة...
وينزلق بحرّيّةٍ كشريطٍ أسود
على كتفي العارية.

11- في الاحزمة التي على ظهرك

(إلى نيكولاي غوميليوف، زوج أخماتوفا)

يومها كنتَ عائداً من المدرسة،
وفي يدي الإحزمة التي على ظهرك،
حقيبةٌ وكتبٌ وقلم رصاص.

لم ينسَ الزّيزفون بعد، لقاءنا الأوّل،
أيّها الصّبيّ المرح.

والآن، كبرَت البحيرة الرّماديّة الصّغيرة التي كنتُها،
وتحوّلت إلى أخرى متعجرفة.
وسقط عليّ الحزن
مثل شعاع لا يموت،
وصوتي لم يعُد يدوّي.

12- كان

كان يحبّ ثلاثة أشياء
قدّاس المساء،
الطّواويس البيض
وخرائط أميركا القديمة.
لم يكن يحبّ الأطفال عندما يبكون
لم يكن يحبّ الشّاي بتوت العلّيق
ولا هستيريا النّساء،
وأنا،
كنت زوجته!

13- الملك ذو العينين الرّماديّتَين

إلى ألكسندر بلوك
لك المجد
أيّها الألم الّذي لا يُواسى!
رحل بالأمس الملك ذو العينين الرّماديّتين.

ذات مساءٍ خريفيٍّ قرمزيٍّ خانق،
قال لي زوجي حين عاد:
«لو تعرفين كيف أحضروه من الصّيد،
وجدوا جثّته أسفل شجرة بلّوط قديمة.
الملكة تثير الشّفقة حقاً،
ما زالت شابّة!
وفي ليلةٍ واحدة صار شعرها أبيضَ بالكامل»

ثمّ أخذ غليونه من أعلى المدفأة،
وعاد إلى عمله اللّيليّ.
أمّا أنا فركضت أوقظ ابنتي
لأتأمّل عينيها الصّغيرتين الرّماديّتين اللّامعتين.

أشجار الحور في الخارج
تهمس بحزن:
«غادر هذه الدّنيا، فملكك لم يعد على هذه الأرض.»

■■■

بسطَت شجرة الزّيزفون أغصانها على السّماء
مثل مروحةٍ من الدّانتيل،
في وجه السّماء الخالية.
ربّما كان من الأفضل بكثير ألّا أكون امرأتك.

ينسى القلب ببطء ذكرياته عن الشّمس،
ماذا تبقّى؟
لا شيء غير الأسود؟
ربّما،
ربّما ليلةٌ واحدة تكفي لتحضير الشّتاء.

14- نقشٌ على صورة غير مكتملة

لا تتنهّد من أجلي،
فليس هناك ما يدعو للقلق.
الحزن عبثيٌّ جداً،
الحزن قاسٍ وتافه.
ابتسمتُ بألم،
أمرٌ غريب، أن أخرج من «كانفا» رماديّة وأعبر الزّمن
لتحلّق ذراعاي في الأعلى،
وتستريحا.
كنتُ مجبرةً دوماً على ذلك
خلال ساعاتٍ من السّعادة.

هو الّذي كان يريد ويأمر
بكلماتٍ قبيحة ومميتة،
كان فمي يشعر بالحمّى،
وخدّاي يتكلّلان بالثّلج.
ثمّ دون أيّ إحساس بالذّنب،
غادر ليحدّق في عيون أخرى،
وتركني لسباتٍ مميت بلا أحلام.

15- كيف انساه؟

أسفل الغطاء، بداي تتألّمان،
«لماذا تبدين اليوم شاحبة؟»
-لأنّني شربْتُ رغماً عنّي وحتّى الثّمالة،
الكثير من الألم المرير.

كيف أنساه؟
غادر يترنّح يميناً وشمالاً
ملتوي الفم من الوجع،
وتبعتْه مسرعة،
ركضتْ حتّى الباب وصرخت:
«قل إنّك تمزح. سأموت فوراً إن رحلْت»
ابتسمَ بكلّ هدوء وهو يرتجف،
«لا تبقي هنا، أخاف أن يؤذيكِ الهواء القويّ!»

* قصائد مختارة من المختارات الشاملة للشاعرة الروسية آنا أخماتوفا (1889 ـ 1966) الصّادرة عن «دار النهضة العربيّة» بعنوان «ملكة النيفا آنّا أخماتوفا» (ترجمة وتقديم أماني غيث) ـ توقّع أماني غيث الكتاب يوم الجمعة 9 كانون الأول (الرابعة والنصف عصراً) ضمن المعرض

أنا أقرأ
بتوقيت بيروت

مروان عبد العال: ضد الشَنْفَرَى*

هكذا تعرّفت بعد فوات الأوان إلى شخصيّة المُخبر السرّي، رجلٌ تقليدي تنتابه مشاعر التّعالي أولاً، وثانياً، يتوقع الإذعان السريع من شخص ملاحق، رأيته كيف يُخرج الصحيفة من جيبه يقرأ ويعلق ليسمع ردود فعلي: «خذ مثلاً هذا برهان مناسب» ومرّ على عنوان في الصحيفة: «طلاق بين زوجين بسبب طاقم الأسنان» يسأل: هل رأيت الإثارة؟ وعنوان آخر: «خيانة في الطابق الثالث» وعنوان أصغر «حديقة الموت»، يحدّق إلى وجهي ويعلق: خبر واقعي وعادي وليس خيالاً مصطنعاً ومفتعلاً، لكنه يُكتب بطريقة تثير القارئ فلا يستطيع كبح جماح نفسه. لكن المخبر عليه أن يتوغّل في معرفة الخبر، فكل كلمة يسمعها هي تقرير قائم على الدقة ليكشف خيوط الحيلة والخداع ودور الإشاعة في التأثير في معنويات الجمهور.

تنفست الصعداء، لا أعرف ماذا يريد مني هذا المخبر بعد أن أذاع لي سرّه، وبعد أن أحيل على نهاية الخدمة، الآن وقبل فوات الأوان، كان الشخص الغامض، لكنه صار دون قناع، لم يحصل على أي اتهام محدّد لي، لكنه جلب ذلك لنفسه، هذا المفوّض قام بالعمل القذر ليس مجاناً، بل مدفوع الأجر، لكنه كان الأذكى، وخاصة أنه فاتني اكتشافه في وقتها، كان يجري خلف صوتي ويسترق السمع لهمساتي، كأنه لم يشبع من دناءة تصرفاته وأدمن تقبيل مؤخرتي. لكنه استسلم أخيراً ولم ينل شيئاً، بقيت هنا، أفعل ما أريد، وعندما أحصل على التقاعد، سأحقق أمنيتي وأشتري قارباً صغيراً وأقضي وقتي أصيد السمك في البحر، وبعدها أحقق أمنيتي بالدوس على قبر بلفور.

فجأه يحدّق إلى عينيّ متفحصاً فيهما انعكاس كلامه، واستأنف: «سمعتك مرة تتحدث في تقرير الحزب عن خطر الوهم وأنك تريد قراءة صحيحة للواقع الملموس، لأنها الحقيقة وليس الخيال، كنت تعني أن الخيال يحمل في داخله احتمال الكذب». وأضاف: سابوح لك بسر، كانت تصلني نسخة عن مراسلاتك عبر البريد الإلكتروني؛ فتح حقيبته الجلدية وأخرج منها قصاصة ورق، واستأنف حديثه: في تقرير حزبي مرسل لك للنقاش وردت فيه فقرة قمت بقصها:

«ثمّة مسافة هائلة جداً بين تلك الكتلة الرمادية المسماة دماغاً أي مصنعاً فكرياً هائلاً، ولكن هذا الدماغ قابلٌ لكل الاحتمالات الإيجابية والسلبية، وبين تحويله عقلاً يتوقف عمله أي مخرجاته على مدخلاته من مواد وقواعد أساسية وفرعية». وعلّق: هذا كلام خطير وجميل ومهم.

قلت: نعم كنا نتكلم عن استحضار العقل، وإذا بقي الدماغ معطلاً يمكن أن تتحول الكتلة الرمادية إلى طاقة تدميرية غير مضمونة النتائج، هل يؤدّيك هذا الشيء؟

هزّ رأسه وبرم شفتيه معجباً بالتعليق، ولكن أشهد أنه مستوى رفيع في التفكير، وخاصة جوابك على التقرير مقتضب ولكنه قوي وقد أعجبتني جداً.

ذكّرني ما جاء فيه فقد نسيت: ابتسم وقال: ترفض فيه التعويل على الفترة الانتقالية الرمادية. طبعاً هكذا، لأن لونها الرمادي قد ينتج وهماً، هي الحد الفاصل بين مرحلتَي الواقع والخيال وبين حلم اليقظة والمنام، لا يمكن أن تعيش في مرحلة انقضت ولا تستطيع الدخول في المرحلة الجديدة، هذا كذب على الذات.

الجواب فتح شهيته على الكلام، فأكمل قائلاً:

«هيا نتكلم يا عزيزي لم يعد لنا إلا الحقيقة البسيطة، ليست مثيرة ولكنها قضايا مهمة، فالقضايا تكون عظيمة إذا كانت أكثر قدرة على ربط السبب بالنتيجة، هل تعلم شيئاً؟ لقد علّمتني التجربة أن القضايا العظيمة تكون كذلك ليس لأنها معقّدة وضخمة بل لأنها سهلة وبسيطة».

آه.. أنت جاسوس محترف لذلك تتلصّص على خصوصياتي؟

لا تنفعل، تمنيت لو كنت جاسوساً، لاحفظ نقاء اللون الأبيض من سائر الألوان.

فهمت، مجرد فضولي أو عجوز يقتله وقت الفراغ، يريد أن يتسلى ويقضي ما تبقى من عمره على ما بدا، أو شخص ثمل غير متوازن أدمن تعاطي الخمرة، وصار يتحدث بدون رقيب ذاتي.

كنت مفوضاً في المباحث الفيدرالية، هذه رتبة شرف وأنا لست خائناً، بحثت عن الخونة لأنني أكرههم، أعرف أنك لا تعلم أن الجاسوس درجة أرقى من درجة المُخبر.

إذاً تراقب تحركاتي في الأمكنة، أنا في منتصف العمر تقريباً، قضيت نصف عمري هنا، غير مرّة كنت قد قررت الانسحاب من صخب هذا العالم، لكن عدت لأن الرسالة الإنسانية مثل الحب لا يمكن أن تخلي عنه بسهولة.

أبدأ لقد بلغت من العمر ما يكفي كي أشعر بالملل وخاصة من وظيفتي التي أرهقني، مفوّض في مكتب المباحث الفيدرالي، وظيفتي ممتعة أن لا تغيب عن بالي أبداً. وأيضاً إنسان آخر، كيف يمكن أن يكون الإنسان حُراً وهو يهدر حياته وسهولة أفضل من غيره، وأنا مثلك أقوم بتأدية مهمة إنسانية.

ولكن التقاعد أجبرني على الانتساب إلى نادي الضباط المتقاعدين، كما يفعل بعض زملائي في المهنة، لكنني أثرت فكرة تأدية مهمة تطوعية من أجل المهاجرين الذين انقطعت بهم سبل الحياة في الجزيرة.

عموماً لم أطّلع في حياتي على تفاصيل هذه الوظيفة، ولكن لا أفهم ما الذي تعنيه بالرسالة الإنسانية؟

تماماً مثل رسالتك، تكون إنسانية إذا كانت غايتها كذلك؛ أنت غايتك البحث في الكيمياء الحيوية لإيجاد علاج الإنسان من الأوبئة، أما أنا فغايتي منع حدوث كارثة تهدد حياتنا جميعاً، من المؤكد سيرفضون توظيفك لو تقدّمت للعمل فيها – وإن كانت الحكمة هي المشترك بيننا، قالها ساخراً.

الحكمة؟! سألته مستغرباً.

كشف الجواسيس، فضح الهجناء هذه مهمة إنسانية تعبّر عن الحكمة، لأنك عندما تكشف عن وجهه المخبأ تكون قد أنقذت نفسك منه، وأعدمته دون رصاص، هل ترى كيف يختلط الطب بالأمن، والدواء بالمال، واللقاح بالسلاح، والانضباط الطبي بالعسكري، ما الفرق بين النظام الصحي والنظام العسكري، الحرب واحدة والهدف منع البشرية من الانحدار، لوى رقبته إلى الأمام، وأخرج الغليون من فمه، تعبيراً عن رضى بأن ما قاله قد دخل رأسي وربما أقنعني، وعادة يستخدم سيف القانون إن حاولت التمرّد.

لو سألتك مجرد سؤال؟

بحيث لا يمس أمن البلاد، قالها بين الجد والمزاح.

الجنرال الذي أحيل على التقاعد، صار يبحث عن حُرية بلا قيود رسمية، حرية كان يحلم أن يتحرّر فيها من قهر الوظيفة، من قمع إنسان آخر، كيف يمكن أن يكون الإنسان حُراً وهو يهدر حياته مقيداً بملاحقة إنسان آخر؟ تباً لهذه الحياة التي لا يشعر كيف ومتى يعيشها وهو مقيد بوقت وشخص آخر، لن يتحرر منه بغفلة من الزمن، تدركه لحظاتها الجميلة دون حسبان، وبعضها كان بالنسبة إليه بلا معنى وليس ذا أهمية، سابقاً قتله الشيطان في التفاصيل، واليوم يبحث عن بقايا الملاك في التفاصيل؛ تذكرت عندما جلست، تنحنح وقال: اسمع، قد يصيبني اكتئاب، ليس بفعل هذا المطر الكئيب المنهمر بغزارة كما يظهر من زجاج النافذة، فقط لأنك لا تثق بي، ولم تصدقني، وبمجرد أن يساورك أدنى شك أنني رجل مخمور أقل من خيال ينبعث من المرآة، أو شخص مخبول، لأن صورته باهتة مثل عجوز مصاب بالزهايمر، كما في بداية كل علاقة جديدة، يكون الحديث مهذباً ومشذباً ولبقاً.

باح لي أن باب الهجرة فتحته السلطات بعد دراسات وأبحاث معمّقة، مفادها، تحقيق هذا الهدف بعد خمسين عاماً، ولكن تمكنت من تقصير المدة، وتحقيق الأمر بخمسة وعشرين عاماً أي بنصف المدة، قلت في نفسي متوجساً وبعد عشر سنوات سيكون الوضع مخيفاً، الوضع أخطر من حرب، الموضوع يمس الوجود، بشكل مرعب.

أضاف: لقد حصلنا على إذن من وكالة المخابرات العالمية باستعمال هذا اللقاح، كنّا أول من استخدمه لذلك صار لقاح شلومو حصرياً لجمهورية شلومو. نريد أن نحمي بلادنا من الهويات المتصارعة من جاثحة قد تقضي على ثقافتنا. كيف نبني وطناً متعدد الألوان، يحتفظ فيها كل فرد بهويته الإثنية، هذا غير ممكن، نريد مواطناً باللون الرمادي، الذي له حيّز كبير في حياتنا، لا يمكن أن نكون سواويين أو مثاليين بل لكل منهما نصيب في حياتنا، وهذا المزيج مثل معلبات السبع دول، خليط ولكن في نهاية المطاف نريد أن يكون لنا طعم ومذاق واحد، هوية «شلومو» فوق كل الهويات.

بعد أن خيّم الصمت، قطعته بسؤال: هل كنت تعرف أنني كنت أشك في وجود شخص يراقب مكالماتي الهاتفية؟

ليس دائماً، خاصة عندما تختلف نبرة الحديث ويصبح بعضه كأنما هناك شخص ثالث.

لم نعد نحتاج إلى حافظة الذاكرة، طالما أن وراء كل شخص مثلي جنرالاً ومفوّض مباحث محترفاً أقلّه صار لدي هوية موازية، احتياطية، لذلك لن تضيع، شرط أن يصونها بامانة، ولا يتلاعب بها، وما يدعو إلى السخرية، أن يكون وراء كل ذاكرة منسية مفوّض سري! رُبّ ضارة نافعة، وأطمئن نفسي أقلّه، أن مكتب المباحث الفيدرالي صار يحفظ لنا ذاكرتنا ويحميها من النسيان، لن يضيع لنا سر بعد اليوم، ولن يفرط في أي تفصيل أو خصوصية، لن ينقص منها شيئاً، حتى لو نسيت بعضها، سيذكرك هو بها، هكذا بأقراص مدمجة.

بعد أن فرغت كأسه، نظر إلى فوهة زجاجة النبيذ وحاول أن يصب بضع قطرات، ليحتسي آخر نقطة حمراء فيها، متأملاً حركة أصابعي وهي تنقر على الطاولة، ولاقطع عليه المشهد.

لست بحاجة إلى صداقتك. جولات التفاوض غير المتكافئة والعبثية، قلما تصل إلى نتيجة، لم أعرف ماذا يعني لك هذا النوع من الصداقة؟ كيف يكون الصديق عدواً سابقاً؟ بعد أن فشل لقاح حكومتكم في النيل من هويتي. «على كل حال أنت صديق موارٍ بالتكليف الرسمي». هكذا قرر الجنرال وبدت عليه علامات الاطمئنان فاضاف: أدهشني ما قمت به في نهاية فصل الصيف، والذي دفعني لأعترف لك بما قمت به ضدك. خاصة لاهتمامك الكبير وقدرتك الهائلة على تنظيم المهرجان السينمائي الذي تقيمه سنوياً في دار الأوبرا. كنت أعتقد أن هناك دولة ما تدعمه، أو جماعة تقدم لكم مالاً، خاصة أنه يلقى اهتماماً واسعاً من قبل الناس.

أتريد أن تعرف سر مناعة هويتي، لأن هويتي كل الذين يشبهونني، من سكان المخيمات والأحياء المهمشة، وضحايا حروبكم، أبناء الموت والحصار والعذابات والدمار؛ وما تظهره عدسات الكاميرا وتوثّقه من حقائق وظروف وحالات القهر واللحظات المؤلمة والتجارب القاسية والذكريات والخدوش. هذه الهوية أكثر تفاعلاً ودعماً من الدول المانحة، الهوية التي تُحرّك ضمير العالم كي يصغي إلى صوت الضحية.

صحيح سمعت خطابك بالأمس عند افتتاح الدورة التاسعة عشرة لمهرجان الأرض الدولي للسينما التوثيقية. ولكن بدون مجاملة كان نشاطاً باهراً.

السينما تكون باهرة، عندما نرجو منها ما نريده من الأدب والفن: أن ترشدنا إلى المناخات والخيارات البديلة، أن تشكل طرقاً أخرى ومسارات بديلة، أن تصوغ من الخيال طاقة وشعوراً مغايراً.

* مقتطفات من رواية «ضد الشَنْفَرَى» (دار الفارابي) لمروان عبد العال الذي يوقّعها يوم الأربعاء 7 كانون الأول بدءاً من الرابعة عصراً.

حسني رضوان ـ «منفى 8» (حبر على ورق ــ 30 × 36 سنتم ــ 2022)

خالد الأمين... الشاعر الذي لا قبر له

رشيد وحتي

كتاب «لبعض السفر أحتاجك» لخالد الأمين (دار النهضة العربية - تحرير علي البزاز - وشهادات عن الشاعر بقلم عبد الرحمن طهمازي، عبد الرزاق رشيد الناصري، أحمد الباقري، عبد الحسين الهنداوي، عزيز عبد الصاحب؛ مع مقدمات بقلم علي البزاز، سناء عبد القادر مصطفى، فاضل عباس هادي، عقيل حبش) نتاج جهدٍ مضنٍ قام خلاله محرّره علي البزاز بالبحث الحثيث والتجميع شبه الكامل لأرشيف الشاعر خالد الأمين، على مدى ما يزيد عن عشرين عاماً، تعرّف في أثنائها، بحسب قوله، إلى أشخاص عدة، ادّعوا امتلاكهم قصائد ومقالات له، لكنهم للأسف «لم يفوا بشيء يُذكر وكأنما يراد لسر الأمين أن يبقى في تضاريس أسرار وفي طبقات وعود فحسب، منطوياً على تخفٍ وخوف من العلن».

يفتتح المحرر الكتاب بوضع سيرة وجيزة للشاعر، لأنها ربما تشكل المفتاح الأساس للتعثر والتأخر في تجميع تراثه المكتوب: خالد الأمين من مواليد 1945 لأسرة ميسورة من أصول كُردية في مدينة الناصرية، جنوب العراق. شبّ في المدينة حيث نال شهادة البكالوريوس في الإدارة والاقتصاد، واشتغل مديراً لدائرة التقاعد والضمان. إنتسب إلى الحزب الشيوعي العراقي، ثمّ إلى «تنظيم القيادة المركزيّة»، المُنشقّ عن اللّجنة المركزيّة للحزب الشيوعي العراقي، والذي قاد حركة الكفاح المسلّح في أهوار الناصريّة ضدّ حكم البعث في العراق عام 1968. فشلت الحركة يومذاك، وكان يُديرُ معاركها، الشهيد خالد أحمد زكي. اعتقل الأمنُ البعثيُّ خالدَ الأمين في الناصريّة وسَجَنَه في «قصر النهاية» السيّئ الذّكر.

يتبيّن الآن أنّ هذا الشاعر الذي لا قبر له أريد له أيضاً، ولأسباب سياسيّة وأيديولوجيّة بحتة، أن يكون أيضاً شاعراً لا كتاب له، في ظلّ تبعيث الثقافة العراقيّة بعد سحق الحزب الشيوعي ومحو كل أثر للفاعلين اليساريين فيها، لا سيما إذا كانوا ممن تمّت تصفيتهم جسدياً؛ ليتأكّدَ هذا الإجهاز بُعداً مزدوجاً: القتل الجسدي متبوعاً بالقتل الرمزي (الثقافي).

خُضِعَ تبويب المادّة التي تمّ استجماعها إلى تقسيم وفق النوع الأدبي. فالجزء الأوّل يحوي نصوصاً نثرية حول تصور خالد الأمين للشعر، ولعلاقة القصيدة بالسياسة، في مقالات نقدية وجيزة، بينما ضمّ الجزء الثاني مجموعتين شعريّتين وقصائد متفرّقة ومسوّدات. وتمّ تكريس الجزء الثالث لترجمته قصائدَ مسبوقة بتقديمات لسبعة شعراء فرنسيين: سان جون بيرس، بول إيلوار، أندريه بروتون، هنري ميشو، جول سوبرفييل، بيار ريفيردي وإيف بونفوا.

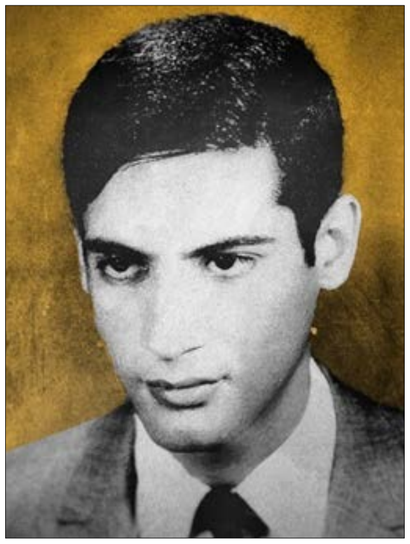

> اعتقله الأمنُ البعثيُّ في الناصريّة وسجنه في «قصر النهاية» السيّئ الذّكر

يتمُّ المرور بسلاسة من باب إلى باب من خلال شهادات لشعراء وكُتّاب عراقيين عايشوا الشاعر عن قرب أو بعد، ما أكسبها وظيفة تفسيرية للسياق السوسيو ـ ثقافي الذي أسهم في بلورة إنتاجات خالد الأمين، نصاً ونقداً وترجمةً.

ينتهي الكتاب بمقاطع من مقالة يتيمة حول فلسفة هيغل، ما يبرهن على أنّ الشاعر لم يكن فقط متعدّدَ المواهب الإبداعيّة، وإنما كان له أيضاً اطلاع على ثمرات التفكير الفلسفي.

حُسْن عبّود: السيدة مريم في القرآن الكريم*

إنّ «موتيف الخصوبة» الذي حوّل الصحراء (أو البريّة) إلى واحة في قصّة مريم ارتبط في سياق السّورة ببنية أسطوريّة (ميثيّة)، فحين تستحضر القصّةُ الأولى قلقَ زكريّا من الموالي لفقدانه العقب (19:5)، يأتي الجواب في القصّة التّالية، قصّة مريم، كأنه جوابُ الطّبيعة حول القلق الأبديّ بخصوص الجفاف والموت الذي عبّر عنه زكريّا بلسان حاله. فتخوض مريم رحلة نحو الصّحراء حيث يتمّ الاحتفال بخصوبة الأنثى بين النّخلة المحمّلة بالرُّطب والنّهر الذي تفجّره المياه.

النّخلة والمياه هما عنصران من عناصر الحياة ويتّصلان مباشرة بخصوبة الأرض. فالاحتفال بالخصوبة، هنا، ليس في صورة الواحة القائمة بين النّخلة ـ الشّجرة والسّريّ ـ الماء فحسب، وإنّما في صورة الأحداث نفسها. فيربط النصّ خوف مريم على المأكل والمشرب بخوفها من ألم الوضع، وهو ما يدمج صورة الأرض المنتجة بصورة الأنثى الولود التي عبّرت عنها جملة: «فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا» (مريم 24). فالولوذة ذكر السريّ (المياه) مع تكرار كلمة «تحت» في «من تحتها» (بطن مريم) أو «قد جعل تحتك سريّاً» (بطن الأرض) يشير إلى الدّاخل، إلى رحم الأمّ ورحم الأرض، أيّ إلى مفهوم الأمومة التي تتحكّم في الجسمين، جسم الأنثى وجسم الأرض معاً. فتظهر «تحت» الأولى بوصفها رحم مريم الذي سيلد غلاماً، بينما تظهر «تحت» الثّانية بوصفها رحم الأرض الذي سيفجّر المياه فتُحيي الأرض. هذه المقابلة بين تولّد مريم على المستوى نفسه مع تولّد الأرض يعطي مريم صورة تتعلّق بالجوهريّ، أي ما يعطي الأنثى قيمة الخصوبة. فتأخذ الأنثى الخصبة مكانها اللّائق في حدائق الجنّة التي «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَار»، كما ينال المؤمنون والمؤمنات حدائقهم التي وُعدوا بها. وتُدمج صورة مريم الأنثى وهي تهزّ الشّجرة لإطعام نفسها بقوّة الشّجرة التي تعطي الثمر والحياة هي الأخرى.

نستطيع تخيُّل هذا الإدماج بين مريم والنّخلة في صورة للآلهة التي تعطي ثمرها في عمل فنيّ مصريّ من السّلالة الثّامنة عشرة وهي من أكثر الصُّور دراماتيكيّة في دلالتها على أمومة الشّجرة. في هذه الصّورة، تختفي الأنثى داخل الشّجرة، ونرى فقط ذراعيها المتدلّيتَين خارجاً، وتحمل بالذّراع اليمنى خُوانًا (صينيّة) عليها طعامٌ وبخور، وتحمل باليسرى إناءً تصبّ منه الماء على الأرض.

إنّ المعادلة الرمزيّة للمؤنّث الأمومي، كما يقول الباحث أريك نيومن، تكمن في المؤنّث الذي يطعم، يولّد، يتحوّل، الشّجرة، الزّكيزة من الجاد (الحجر الثّمين)، شجرة الجنّة، شجرة الكون، فكلّها واحدة». فالماء والأرض عنصران من عناصر التّوالد المتّصلة بعضها ببعض، ومثل المياه تصبح الشّجرة المثمرة المكان المناسب لولادة الأبطال. فشجرة ولادة أوزيريس تتكرّر في ولادة أدونيس، وفي القرآن الكريم، يولد عيسى في ظلال المفهوم الأنثويّ للشّجرة. فالخوف على خصوبة الأرض وخصوبة الأنثى واحد، ولذلك إنّ إزالة أيّ ضرر أو اتّهام للعذراء (البطلة في القصّة)، كما يذكرنا نورثروب فراي، يعدّ ضمن موضوع الدّفاع عن التّوالد والخصوبة. وإذا كانت أهميّة خصوبة الأنثى لا تختلف عن أهميّة خصوبة الأرض، فإنّنا نلحظ اختلافاً بينهما، فمريم هي التي تخوض الرّحلة تجاه الأرض والعكس ليس بصحيح كما يشير أفلاطون:

في الخصوبة والتّوالد لا تقدّم الأنثى كمثال للأرض بينما هي الأرض التي تصبح مثالاً للأنثى، لأنّ الأرض، بوصفها مفهوماً خلّاقاً للأنوثة يحكم كلّ حياة متولّدة، ويحمل السّر الأعمق والأصليّ «للحمل والخَلْف»، وهو ما ترتكز عليه كلّ الحياة الحيوانيّة. لذلك إنّ الأرض وتحوّلاتها ترمز إلى الجوهر الأعلى والأكثر ألغاز الأنوثة.

لقد عبّر الجزء السّردي من سورة مريم عن الجدليّة المقلقة للإنسان: الحياة ـ الموت. ونلحظ ذلك على مستوى باطن النّص، في طبيعة مريم، وفي منطق التّضادّ الذي نشعر به في قراءتنا للأحداث. فمريم تتلقّى البشارة بواسطة روح الله الذي يتمثّل لها بشراً سويّاً، فهذا الرّسول هو روح (ملَك) وبشر (إنسان) في الآن نفسه. ثانياً مع أنّ مريم تؤكّد عذريّتها من حيث عدم مساس (جماع) أيّ بشر لها، وهي الطّريقة المألوفة للحمل، فإنّها تحمل رغم ذلك. لكنّ حملها ووضعها كحمل ووضع كلّ أنثى لا يكون إلّا بالم، وألمها أكبر لأنّها تواجه ما تتوقّعه من قومها حتّى نسمع صرخة دعائها على نفسها بالموت، وهو ما يعبّر عن قوّة الأنثى، هذا بالإضافة إلى تكليفها الرّمزيّ السّعيَ لإطعام نفسها بنفسها عن طريق الإيعاز لها بهزّ الشجرة وهي في قلب الألم. إنّ تلقّي التّكليف وما فيه من فعاليّة يتحوّل لاحقاً إلى صمت، حين تصمت لاحقاً أمام ابن المهد، ليتكلّم دفاعاً عنها. لذلك، فكون مريم عذراء وأمّاً لا يجعلها مثالاً واقعياً للمرأة، وإنّما في ظلّ هذه الخوارق للسّنن الكونيّة في التّوالد، تصبح مريم المثال التّاريخيّ للأمّ في الرمزيّ أي تصبح هي الأرض. ذلك أنّنا لا نسأل الأرض ولا الشّجرة «أنّى يكون لك خَلْف»، ولذلك لم ينبغِ أن تتساءل مريم: «أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ»، ففي الرّمزيّ لا جواب إلّا: «كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ»، وهو ما يسمّيه أفلاطون «السّر الأعمق والأصليّ للحمل والخَلْف»، وأسمّيه «سرّ الخلق».

أتذكّر في شرح منطق التّضادّ هذا

> عبر الجزء السّرديّ من سورة مريم عن الجدليّة المقلقة للإنسان

كلمات نورثروب فراي الذي يعلّمنا أنّ «البنى الأسطوريّة تستمرّ بإعطاء شكل الاستعارات والبلاغة لأنواع متأخّرة من البنى»، مع أنّ رصيد الكتب المقدّسة – كما تقول نويفرث – هو في وساطتها كوسيلة لإزاحة الأسطرة بامتياز:

لقد لوحظ بالنّسبة إلى الأديان التّوحيديّة الثّلاثة أنّ كتبها المقدّسة لا تحيل بالطّريقة نفسها التي يحيل بها التّفكيرُ الأسطوريّ الأشياءَ إلى نظام مقدّس قديم (أركايك) يرتكز على البدايات الأولى التي تحتاج إلى حفظ، بل يحيل إلى أحداث تعدّ جزءاً من سلسلة أشياء مترابطة ومستمرّة لهذه الأحداث.

* مقتطف من «السيدة مريم في القرآن الكريم» (دار السّاقي) لحُسْن عبّود التي توقعه يوم الأحد 4 كانون الأول – من الخامسة إلى السابعة مساء.

أنا أقرأ
بتوقيت بيروت

برنامج وتواقيع

■ **البرنامج**

● **السبت 3 كانون الأول 2022**

- التراث اللبناني ودوره في تعزيز المناعة الوطنية: س:17:00: إدارة هنري زغيب . المتحدثان: أنطوان مسرّة وسهيل منيمنه
- مناقشة كتاب «أنسنة الأوطان» لفادي ضو: س: 18:30: إدارة نايلا طبارة . المتحدثان مصطفى علوش ووجيه قانصو

● **الأحد 4 كانون الأول**

- نشاط محترف الذكاءات: السوبرنوفا (أعظم انفجارات الفضاء): س:12:30 : إدارة فاطمة ناصر . المتحدثة فاطمة غندور
- دستور الطائف بين الاجتزاء والتشويه ثم الانتهاك: س:17:00: إدارة حارث سليمان . المتحدثون بطرس حرب وحسان الرفاعي ورزق زغيب
- مناقشة كتاب «التنمية البشرية» لالبير داغر: س: 18:30: إدارة محمد زبيب . المتحدثان أنطوان أبي زيد وساندرا رزق
- كتابات فارس ساسين: س:16:00: مارلين كنعان، شبلي ملاط، رشا الأمير بدعوة من دار «شرق الكتاب»

● **الاثنين 5 كانون الأول**

- معود الرواية: س:17:00: إدارة عباس بيضون . المتحدثان الكسندر نجار وحسن داوود
- مناقشة كتب الأديب الراحل فارس ساسين: س:18:30: إدارة رشا الأمير . المتحدثان مارلين كنعان وشبلي الملاط

● **الثلاثاء 6 كانون الأول**

- مئوية فرح أنطون: س:17:00: إدارة أنطوان سيف . المتحدثان خالد زيادة وكرم الحلو
- مناقشة كتاب «الديوان الأخير . قصائد غير منشورة لخليل حاوي»: س:18:30 إدارة سليمان بختي . المتحدثون محمود شريح وربى سابا حبيب، وليس وجيه، وجمانة حاوي

* **الأربعاء 7 كانون الأول**

- مناقشة كتاب «تاريخ لبنان الاجتماعي المعاصر» لمسعود ضاهر: س: 2:30: إدارة القاضي زياد شبيب . المتحدثان جورج قرم والقاضي عصام سليمان
- اليوم العالمي للغة العربية: س: 17:00: إدارة هنري عويس . المتحدثون يحيى جابر وهادي زكاك ومنير الحافي
- خطط التعافي الاقتصادية إزاء المأزق المالي: س: 18:30: إدارة سلوى السنيورة بعاصيري. المتحدثون: منير راشد، نسيب غبريل، ياسر عكاوي

● **الخميس 8 كانون الأول**

- ندوة كتاب «رحلة في متاهات الأسر» لرأفت البوريني: س: 15:00: إدارة تغريد عبد العال. المتحدثون: طراد حمادة، فاتن المر، أحمد طالب، سيلفيا عمون
* مناقشة كتاب «زواج المبدعين» للشاعر شوقي بزيع: س: 17:00: إدارة ندى حطيط . المتحدثون: خولا مطر، سلمان زين الدين، نصري الصايغ، علي بزي، هشام دمشقية، جورج دورليان.

● **الجمعة 9 كانون الأول**

- ندوة مشتركة لنمر فريحة وغسان مراد حول كتابهما «مناهج تعليم من بعد وتعليم مدمج» ومرايا التحولات الرقمية»: س:/ 17:00: إدارة أحمد مغربي . المتحدثان أدونيس العكرة وأحمد مغربي
- مناقشة كتاب «النهضة في مواجهة الانهيار: تجربتي في المجلس الدستوري» لعصام سليمان: س:18:30: إدارة ميراي نجم . المتحدثون: خالد قباني، عصام نعمان، أنطوان مسرة، عصام سليمان.

● **السبت 10 كانون الأول**

- مناقشة رواية «حبيبتي مريم» لهدى عيد: س:11:00: إدارة نازك بدير . المتحدثون: حبيب يونس، جان توما، منى رسلان
- في أدب الطفل واليافعين: س:15:00: إدارة أمل ناصر . المتحدثون: مريم رعد، محمد كجك، سمر محفوظ براج
- مناقشة كتاب «القصائد المنوعة لعمر الزعني»: س: 17:00: إدارة نجا الأشقر. المتحدثون: أحمد قعبور، محمد كريّم، سليمان بختي، زياد دندن
- مناقشة كتاب «العائد إلى سيرته» لباسل عبد العال: س:18:30: إدارة ميراي شحادة . المتحدثان محمد العثمان، باسل عبد العال

● **الأحد 11 كانون الأول**

- أصبوحة شعرية: الشعر إكسير الحياة: س: 11:00: إدارة علي أبي رعد . المتحدثون: عصمت حسّان، مردوك الشامي، أسيل سقلاوي، ميراي شحادة
- مناقشة كتاب «جرعة ثقافية» لعبد الهادي محيسن: س:16:00: إدارة محمد قبيسي . المتحدثون: محمد قبيسي، الياس حنا، سلوى الأمين
- ندوة «إشكاليات الحداثة في الشعر العربي»: س: 18:30: إدارة كلود صوما . المتحدثون: ناريمان علوش، محمد توفيق أبو علي، يسرى بيطار.

●●●

■ **تواقيع**

● **دار النهضة العربية**

- السبت 3 كانون الأول . الخامسة عصراً – توقيع كتاب «الإدارة الديمقراطية للتعددية الدينية» لعبد الناصر صلح
- الأحد 4 كانون الأول . الواحدة ظهراً حتى الرابعة عصراً . توقيع كتاب «المقياس المشهدي» لأنطوان موريس الشرتوني
- الثلاثاء 6 كانون الأول . بدءاً من الرابعة والنصف عصراً . توقيع «الأنثى الأفعى» لدلال العزي القيسي
- الأربعاء 7 كانون الأول . الرابعة والنصف عصراً . «الصحافة الورقية اليومية في الدول العربية» لمي العبد الله
- الخميس 8 كانون الأول . الرابعة والنصف عصراً . «الإسلام في بعده الوطني» للقاضي الشيخ خلدون عريمط
- السبت 10 كانون الأول . السادسة والنصف مساء ـ توقيع «محمد جواد مغنية: علامة مجدداً» لمحمد فضل الله
- السبت 10 كانون الأول ـ بدءاً من الرابعة والنصف عصراً ـ توقيع «العرافة ذات المنقار الأسود» لمحمد إقبال حرب
- الأحد 11 كانون الأول ـ من الرابعة حتى الخامسة عصراً ـ توقيع «جرعة ثقافية» لعبد الهادي محيسن

● **دار نلسن**

- الأربعاء 7 كانون الأول . من الخامسة حتى السابعة مساء ـ توقيع كتاب «الترجمات العربية للكتاب المقدس وأثرها في حركة النهضة» لأمين ألبرت الريحاني

● **دار الآداب**

- الأحد 4 كانون الأول . بدءاً من الخامسة حتى السابعة والنصف . توقيع «افرح يا قلبي» لعلوية صبح
بين الساعة 11 و1:00 ظهراً . توقيع العددي التكريمي لمجلة «الآداب» من قبل سارية وناي إدريس
- الأربعاء 7 كانون الأول ـ بدءاً من الخامسة والنصف حتى السابعة والنصف . توقيع «طفلة الرعد» لغادة الخوري
- الجمعة 9 كانون الأول ـ بدءاً من الخامسة والنصف حتى السابعة والنصف ـ توقيع «رجل يشبهني» لإلياس خوري
- السبت 10 كانون الأول . بدءاً من الخامسة والنصف حتى السابعة والنصف مساء ـ توقيع «عازفة البيكاديلّي» لواسيني الأعرج

● **شركة المطبوعات للتوزيع والنشر**

- الخميس 8 كانون الأول . بدءاً من السادسة مساءً . توقيع كتاب «عن أهلي وصحبي وأساتذتي في بيروت» لمحمود شريح
- الأربعاء 7 كانون الأول ـ بدءاً من السادسة والنصف مساء . توقيع دواوين «فهرس الانتظار»، و«الظل فجر داكن»، و«أخاف الله والحب والوطن» و«الأرض حذاء مستعمل» لمهدي منصور
- السبت 10 كانون الأول . بدءاً من الخامسة إلا ربع عصراً . توقيع كتاب «ذهان» للوركا سبيتي
- السبت 10 كانون الأول . بدءاً من الخامسة عصراً . توقيع «جذور المكافليّة في كليلة ودمنة» لمصطفى سبيتي

● **دار الساقي**

- الأحد 4 كانون الأول ـ من الخامسة إلى السابعة مساءً: توقيع «السيدة مريم في القرآن الكريم» لحُسْن عبّود

● **دار نوفل/ هاشيت أنطوان**

- الأحد 4 كانون الأول . بدءاً من الثالثة حتى الرابعة والنصف بعد الظهر ـ توقيع «حائط خامس» والمجموعة الشعرية «كلمة أكبر من بيت» لعباس بيضون
- الأربعاء 7 كانون الأول . بدءاً من السادسة حتى السابعة والنصف مساءً . توقيع «فرصة لغرام أخير» لحسن داوود
- الخميس 8 كانون الأول . بدءاً من الخامسة حتى السابعة مساءً ـ توقيع «يوسف بك الزين: من جبل عامل إلى الجنوب اللبناني» لمنذر محمود جابر
- الجمعة 9 كانون الأول ـ بدءاً من السادسة حتى السابعة مساءً ـ توقيع رواية «منزل عائم فوق النهر» لزينب مرعي
- السبت 10 كانون الأول . بدءاً من الرابعة بعد الظهر والسادسة مساءً ـ توقيع كتابه «لبنان الكيان المهزوز» لمحسن دلول
- السبت 10 كانون الأول . بدءاً من السادسة حتى الثامنة مساءً: توقيع كتاب «تدمير العالم العربي: وثائق الغرف السوداء» لسامي كليب

● **دار أبعاد**

- الأحد 4 كانون الأول . من الساعة الخامسة حتى السادسة والنصف: توقيع ديوان A personal Manifesto لسيتا راما فرحة

● **المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسيات**

- الأحد 4 كانون الأول . من السادسة والنصف حتى السابعة والنصف: توقيع كتاب «تيارات فكرية معاصرة من أجل التنمية العربية» لألبير داغر
++++

● **دار المعارف الحكمية**

- الخميس 8 كانون الأول: بدءاً من السادسة حتى الثامنة مساء . توقيع كتاب «حلّ النزاعات وقواعد السلم والحرب» لعلي إبراهيم مطر

● **دار الريس**

- الأحد 4 كانون الأول . بدءاً من الرابعة بعد الظهر حتى السابعة مساء . توقيع كتاب «إيران وهوليوود.. القوة الناعمة لصناعة صورة الآخر» لحوراء حوماني

* **دار الفارابي**

- الأربعاء 7 كانون الأول: بدءاً من الرابعة عصراً: توقيع «ضد الشنفرى» لمروان عبد العال، وإطلاق كتابي الأسيرين سائد سلامة وأحمد عارضة بعنوان «العاصي» و«خلل طفيف في السفرجل»

* **دار البيان العربي**

- الأحد 4 كانون الأول . بدءاً من الرابعة عصراً . توقيع ديوان «صبا» لحسن المقداد

Samedi 3 Decembre 2022 no45
السبت 3 كانون الأول 2022 العدد 45

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

كوزو أوكاماتو ناصر الحقّ

[2-5]

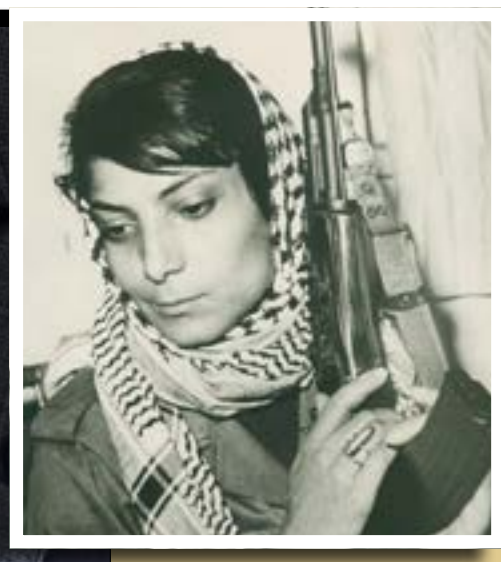

■ ليلى خالد *

كوزو أكاموتو واحد من الأبطال الذين جاؤوا من خلال الجيش الأحمر الياباني ليساهم معنا في النضال ضد العدو الصهيوني والامبريالية الأميركية. هو يعتقد، كما رفاقه، أنهم حين يقاتلون في موقع ضد الصهاينة والامبرياليين معنى ذلك أنهم يقاومون كل الامبرياليين في العالم وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأميركية. جاء مع رفاقه وهو يمني النفس بالمشاركة في عملية في داخل فلسطين كي يستشهد على أرض فلسطين. كان كوزو طالباً جامعياً كما رفيقيه باسم وصلاح اللذين سبقاه إلى لبنان، وكان باسم يتحدث اللغة العربية فيما لم يكن كوزو يتحدث إلا اليابانية، لذا كان يحتاج للترجمة خلال التدريب للعملية. وكنت أجلس معهم للحديث في السياسة والمعنى السياسي للعملية التي أبلغناهم أنهم سيشاركون فيها. وفي نفس الوقت كنت أدّربهم على استعمال الأسلحة. وكان كوزو من الشباب المتطلعين بلهفة للمشاركة في العملية ولم نكن نتوقع أن يعود سالماً لأن العملية بحد ذاتها في مطار اللد فكنّا نتوقع أنهم سيستشهدون جميعاً والعملية بطبيعتها كانت عملية استشهادية وفي معتقدهم هم كانوا مثل الكاميكاز الياباني الذين شاركوا في عمليات استشهادية بطائراتهم. لذلك هم يعتقدون أنهم حين يستشهدون سيتحولون نجوماً في السماء. وفي جامعتهم في اليابان هناك لوحة كبيرة عليها أسمائهم كشهداء قدموا أرواحهم من أجل فلسطين لأنها قضية عادلة. كوزو جاء معه إيديولوجيا وطقوس، منها أن استشهاد البطل يحوّله نجمة في السماء. بطبيعة الحال علمنا أن كوزو، أو أحمد، كان معزولاً خلال اعتقاله وأنه لم يعترف بشيء خلال التحقيق. لكننا علمنا لاحقاً أن الاحتلال حاول وعمل وللأسف نجح في تدمير خلايا في دماغ كوزو وحين أطلق سراحه في تبادل الأسرى عام 1985، عرض على لجنة حقوق الإنسان في الأمم المتحدة في جنيف حيث قال الأطباء أنه من الصعب إعادة تأهيله حيث دمّرت خلايا الذاكرة في دماغه خلال التعذيب. كوزو أوكاموتو سيبقى بطلاً من أبطال فلسطين واليابان. ونحن نعتبر أن هذا الشاب بطل لأنه قدم سنوات حياته لأجل قضيته، وهو كان حزيناً لأنه لم يستشهد، بل اعتقل لمدة عشر سنوات في العزل الانفرادي ما أدى إلى تحوّله إلى شخص منعزل طيلة الوقت. لكنه اليوم أفضل بفضل إحاطة رفاقه به، وهو لم يزل بيننا يبتسم لمن يقابلهم ويشارك في مناسبات وطنية وخاصة، ولو أن مستوى استيعابه لم يعد كما كان قبل اعتقاله. وطالما هو بيننا نحميه برموش العين. وفي عيد ميلاده، نؤكد أن كوزو سيبقى بطلاً من أبطال فلسطين ونجمة حيّة في سماء الأحرار حول العالم.

* عضو اللجنة المركزية العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

كيف أصبح كوزو اللاجئَ السياسيَّ الوحيدَ في لبنان؟

صحيح ان «لبنان ليس بلد لجوء»، كما لا يفوّت بعض الرسميين فرصة لتكراره في كل مناسبة، غير انه منح عام 2000 صفة اللجوء السياسي لفدائي ياباني كان قد تجرّا على الردّ على قصف العدو الإسرائيلي لمطار بيروت عام 1968. فكيف حصل ذلك؟

■ خلود احمد

لم يعرف معظم الشارع اللبناني بقضية الفدائيين القادمين من شرق آسيا إلى غربها دعماً للقضية الفلسطينية، إلا بعد اعتقال الأجهزة الأمنية اللبنانية عدداً منهم عام 1997.

الصحافي المتمرّن في صحيفة «النهار»، آنذاك، الزميل جمال واكيم، علم باعتقالهم عن طريق الصدفة. أبلغه بذلك «ميكانسيان» كان يصلّح سيارته عنده في منطقة البربير، مقابل مبنى يضم الشقة التي اعتُقل فيها اثنان من أفراد المجموعة. وكانت الأجهزة الأمنية اللبنانية قد دهمت ثلاث شقق في بيروت يسكنها يابانيون، في التوقيت نفسه، وأوقفت أكثر من 10 أشخاص، تبيّن لاحقاً أن بعضهم لا علاقة لهم بالجيش الأحمر الياباني.

يقول واكيم إن عملية الاعتقال تمّت ليل الخميس 14 شباط 1997، ولم يُعرف الخبر قبل يوم الإثنين بعدما نشرت صحيفة «النهار» معلومات عنه. وكان واكيم قد دخل المبنى وصعد إلى الطابق الثامن حيث الشقة التي لاحظ أنها لم تكن مقفلة بالشمع الأحمر كما اشيع، وسمع في داخلها صوت حركة لأشخاص ذكر لاحقاً أنهم عناصر أمن. وتأكد الخبر رسمياً، بعدما أصدر الجيش الأحمر الياباني بياناً أعلن فيه اعتقال «رفاق» في بيروت.

وبعدما حاولت بعض الأجهزة الأمنية التعتيم على الاعتقال، اضطرّت السلطات اللبنانية إلى إصدار بيان زعمت فيه أن الاعتقال حصل بسبب دخولهم إلى لبنان «بطرق غير شرعية» وباستخدام أوراق ثبوتية مزوّرة. وعُلم لاحقاً أن رئيس الحكومة اللبنانية، آنذاك، رفيق الحريري، كان يسعى إلى إتمام صفقة مع السلطات اليابانية لتسليمها أعضاء الجيش الأحمر الياباني، ومن بينهم الفدائي المحرّر كوزو أوكاموتو. إلا أنّه بعد انتشار خبر التوقيفات، لم يعد بالإمكان تسليم المعتقلين لليابان خلافاً للقانون.

وُجّهت إلى اليابانيين المعتقلين اتهامات بدخول لبنان خلسة والتزوير واستعمال المزوّر لبعض جوازات السفر التي كانوا يستخدمونها لعدم انكشاف هويتهم أمام عملاء الموساد الإسرائيلي. واعتبر فريق محامي الدفاع المؤلف من النائب نجاح واكيم والمحاميان هاني سليمان وبشارة أبو سعد وعدد كبير من المحامين المتطوّعين (تجاوز المئة)، أنه حتى لو أراد القضاء إدانتهم بجرم التزوير واستخدام المزوّر، من دون الاكتراث لدوافع التزوير، فإن ذلك لا يعني ترحيلهم تلقائياً وتسليمهم إلى السلطات اليابانية. والقضية وإن بدت جنائية من حيث الشكل، إلا أنها في الأساس قضية سياسية وحقوقية. فـ«الجرائم» التي تلاحق السلطات اليابانية الموقوفين على أساسها وتطالب بتسليمهم لها كانت عمليات ضد الكيان الصهيوني، ولا تُعتبر سنداً للقانون اللبناني «جرائم». فعملية اللد هي عملية فدائية رداً على اعتداءات تعرّض لها لبنان، ولا تجرّم القوانين اللبنانية عمليات من هذا النوع خصوصاً أنها وقعت في أرض محتلّة. كما أن لبنان لا يستطيع، سنداً لقوانينه والاتفاقيات الدولية، ترحيلهم على هذا الأساس. لذلك تم توقيفهم بحجة الدخول خلسة.

> رئيس الحكومة آنذاك كان يسعى إلى إتمام صفقة مع السلطات اليابانية لتسليمها أعضاء الجيش الأحمر

ضغط الشارع والتحركات والاحتجاجات واضراب بعض المتضامنين عن الطعام ودور المحامين في متابعة مجريات التحقيق والمحاكمة، أخّرت إتمام الصفقة وترحيل اليابانيين ثلاث سنوات، وهي المدة التي قضوها في السجن إنفاذاً للحكم الصادر بحقهم في الجرائم التي أوقفوا على أساسها.

يشير جمال واكيم، عضو «لجنة أصدقاء كوزو ورفاقه»، إلى أن وصول العماد إميل لحود إلى سدة الرئاسة ساعد في الضغط لتحقيق مكاسب إيجابية للمجموعة المعتقلة، تمثلت كخطوة أولى في تحسين ظروفهم الحياتية داخل السجن بعدما كانوا يعاملون معاملة قاسية، خصوصاً كوزو أوكاموتو بسبب وضعه الصحي والنفسي الذي كان سيئاً جداً بعد التعذيب الذي تعرّض له على أيدي الإسرائيليين. عام 2000، إثر انتهاء مدة العقوبة السجنية القضائية، منحت الدولة اللبنانية الفدائي كوزو أوكاموتو صفة لاجئ سياسي. وهو، حتى اليوم الشخص الوحيد الذي تنطبق عليه هذه الصفة قانونياً. لكن تم ترحيل باقي المعتقلين إلى الأردن. ولتهدئة الشارع، أُشيع أن ذلك تم سنداً للقانون الذي ينظّم دخول وخروج الأجانب إلى لبنان وبأنه ستتم إعادة إدخالهم بشكل شرعي، وهو ما تبيّن كذبه لاحقاً مع ترحيل الأردن للمعتقلين إلى اليابان، ما يشير إلى صفقة عُقدت بين الدول الثلاث.

الوجهة: مطار اللد / فلسطين المحتلّة

كوزو أوكاموتو (أحمد)، ياسويوكي ياسودا (صلاح) وتسويوشي أوكاديرا (باسم)، ثلاثة يابانيين قادهم نضالهم الأممي إلى فلسطين حيث نفّذوا عملية فدائية في 30 أيار 1972. فالقضية الفلسطينية ليست قضية الفلسطينيين وحدهم أو قضية محيطهم العربي، بل لها بعد أممي ترجمه اليابانيون بالمجيء إليها لمناصرتها وعدم الاكتفاء بدعمها من الخارج.

العملية البطولية التي قام بها الشبان الثلاثة الأعضاء في الجيش الأحمر الياباني، خطّط لها القيادي في الجبهة الشعبية وديع حداد، وأراد من خلالها هزّ الكيان الصهيوني والانتقام بعد قصف مطار بيروت الدولي عام 1968، فكان الرد بالمثل، أي من خلال هجوم استهدف مطار اللد (يطلق عليه الإسرائيليون اسم «بن غوريون» أحد مؤسّسي كيان العدو) واغتيال عالم الأسلحة البيولوجية البروفسور الصهيوني أهارون كاتسير الذي كان مرشحاً لرئاسة الكيان الصهيوني آنذاك.

في تمام العاشرة إلا ربعاً من صباح الأربعاء، 30 أيار 1972، حطّت طائرة ركاب تابعة للخطوط الجوية الفرنسية في مطار اللد، وكان الفدائيون الثلاثة بين الركاب. تجمّعوا في مكان تسلّم الحقائب وما إن تسلّموها حتى أخرجوا منها رشاشاتهم الحربية وبدأوا إطلاق النيران ورمي قنابل يدوية، ما أدى إلى مقتل 26 شخصاً، من بينهم عالم الأسلحة البيولوجية، وإصابة أكثر من 80. استشهد ياسودا وأوكاديرا بتفجير قنابل يدوية بعدما حاصرهما جنود العدو، واعتُقل كوزو بعد إصابته بجروح بالغة وبعد تعطل القنبلة التي كانت بحوزته. وقد تعرّض خلال اعتقاله لشتّى أنواع التعذيب الجسدي والنفسي. وكانت صلابة كوزو أوكاموتو في قاعة المحكمة هدفاً للصهاينة الذين مارسوا مختلف أساليب التعذيب التي نعرض جزءاً منها في الرسم البياني في الصفحة الثالثة. وانتُهكت أبسط حقوقه الإنسانية بوحشية لا مثيل لها إلى أن تحرّر من الاعتقال «شبه إنسان» في عملية تبادل للأسرى بين الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والكيان الصهيوني عام 1985.

تحت القوس

ありがとう*

■ عمر نشابة

نحتفل هذا العام بالعيد الخامس والسبعين للفدائي الياباني أحمد (كوزو أوكاموتو) ونستذكر رفيقيه الشهيدين باسم (تسويوشي أوكاديرا) وصلاح (ياسويوكي ياسودا) الذين نفذوا سوياً عملية مطار اللد في فلسطين المحتلة في 30 أيار 1972، رداً على استهداف العدو الإسرائيلي لمطار بيروت الدولي في 28 كانون الأول 1968، وتدمير 14 طائرة تابعة لشركة طيران الشرق الأوسط.

كوزو أوكاموتو شخصية «القوس» في عامها الأول لأنه مدرسة في الوفاء لمبادئ العدل والانصاف.

وقد أتى من مسقط رأسه في أقاصي الشرق ليضحّي بكل شيء من أجل قضية حق، ولينأصر شعباً في نضاله في وجه الاحتلال والقتل والتهجير والتدمير الإسرائيلي لفلسطين ولبنان. تعرّض كوزو لأبشع أشكال التعذيب والإذلال والاعتداء على مدى 13 عاماً في معتقلات الاحتلال الإسرائيلي، وخضع لضغوط جسدية ونفسية لا يمكن تحملها. لكنه صمد وصبر بفضل ثباته وإيمانه الراسخ بأحقّية القضية وصواب المسار. قضى ليالي وسنين طويلة وحده يتألّم من دون أن يتراجع خطوة إلى الوراء. إلى أن جاء اليوم الذي تمكن فيه رفاق السلاح في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة من تحريره بصفقة تبادل أسرى.

الألم الذي يبدو جلياً في عيونه وجسده النحيل في تلك الصورة التي التقطت في ليبيا ساعات قليلة بعد تحريره، محمولاً على أكتاف أخوته، يدل إلى تضحيات لا تقدّر بثمن. فالشاب العشريني الذي كان يدرس علم النبات في اليابان، كان بإمكانه أن يعيش حياة الرفاهية والفرح في بلده الغني حيث تتوفر الراحة والاستقرار والكماليات، لكنه اختار ترك كل شيء وحمل السلاح والقنابل والتحق بطلائع مقاومة الاحتلال الإسرائيلي واعتداءاته المتكررة والمستمرة. كان يمكن أن يتمتع كوزو اليوم وقد بلغ العقد الثامن من العمر برفاهية سنوات التقاعد في منطقة جبلية جميلة في بلده مثلاً مع أسرته وأصدقائه. لكنه آختار منذ 54 سنة أن يكون في طليعة المجاهدين ليضرب العدو الإسرائيلي في قلب فلسطين المحتلة.

لذلك ابتكر الإسرائيليون أساليب تعذيب لا مثيل لها لتدمير البنية الجسدية وتحطيم التماسك الداخلي النفسي للشاب الياباني. لكنه لم ينكسر بل زاده الألم تمسّكاً بالقضية، على عكس أسرى العدو الإسرائيلي الذين ينهارون منذ اللحظات الأولى للقبض عليهم. فالعقيد في سلاح المدفعية الإسرائيلي إلحنان تانينباوم الذي تمكّنت المقاومة من أسره عام 2000، لم يخضع لأي تعذيب (بل خضع لعلاج طبي أثناء أسره)، لكنه لم يصمد لحظة بعد احتجازه. وهو منذ تسليمه إلى أسياده في صفقة التبادل عام 2004، مذلّة وإهانة للجيش الإسرائيلي، بينما الرفيق كوزو أوكاموتو مكرّم معزّز في بيروت وعنوان للشرف والتضحية والوفاء.

* شكراً باليابانية

كوزو أوكاموتو بِعَيْنَيْ ماساو أداتشي

رفيق الزنزانة أعلن الحرب العالميّة

وصل ماساو اداتشي وكوجي واكاماتسو إلى لبنان عام 1971، بعد زيارة لمهرجان كان السينمائي، وقاما بتصوير فيلم «الجيش الاحمر/الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: إعلان الحرب العالمية». يعرض الفيلم الانشطة اليومية للمناضلين الفلسطينيين كسرد سينمائي ترويجي للكفاح المسلّح ضد العدو الإسرائيلي. وفي عام 1974، اراد اداتشي صنع فيلم ثانٍ عن فلسطين، قرّر وقتها تطوير السينما الثورية وغادر اليابان للانضمام إلى مجموعة مقاومين في الجيش الاحمر المناصر لحقوق الشعب الفلسطيني. وبقي 26 عاماً في خدمة القضية الفلسطينية. عام 1997 سُجن في بيروت في الزنزانة نفسها مع كوزو اوكاموتو. وتم ترحيله إلى بلاده بعد ثلاث سنوات، حيث بقي في السجن لمدة عامين آخرين. بمجرد إطلاق سراحه، عاد اداتشي إلى السينما المستقلة الراديكالية. وكان اول فيلم طويل له منذ اكثر من ثلاثين سنة هو «سجين إرهابي» (2007) عن زميله كوزو

ملصق فيلم «الجيش الاحمر/الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين: إعلان الحرب العالمية»

■ شفيق طبارة

من خلال «سجين إرهابي» عاد ماساو أداتشي بفيلم ورسالة من الزمن الذي كانت خلاله الأفلام صريحة وطليعية وسياسية للغاية. قدّم فيلماً عن الاستطراد النفسي، مقتبساً من نص من تاليف الشيوعي الخيالي الفرنسي لوي أوغوست بلانكي، ومن تجارب أداتشي الشخصية، ومن حياة كوزو أوكاموتو أحد منفذي عملية مطار اللد عام 1972، والذي تشارك الزنزانة مع أداتشي في لبنان عام 1997 حتى عام 2000. يبدأ الفيلم بالوداع. ثلاثة مقاتلين من الجيش الأحمر يودّعون أصدقاءهم المقاتلين الفلسطينيين ويتوجهون إلى مطار. نجحت العملية مع خطأ بسيط: لم تنفجر القنبلة اليدوية التي كان ينوي «م» (تومورو تاغوشي) تفجير نفسه بها بعد العملية، وتم اعتقاله. ينقلنا اداتشي بعد ذلك إلى السجن مباشرة، حيث تبدأ الرحلة. «م» في السجن يتعرض لكل أنواع التعذيب والإذلال. مع الوقت بدأ يفقد عقله ويتساءل عن أفكاره الثورية. أداتشي يقلب عقل السجين رأساً على عقب، حيث تتجلى أفكاره ومخاوفه أمامنا. «سجين إرهابي» أكثر من قصة إثارة نفسية في السجن، هو فيلم وُلد من الأفكار الثورية، ملتزم إلى أقصى الحدود بقناعته السياسية. رغم أن الفيلم يدور حول أوكاموتو بوضوح، إلا أن البطل لا يُشار إليه مطلقاً بأي اسم باستثناء حرف «م». حتى خلال التحقيق عندما يُسأل عن اسمه، يردد دائماً بأنفاسه المقطوعة، «بلا اسم». منذ بداية الفيلم يصر «م» على أن الخطيئة الوحيدة التي ارتكبها هي أنه لم يستطع تفجير نفسه، تعذّبه هذه الحقيقة طوال الفيلم. يزور أداتشي في الفيلم بروح تأمّلية ماضية الثوري، ويؤكد أن أي شيء خارج القضبان سجن. والحرية سجن من نوع آخر.

أوضح الفيلم العديد من المخاوف التي تثيرها السجون، من بينها فقدان الاستقلالية، الشعور بالملل والفوضى، العنف، التعذيب الذي لا يوصف، والضعف المستمر للصحة العقلية. تتخلل العنف والتعذيب والقهر لحظات وجيزة من التفكير في مفهوم الحرية، من خلال أوجه التشابه بين العمليات العسكرية وإرهاب الدولة. ويركز على ما يحدث في العالم الداخلي، عالم الإيمان الفردي والثقة، والزمن تحت التعذيب. يصوّر الفيلم كيف يمكن لشخص إن لم تكن لديه الثقة أو الإيمان بأنشطته، أن يبدأ في إنكار كل العقيدة ثم خلق تبريره الخاص لكل من مُثله الثورية.

ومحاولة البحث عن معنى الحرية الفردية، وكيف نتحرر من الاضطهاد الداخلي، كيف نفكّكه. «سجين إرهابي» يهدف إلى سرد قصة الجيش الأحمر ونضالاته، كلمة بكلمة وبجرعة من الاحتفاء بالنفس.

العزلة والوحشية لا هوادة فيهما في الفيلم، لدرجة أن كل ما سيبقى هو الألم. «سجين إرهابي» هو اكتشاف شجاع لتعرج الروح البشرية إلى حالة ثورة دائمة. مقيّد بسلاسل في الظلام في صندوق معدني صغير وأرضية

> مسلحاً بكاميرا او بمسدس لم يكن هناك فرق بالنسبة إليه فكلا السلاحين أداة لمكافحة القمع

مليئة بالقيء، مجبر على أكل ما لا يؤكل، يتم اختبار التزام «م» بقضية الكفاح المسلّح من خلال المحن الجسدية. «سجين إرهابي» دعوة لتحمّل المسؤولية وإعادة التواصل مع الماضي الثوري، وأخيراً ما يمكن أن يعنيه أن يكون المرء على قيد الحياة بعدما اختار تفجير نفسه من أجل القضية الثورية والكفاح المسلّح الفلسطيني.

السينما الثورية اليابانية

كانت اليابان في الستينيات مكاناً يتميّز بحركات الاحتجاج، نمت المعارضات ضد سياسات ما بعد الحرب بشكل كبير، وولد يسار جديد مكوّن من مجموعات مختلفة مناهضة للمؤسسات الحاكمة. كان تجديد معاهدة التعاون والأمن المتبادل بين الولايات المتحدة واليابان (Anpo)، يُظر إليه على أنه خطوة جديدة للاستعمار الأميركي الجديد في اليابان، فضلاً عن دخول الأخيرة في العقلية الإمبريالية للولايات المتحدة، وتحوّلها النهائي إلى قاعدة عسكرية خلال حرب فيتنام. حفّز هذا الحدث صراعاً اجتماعياً، فبدأت سلسلة الاعتصامات والتظاهرات المعروفة باسم "Anpo Protest"، وأدّت إلى اشتباكات مع الشرطة والجماعات اليمينية المتطرفة، وظهرت جماعات ثورية يسارية جديدة. بالتوازي مع الشارع، كانت الثورة الثقافية حاضرة من خلال الحركات الفنية المتجذرة بعمق في المناخ الاجتماعي التي تستكشف وتحارب من أجل التحرر من القوالب. وفي عالم السينما، كان هذا يعني التشكيك في النظام الصارم الذي وضعته الأستوديوهات الكبرى.

ظهرت البدائل ومعها جيل جديد من صانعي الأفلام الذين لم ينجحوا فقط في الأفلام الوثائقية ذات الوعي الاجتماعي، ولكن أيضاً في مجال السينما الثورية. ولّد الجمع بين التوتر الاجتماعي العنيف وحرية التجربة شكلاً ديناميكياً جديداً للسينما. من بين صانعي الأفلام الذين استلهموا روح المقاومة في ذلك الوقت، كان ماساو أداتشي من الأكثر تطرفاً وإصراراً. «كانت الثورة موضوعي باستمرار، يقول الناس: السينما الثورية. أقول: لا، إنها سينما للثورة»، يقول أداتشي. مسلحاً بكاميرا أو بمسدس، لم يكن هناك فرق بالنسبة إليه، كان كلا السلاحين أداة لمكافحة القمع السياسي والاجتماعي. صنع أفلامه الأولى تحت رعاية الحركات الطالبيّة اليابانية، ومن خلال أفلامه ذات الصبغة السوريالية والمثيرة للجدل سياسياً، أصبح جزءاً مما يُسمّى بتيارات «الموجة السينمائية الجديدة» أو «السينما الثورية التخريبية» التي هزّت الثقافة اليابانية في ذلك الوقت.

فيديو ترويجي للفيلم:

الضابطة العدلية

قصور العدل يكسوها الإهمال المزمن. المحامون يشكون والقضاة معتكفون منذ اكثر من ثلاثة اشهر ونصف شهر.

ويردّد بعضهم انهم يخوضون معركة وجود مع سلطة منهكة يتهافت اربابها على تناتش ما تبقّى منها. بينما

لم تتوقف الجرائم في البلد وبعضها يتزايد. ولا بدّ من التحقيق والتوقيف والمحاسبة حتى لا تعمّ الفوضى اكثر

ويتفلّت المجرمون من العقاب. فكيف يمكن ان تعمل الضابطة العدلية من دون إشراف قضائي؟ وهل الضرورات تبيح المحظورات؟

الصلاحيات القانونية تحت القوس
قوى الأمن تخضع لسلطة القضاء

■ فاطمة خشّاب درويش

كُسر جمود المشهد القاتم الأسبوع الفائت: طُرحت إشكاليات قانونية حول صلاحيات السلطة القضائية بعد إصدار المدير العام لقوى الأمن الداخلي اللواء عماد عثمان مذكّرة أعطى بموجبها «صلاحيات الضابطة العدلية للقوى الأمنية عند تعذّر الاتصال بالنيابات العامة أو تمنّعها عن إعطاء إشارة قضائية بدعوى الالتزام بالإضراب». أثارت هذه المذكّرة ضجة في الأوساط القضائية، كونها مسّت بصلاحيات السلطة القضائية وأعطتها للقوى الأمنية التي يفترض أن تعمل تحت إشرافها، لكنّ مدعي عام التمييز القاضي غسان عويدات وضع الأمور في نصابها من خلال كتاب وجّهه إلى اللواء عثمان لتعميمه على مراكز قوى الأمن بعيد التذكير فيه بإجراءات النيابة العامة في الجريمة المشهودة، مؤكداً أنّ «إجراءات التحقيق منوطة بإشراف النيابة العامة وفقاً لنصّ المادة 40 من قانون أصول المحاكمات الجزائية»، وأكد أن «على الضابطة العدلية في الجرائم المشهودة وغير المشهودة التقيّد بإشارة النيابة العامة المختصّة»، وفي حال «تعذّر الاتصال بالنائب العام الاستئنافي أو من ينوب عنه، وفي ظل الظروف التي تمرّ بها البلاد يقتضي الاتصال بالنيابة العامة التمييزية لأخذ إشارتها». وختم عويدات بأنّ «التوقيف وجمع الأدلة وغيرهما من الإجراءات في الجرم المشهود واجبة، كذلك الاتصال والأخذ بإشارة النيابة العامة واجبان أيضاً».

فتح كل ذلك باب النقاش حول مصير الموقوفين وصلاحيات السلطة القضائية في ظل اعتكاف القضاة المستمر، وأثار موجة من التفسيرات القانونية، فما رأي بعض أصحاب الاختصاص؟

(هيثم الموسوي)

مكي: تحديد 0.49% من موازنة الدولة لوزارة العدل التي تخضع السلطة القضائية لموازنتها يؤكد عدم الاهتمام بالمعالجة

فيصل مكي
محاولة لضرب السلطة القضائية وإذلالها

يرفض رئيس نادي قضاة لبنان القاضي فيصل مكي «التصويب على القضاة واعتبار اعتكافهم سبباً لتعطيل القضاء»، مؤكداً ضرورةَ «النظر إلى سبب المشكلة التي نعيشها اليوم وليس إلى النتيجة». فالمشكلة الأساسية هي «في كيفية النظر إلى السلطة القضائية»، مؤكداً «وجود محاولة لضرب هذه السلطة وإذلالها، هم يستخدمون الموضوع المادي لإخضاع السلطة القضائية، حتى قصور العدل محرومة من أقل مقوّمات العمل، ولا سيما الأوراق والقرطاسية والكهرباء والمياه».

وحول اتهام القضاة بعدم الرد على القوى الأمنية بسبب الاعتكاف، ردّ مكي قائلاً: «صحيح أن هناك اعتكافاً للقضاة، ولكنّ الأمور المستعجلة والملحة في الأصل يتابعها القضاة ويعملون على تيسير الأمور»، معتبراً أن الكلام عن عدم رد النيابات والقضاة «غير صحيح. قد يكون هناك قاض أو اثنان لم يردّا، والرئيس عويدات أصدر تعميماً قبل مذكرة اللواء عثمان يدعو فيها إلى التواصل مع النيابة العامة التمييزية في حال لم ترد النيابة العامة، هذا ما عاد وأكده بعد تعميم اللواء عثمان في كتاب الرد عليه». ويعتبر مكي أن «مذكرة اللواء عثمان كانت من دون موضوع بالأساس، لأن الأمور ماشية في ما يتعلق بالموقوفين». وانتقد مكي التعاطي المجحف مع السلطة القضائية، مشيراً إلى «أن الموازنة صدرت في خضمّ الأزمات التي نعيشها، وجرى تخصيص 0.49% من موازنة الدولة فقط لوزارة العدل التي تخضع السلطة القضائية لموازنتها، هذا يدلّ على عدم الاهتمام بالمعالجة وكيفية تحقيق ذلك». وتابع: «تكمن المشكلة في كيفية مقاربة معالجة القضاة وحلها فضلاً عن معالجة وضع العدليات المزري، هذه المعالجات يجب أن تكون حقيقية ومستدامة، وإقرار قانون استقلالية القضاء أساسي لحل كل هذه الأمور، لذا يجب أن يكون على رأس سلّم الأولويات».

ملحم خلف
القضاء يدير القوى الأمنية وليس العكس

«لا يمكن أن نترك الناس بدون مرجعية قضائية، خاصة في هذا الظرف القائم، والقضاء بحاجة إلى أن يعود بالحد الأدنى ويعطي إشارات في ما خص الناس الذين يقومون بأفعال جرمية جزائية» بهذه الكلمات يؤكد نقيب المحامين السابق النائب ملحم خلف أهمية القضاء، معتبراً أن «أيّ محاولة لتخطي صلاحيات القضاء هي محاولات خارج إطار القانون، وخارج إطار الدستور، وخارج إطار السلطة القضائية التي تدير القوى الأمنية وليس العكس».

وفي ما يتعلق بالنقاش حول قانونية مذكّرة اللواء عثمان، اعتبر خلف أن «لا ضرورة للاستشارات والآراء القانونية، نحن دولة برلمانية ديمقراطية، لا يمكن لأحد أن يتخطى الدستور ولا القوانين، الدستور اللبناني يكرّس مبدأ فصل السلطات، والسلطة القضائية تؤدي القضاء من خلال النيابات العامة التي هي رأس الضابطة العدلية في لبنان، وإذا لم يكن الأمر كذلك، فإننا نجعل من دولتنا دولة خارجة عن القانون بمفهوم القرار. وإعادة تصويب الأمور من البديهيات».

ويتابع: «الواقع المرير للقضاء غير مقبول والاعتكاف لا يعفي القاضي من اتخاذ قرارات وإشارات ملزمة، ولا يفترض أن يؤدي إلى عدم تحمل مسؤولية استمرارية المرفق القضائي». ويشدد على «ضرورة الإسراع في إيجاد معالجات للوضع الحالي للقضاء، من الممكن الضغط لتحصيل الحقوق، والقضاة محقّون في ما ينادون به ولكن ليس على حساب الناس الذين هم بحاجة إلى القضاء للتقاضي، حتى لا يبقى المجرم متفلّتاً من العقاب».

إبراهيم نجار
لا يمكن تجاوز السلطة القضائية مهما كلّف الأمر

عرض وزير العدل السابق وبروفيسور القانون في كلية الحقوق في الجامعة اليسوعية إبراهيم نجار لـ«القوس» واقع القضاء اليوم. هو الذي خَبِرَ أحوال المرفق القضائي وعاينها عن كثب، ينظر بكثير من الحسرة إلى الأوضاع في ظل الاعتكاف المستمر للقضاة، ويتابع ما جرى في ما يتعلق بصلاحيات القوى الأمنية في ظل اعتكاف القضاة، وكل النقاش الذي دار حوله ويقول: «قانوناً لا يجوز لقوى الأمن الداخلي أن تحل مكان القضاء. مهمة هذه القوى حفظ الأمن وتوقيف المشتبه بهم، ومن ثمّ مخابرة النيابة العامة من أجل إعطاء الإشارة بالتوقيف أو الترك، ولا يمكن المس بصلاحيات القضاء تحت أي عنوان أو ظرف». ويضيف: «شخصياً كرجل قانون لا يمكن أن أتقبل فكرة أن تقوم القوى الأمنية مكان النيابات العامة، مدّعي عام التمييز هو المخوّل أن يقوم بذلك إذا تعذّر التواصل مع النيابات العامة أو من يحل مكانها قانوناً». ويتابع: «لا يمكن تجاوز السلطة القضائية أبداً، مهما كلّف الأمر، أنا على يقين أن النيابة العامة التمييزية لا تتوانى عن ممارسة واجباتها القانونية ووظيفتها. إذا حدث ذلك لا سمح الله، وأعتقد أنه لن يحصل، فإنه تعقيد خطير للمرفق القضائي».

وفي ما يتعلق بموضوع اعتكاف القضاة، أعرب نجار عن تفهمه لمطالب القضاة، وقال: «الاعتكاف يحدث في كل بلدان العالم ولكن يجري ذلك لفترة وجيزة»، منتقداً «استمرار الاعتكاف طول هذه المدة، فهذا أمر لا يقبله العقل والمنطق، فالاعتكاف أدى إلى تعطيل المرفق القضائي ككل، وإلغاء مهنة المحاماة وحتى فكرة التقاضي بين الناس كما أنه يؤدي إلى الدخول في منطق شريعة الغاب».

ويختم البروفيسور في القانون مؤكداً «أهمية الحفاظ على المرفق القضائي وضرورة تفعيل العمل فيه والحفاظ على دوره، حتى لا تتكرر مراحل صعبة مرّت على اللبنانيين، حين حكمت شريعة الغاب بينهم، ولا سيما في سنوات الحرب اللبنانية وبعدها في عام 1982».

تداعيات اعتكاف القضاة

يناشد المحامي والأستاذ الجامعي وليد حدرج القضاة والمعنيين للتحرك إزاء ما يطاول السلطة القضائية، معتبراً أن «الواقع الحالي للقضاء لم يعد يُحتمل، فتداعيات الاعتكاف أصبحت كارثية، وهي لم تعد تطاول فقط الجسم القضائي، بل طاولت الجسم الحقوقي برمّته، من أصغر مواطن إلى أكبر المعنيين. هناك اليوم حالة قضائية حقوقية معرّضة للخطر»، داعياً «الجميع للتحرك لمعالجة الاعتكاف، من أجل عودة القضاة إلى عملهم حتى لا نصل إلى ما لا تُحمد عقباه».

واعتبر حدرج أن «مضمون مذكّرة اللواء عثمان يمسّ بجوهر الأسباب الموجبة لتعديلات مواد عديدة ومنها على سبيل المثال المادة 47 من قانون أصول المحاكمات الجزائية التي تتحدث عن الحقوق والحريات العامة وحقوق الإنسان، هذا المبدأ المحمي بموجب مقدمة الدستور»، مؤكداً أنه «لا يمكن تجاوز مبادئ دستورية عامة تحت عنوان تسيير الأمور، ولا يمكن الحديث عمّا يسمّى نظرية الظروف الاستثنائية أو القوة القاهرة. هناك ضرب كامل ومتكامل للحقوق والحريات المصونة بموجب الدستور».

ويتابع: «نحن لا نناقش أداء القوى الأمنية ولا نوايا القيّمين عليها. ما تم طرحه في المذكّرة هو من اختصاص السلطة القضائية. الدستور والقوانين المرعية حدّدا بدقة ووضوح أن القضاء المختص هو من يعطي إشارات، ولديه صلاحية حجز حرية إنسان».

وشدّد على ضرورة احترام القواعد الدستورية لأن «ما توصّلنا إليه من تعديلات لحماية الحقوق والحريات العامة استغرق الكثير من الجهد والنضال، لا يمكننا الرجوع سنوات إلى الوراء. أحترم النوايا، ولكن يجب احترام قواعد الدستور والحفاظ عليها، فعلى سبيل المثال هل يمكن اليوم بسبب شغور موقع رئاسة الجمهورية أن أنقل صلاحيات الرئيس إلى مجلس النواب أو إلى وزير العدل؟». وختم: «في الظروف الاستثنائية التي نعيشها من أقسم اليمين أولى بالحفاظ على الحقوق والحريات في هذا البلد ممن يعملون تحت إمرته».

متابعة

استقلالية القضاء تبدأ في معهد القضاة

يوكل إلى معهد الدروس القضائية اختيار القضاة وتدريسهم وتأهيلهم وتدريبهم لدى المحاكم، إضافة إلى تأهيل المساعدين القضائيين والخبراء، والكتّاب العدل ومراقبي الصلح الاحتياطي الذين يندرج عملهم في صلب العمل القضائي. ويُلاحظ ان لوزير العدل، بعد استطلاع رأي مجلس القضاء الأعلى، صلاحية تحديد عدد القضاة المتدرّجين المنوي تعيينهم في المعهد. ولوزير العدل أن يطلب من المجلس تنظيم مباراة لهذه الغاية. وتنطبق هذه الأصول على مجلس شورى الدولة وديوان المحاسبة، حيث يصدر الوزير قراراً لتنظيم المباراة.

لكن اللافت في نص المادة 68 من قانون القضاء العدلي هو انها تتيح تعيين قضاة متدرّجين دون مباراة من بين حملة دكتوراه دولة في الحقوق، وذلك بمرسوم بناءً على اقتراح وزير العدل وبعد موافقة مجلس القضاء الأعلى، حيث يخضع المرشح لمقابلة شفهية واحدة أمام المجلس يُقبل بنتيجتها قاضياً متدرجاً أو يُحال طلبه للمشاركة في الامتحان الخطي.

كما يمكن لوزير العدل، بناءً على اقتراح رئيس المعهد وبعد اختياره، أن يقرر جعل السنة الأخيرة لقاض أو لثلاثة قضاة متدرّجين على الأكثر سنة تخصص في الخارج في إحدى المواد العلمية التي لا تُدرس في لبنان.

«السلطة» لا تعتكف ...

بالرغم من الدور الريادي لمعهد الدروس القضائية في إعداد وتمكين القضاة، إلا أن آلية الدعوة إلى الانتساب إلى المعهد التي يحددها الوزير، ولو بعد استطلاع رأي مجلس القضاء الأعلى، تدفعنا للتطرق إلى موضوع استقلالية السلطة القضائية. ففي الوقت الذي كرّس الدستور اللبناني في المادة 20 منه أن القضاء سلطة، إلا أنه أحال تحديد هذه الاستقلالية على القانون، وبدلَ أن يؤكد قانون القضاء العدلي هذه الاستقلالية ويحصّنها بحيث تتساوى السلطة القضائية مع السلطات الأخرى ولا سيّما التنفيذية، برعت السلطة التشريعية في تمكين السلطة التنفيذية ممثّلة بوزير العدل بالتحكم بجزء واسع من أعمال السلطة القضائية، مخلّةً بمبدأ الفصل بين السلطات. ولعل اعتكاف القضاة عن العمل عند كل أزمة عزّز فكرة تخلي القضاء عن سلطته على اعتبار أن السلطة لا تعتكف عن عملها. ومن هنا ضرورة العودة عن قرار الاعتكاف، مع التسليم بأحقّية المطالب، لأن السلطة التي تصدر أحكامها باسم الشعب لا يجوز أن تعتكف عن البتّ في النزاعات، بل يفترض أن تكون السبّاقة في استرداد حقوق الناس التي أهدرها الفساد السياسي، المالي والإداري.

أهمية دور المعهد

يفصل القاضي النزاعات وفق أحكام القانون، ولأن القوانين الصادرة عن المشترع لا يمكن فهمها بالعودةِ إلى النصوص القانونيّةِ والمراسيم التنفيذية فقط، لا بد من العودة إلى الاجتهاد القضائي، المصدر التطبيقيّ الأول للقاعدة القانونيّة، من دون أن نغفل دور الفقه. غير أن تطبيق القاضي للقوانين يكسبها قوتها ويقرنها بالزامية التنفيذ، وإلا أصبح القانون بذاته كلاماً لا فائدة فيه ولا قيمة له.

يكتسب القضاة كفاءاتهم القانونية والعملية في معهد الدروس القضائية. هو أقدم مرفق تدريب قضائي في المنطقة العربية. اذ أنشئ المعهد في عهد فؤاد شهاب، بموجب قانون التنظيم القضائي الصادر بالمرسوم الرقم 7855 تاريخ 16/10/1961، وتم طلب الدفعة الأولى من القضاة المتدرّجين في أيلول من عام 1962، وبوشرت دورات الإعداد في المعهد بتاريخ 23\03\1963، ليكون بذلك المعهد أقدم مؤسسة لإعداد القضاة في الوطن العربي. وقد ساهم في إعداد عدد من القضاة العرب الذين برعوا في بلادهم بفضل ما نهلوا من علومه.

إضافة إلى المواد العلمية التي تُدرس في معهد الدروس القضائية، يتعين على القاضي المتدرّج تقديم الدراسات والأبحاث المشاركة بالندوات وورش العمل وزيارة المؤسسات العقابية والإصلاحية ومراكز توقيف الأحداث والاطّلاع على أنظمتها ودرس نشاطاتها، ومنها التطبيقات الجنائية.

كذلك زيارة الإدارات العامة والمؤسسات الاقتصادية والمالية بغية الاطّلاع على نظامها وإدارتها ونشاطاتها.

ثم المشاركة بالندوات والمؤتمرات المعلَن عنها من قبل إدارة المعهد والتدرج في المحاكم ولدى غرف مجلس الشورى وديوان المحاسبة. ويلاحظ مدى تطور المنهاج العلمي المتّبع في المعهد والذي يقدمه نخبة من أهل العلم القانوني ولا ينتهي دور المعهد بتخرج القضاة، بل يهدف المعهد أساساً إلى تقديم دورات التأهيل والتمكين المستمر لكل الأشخاص العاملين في الجسم القضائي.

انتهج المعهد سياسة الانفتاح على المؤسسات القضائية في الخارج لتبادل الخبرات والوفود، فارتبط باتفاق تعاون مع المعهد الوطني للقضاة في فرنسا والمدرسة الوطنية لإدارة السجون فيها، واتفاقية عمان للتعاون العلمي بين المعاهد القضائية العربية وغيرها.

ويضم معهد الدروس القضائية 3 أقسام:

- قسم القضاء العدلي وقسم القضاء الإداري وقسم القضاء المالي. مدة الدراسة في المعهد ثلاث سنوات، يتلقّى خلالها القاضي المتدرّج المواد الأساسية الضرورية لممارسة القضاء، وهذه المواد لا تُدرس بصورة أساسية أو معمّقة في الجامعات. وترتبط بالعمل القضائي كالأدلة الجنائية والطب الشرعي وتمثل المدخل لمباشرة القاضي المتدرّج دراسته في المعهد.

الإصلاح والتخصص القضائي

إن تعزيز قدرات معهد الدروس القضائية واستقلاليته واستدامته للمساهمة في ضمان مستوى عالٍ من الأداء القضائي ضرورة ملحّة، خاصةً في ظل التطور الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي المتسارع من خلال تأمين تدريب بالغ التخصص للقضاة. وربما نجد المعهد مستقبلاً يقوم بإعداد قاض متخصّص في المجالات التي تقتضيها الحاجة، علماً أن بعض الدول بدأت سنّ تشريعات وإنشاء محاكم من قضاة مُتخصّصين رغبةً في تسهيل إجراءات ومَهام المُستثمرين في القضايا المالية، والتجارية، والاقتصادية، باعتبارها ضرورة مُلحّة. هذه الضرورة تُستمَد من الضرورات العلمية والعملية للتخصّص القضائي، وتكمن أهمية هذا الطرح من وجهة نظر أصحابه في تحقيق ما يلي:

- الفصل السريع في الدعاوى المنظورة، مع تحقيق العدالة الناجزة، والتغلب على مُشكلة البطء في إجراءات التقاضي.
- تأهيل القضاة وتزويدهم بالمعرفة والمهارات المُتطورة لضمان أداء قضائي سريع، وإصدار أحكام قضائية سليمة ومُتناسقة، ما يُحقق عدالةً أكبر للمُتخاصمين.
- تخصّص القاضي يجعله أكثر تمكناً من صياغة أسباب حُكمه بكل إيجاز وسُهولة ويُسر.
- تقليص التكلفة الإجمالية، وذلك بسبب خبرة القضاة الموضوعية، ما يعود بالنفع على تكاليف القضاء والدعاوى في آن.

(ألف باء القانون، القوس)

القوس
السبت 26 تشرين الثاني 2022 العدد 44

ما يجري في العالم اليوم كشف من خلال الحرب الروسية الاوكرانية ازدواجية المعايير لدى الانظمة، وأظهر عدم الجدية في التعاطي مع القضية الفلسطينية. الامل في الشعوب التي سوف تدرك انه لا بد من البدء بمحاولة تصحيح الاتجاه وأنا مؤمن بأن حرب تحرير فلسطين سوف تصل الى نتيجة عادلة. نحن الحالمون سوف نغير ونعيد بناء العالم. لذا يجب علينا ان نعمل وأن نكون جاهزين اكثر من أي وقت مضى لنسير نحو المستقبل ولو سمينا بالرومانسيين والحالمين هذه هي قناعتنا

ماساو أداتشي يتذكّر ويُذكّر

«نريد العودة إلى وطننا»

سمعت هذه الكلمات عبر الأخبار قبل 54 عاماً (1968). وأعتقد أن هذه الكلمات جعلتني أفهم ماهية النضال الوطني الفلسطيني. ذلك كان تعبير ليلى خالد من على متن الطائرة المختطفة خلال توجهها إلى تل أبيب وأثناء طيرانها في سماء حيفا المحتلّة. كان الشعب الياباني يحتشد آنذاك يومياً في تظاهرات للسلام من أجل فيتنام ولإدانة الغزو الأميركي، فيما لم يلحظ أحد حقيقة القضية الفلسطينية الناتجة من الغزو الإجرامي الإسرائيلي، باستثناء بعض الصحافيين والباحثين الجامعيين. بدأنا نحن، وكنا مجموعة صغيرة جداً، حملة لإظهار حقيقة القضية الفلسطينية للشعب الياباني. طرحنا بديهيات مثل أن القضية الفلسطينية أساسها الغزو الإجرامي من قبل إسرائيل المصطنعة بدعم من الولايات المتحدة والدول الأوروبية. وأن أكثر من مليون ونصف مليون فلسطيني طردوا من وطنهم الأم على يد الأجهزة الصهيونية. وفي الوقت نفسه، كانت بعض الطوائف الدينية تدعو للاستيطان في فلسطين المحتلّة تحت شعار: «دعونا نذهب إلى الكيبوتس. حيث يبني الشعب الديمقراطية الحقيقية في المزارع النموذجية». إذ حاولوا تصوير إسرائيل كالحلم الرومانسي. لذا، وكواحد من أهم أنشطتنا التضامنية، كنا نحاول تصوير الصراع بعرض حقيقة «إسرائيل» التي نعرفها على عكس الحملات الصهيونية .

«التسلّح الكامل والانتفاضة الشاملة»

خلال عودتي من مهرجان كان السينمائي عام 1971، سنحت لي الفرصة لزيارة مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ومراكز التدريب على الكفاح المسلّح في دول عربية مثل لبنان وسوريا والأردن ومصر. حلمت بهذه الرحلة منذ سمعت تعبير «نريد العودة إلى وطننا». كانت تلك الرحلة تجربة ثورية لناحية معاينة واقع النضال الفلسطيني بدءاً من البيئة الحاضنة لحرب الشعب المسلّحة في مخيم اللاجئين، وصولاً إلى الاشتباكات مع الاحتلال الإسرائيلي.

الشعب الفلسطيني كان جدياً في ما يتعلق بمصيره في القتال من أجل العودة إلى الوطن الأم، ويتساوى نضاله للعودة مع جهود أبنائه للحفاظ على الحياة اليومية بثقة فكرية وقناعة بضرورة الكفاح عبر التسلّح الكامل. كانت تلك التجربة بالنسبة لي دراسة لجوهر حركة التحرر الفلسطينية وضرورة لفهم الاستهداف الإسرائيلي المركّز لمخيمات اللاجئين. هذه المخيمات كانت رحم الكفاح المسلّح. سجلت الواقع الفلسطيني في أفلام وثائقية ودشنت حملات لعرض هذه الأفلام في كل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وفي جميع أنحاء اليابان. في خضم تلك العروض، عام 1972، هاجم ثلاثة شبان يابانيين مطار اللد في فلسطين المحتلّة وبحسب روايات الإعلام الغربي والياباني التي تم تداولها على نطاق واسع مستندة إلى معلومات عسكرية إسرائيلية، قتل الضحايا على يد الكاميكازي اليابانيين. اثنان من الثلاثة، «باسم» أوكاديرا و«صلاح» ياسودا، أطلقا النار في جميع الاتجاهات حتى نفدت ذخيرتهما وفجّرا نفسيهما بقنابل يدوية. أما «أحمد» أوكاموتو فلم تنفجر القنبلة اليدوية التي استخدمها. اعتقل أوكاموتو وحوكم في محكمة عسكرية إسرائيلية حيث أعلن: «نحن جنود قاتلنا في ساحات القتال في إسرائيل. حاولنا أن نموت وأن نصبح نجوماً في مدار الجوزاء».

أعجبت الشعوب العربية بهذه العملية وشهدت بعض العواصم العربية تظاهرات حاشدة رفعت فيها شعارات: الموت لإسرائيل والصهيونية، يحيا الفدائيون. انقسمت حركة التضامن مع الشعب الفلسطيني في اليابان بعد عملية مطار اللد. فمن ناحية، يجسّد الكفاح المسلّح قيم العدالة مثل التحرير، ويُعد كفاح المتطوّعين في النضال العالمي جزءاً من العدالة. ولكن من ناحية أخرى، اعتبرت الحكومة اليابانية ووسائل الإعلام أن الأنشطة التطوّعية يجب أن تقتصر على أنشطة التضامن غير العنفية مثل دعم مخيمات اللاجئين.

عام 1972، اقتحمت مجموعة من الكفاح المسلّح معروفة باسم «أيلول الأسود» دورة الألعاب الأولمبية في ميونيخ واحتجزت رياضيين إسرائيليين كرهائن لمبادلتهم مع أسرى فلسطينيين حكم على معظمهم في سجون عسكرية إسرائيلية. تأثرت الحكومة الألمانية التي تأسف للمذبحة النازية بحق اليهود، بمزاعم الجانب الإسرائيلي وشرعت في عملية عسكرية لإطلاق الرهائن، ما أدى إلى مقتل عدد من الرياضيين في تبادل إطلاق النار مع المنفذين الذين تمت تصفيتهم لاحقاً.

العديد من الناس حول العالم أسفوا لهذا الحدث المأساوي ووجهت انتقادات لأسلوب حرب العصابات، وانتقد كثر الحكومتين الإسرائيلية والألمانية لعنادهما في رفض التفاوض. خلقت هذه العملية مرحلة صعبة في النضال التحرري الوطني الفلسطيني، ما أدى إلى تضييق نطاق الكفاح المسلّح.

«بيروت هي هانوي أو ستالينغراد»

في حزيران 1982 كنا على خطوط المواجهة اليومية ضد إسرائيل في جنوب لبنان حين ادّعى الجيش الإسرائيلي أن هناك تهديداً عسكرياً ودبلوماسياً متزايداً من قبل التنظيمات الفلسطينية في لبنان، فشنّ هجوماً شاملاً على لبنان.

ما بدأ كهجوم جوي عبر غارات الجيش الإسرائيلي، توسّع إلى هجوم بنيّة احتلال لبنان. البعض منا، وكنا نقاتل في جبهات مختلفة، تجمّع في بيروت لمواصلة المقاومة لنحو شهرين. آنذاك كان شعارنا «بيروت هي هانوي!» بهدف تحرير فلسطين المحتلّة. لكن أثناء الحصار، تغيّر الشعار إلى «بيروت هي ستالينغراد!» أي الشعار نفسه الذي استخدمه الجيش الأحمر السوفياتي خلال قتاله الغزو النازي لروسيا. فيما كانت مكبّرات الصوت العسكرية الإسرائيلية تردد أسماءنا العربية واحداً تلو الآخر وتدعونا للاستسلام.

وحين تم التوصل أخيراً إلى اتفاق لوقف إطلاق النار، انسحبت القوات الفلسطينية من بيروت وتفرقنا في أنحاء مختلفة من العالم العربي. بعد فترة وجيزة، وقعت مذابح على أيدي الميليشيات اللبنانية المتحالفة مع إسرائيل داخل مخيمات اللاجئين التي تحيط بها القوات الإسرائيلية. كان الأمر أقسى من قتل النازيين لليهود. حوّلوا مخيم للاجئين إلى ساحة إعدام وذبحوا حوالي 3000 رجل وامرأة من جميع الأعمار.

بعد ذلك اشتد الصراع بين القوى الفلسطينية المتبقية في لبنان والقوى الوطنية اللبنانية ضد عدوين معاً: العدو الأول وهو جيش الاحتلال الإسرائيلي والآخر هو الميليشيات المسلّحة الموالية لإسرائيل. بمشاركة الجيش الإسرائيلي استعرت الحرب الأهلية المستمرة في لبنان منذ العام 1975. ثم كان هناك نشاطان مهمان لحركة التضامن الدولية في ما يتعلق بمجزرة صبرا وشاتيلا: أولهما إطلاق مجموعة صور توثق الغزو العسكري الإسرائيلي للبنان والفظائع التي ارتكبت خلاله. بمبادرة من «اللجنة الدولية لمجزرة صبرا وشاتيلا» دعونا المصورين والصحافيين الذين غطوا المجزرة من كل أنحاء العالم، وجمعنا عدداً كبيراً من الصور الوثائقية التي تروي بوضوح حقيقة الغزو والمذبحة. معرض الصور الوثائقية أقيم في عدد من دول العالم ولاقى استجابة كبيرة. النشاط الثاني كان المحاكمة الشعبية أو محكمة الشعب لإظهار جرائم الغزو الوحشي للجيش الإسرائيلي للبنان. هذه المحاكمات عقدت على نطاق واسع في عدد من الدول الغربية واليابان، وشارك فيها مفكرون وعلماء ومحامون بارزون أطلق عليهم اسم أصحاب الضمير ومن بينهم محكمة راسل حول فلسطين.

وكان المتطوّعون من الأطباء والممرضات الذين كانوا يقدمون المساعدة للاجئين الفلسطينيين على الأرض شهوداً أحياء على جرائم القتل، ما أكد وحشية الجيش الإسرائيلي. وساهمت حركة التضامن الفلسطيني وحركة دعم اللاجئين والحركة التطوّعية الدولية بشكل كبير في تطوير هذه الأنشطة. كما أثبتت حركات التضامن الدولي قدرتها على حشد الدعم وإظهار الحقيقة، ليس فقط في المجال العسكري، بل أيضاً في المجالات الطبية والثقافية. وبرهنت أنها تستطيع أن تشكل قوة ضغط كبيرة.

كل ما جرى أثبت أن الجيش الإسرائيلي المسلّح بطائراته المقاتلة وأحدث الأسلحة لم يكن «أقوى جيش في العالم» بمواجهة مقاومة تستخدم أسلوب حرب العصابات يقودها مقاومون من القوى التحررية. وما جرى ساهم في توسع حركة التضامن الدولية مع فلسطين.

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous al_qaous alqaous22 alqaous
info@alqaous.com www.alqaous.com 01/34 99 54